الكتاب الأكثر مبيعًا في نيويورك تايمز

بريجيد كيمرر

مكتبة

رسائل إلى الضائعين

ترجمة:
إكرام صفيري

kalemat

فطر سعيد1 د

مكتبة | 1124
t.me/soramnqraa

رسائل إلى الضائعين

رسائل إلى الضائعين

Letters to the Lost

بريجيد كيمرر

BRIGID KEMMERER

ترجمة: إكرام صغيري

دار كلمات للنشر والتوزيع

بريد إلكتروني:

Dar_Kalemat@hotmail.com

الموقع الإلكتروني:

www. kalemat.com

Copyright © 2017 by Brigid Kemmerer

مكتبة

t.me/soramnqraa

22 4 2023

ردمك: 978-9921-730-88-3

رسائل إلى الضائعين
LETTERS TO THE LOST

مكتبة | 1124
t.me/soramnqraa

بريجيد كيمرر
BRIGID KEMMERER

ترجمة:

إكرام صغيري

2021

kalemat

إلى مايكل

أنا محظوظة جدًّا لخوضي هذه الرحلة المجنونة معك.

(غالبًا لأنّنا نمنع بعضنا بعضًا من القفز)

الفصل الأول

توجد هذه الصورة التي لا أستطيع إخراجها من ذهني. إنها صورة لفتاة صغيرة ترتدي فستانًا مزركشًا بالزهور وهي تصرخ في العتمة.

كان الدم متناثرًا في كل مكان: على وجنتيها وفستانها وعلى الأرض. كان هناك مسدس موجه صوب الطريق الترابي بجانبها، ولا يمكن رؤية الرجل الذي يحمله، لكن بالإمكان رؤية حذائه. أذكر حين أريتِني إيّاها منذ سنوات، وحدّثتني عن المصور الذي التقطها، لكن كل ما علق بذهني هو الصراخ والزهور والدم والمسدس.

ويبدو أنّ والديها قد سلكا اتجاهًا خاطئًا أو شيئًا من هذا القبيل. ربما ولجا منطقة حرب. هل كان ذلك في العراق؟ أعتقد أنه كان في العراق. لقد مرَّ وقت ولست متأكدة بشأن تاريخ الصورة. لقد سلكا طريقًا خاطئًا، وبمجرد رؤية السيارة، شرع بعض الجنود المذعورين في إطلاق النار عليها. فقُتل والداها على الفور.

مكتبة
t.me/soramnqraa

كانت الفتاة الصغيرة محظوظة.

غير محظوظة؟

لا أدري.

أول ما يراه المرء هو الرعب، لأنه محفور بشكل مثالي في تعابير وجه الفتاة.

ثم يرى بعد ذلك التفاصيل.. الدم.. الزهور..

المسدس.. الحذاء.

بعض صورك آسرة بالقدر نفسه. كان الأجدر ربما أن أفكر في عملك. يبدو من غير الصائب أن أستند على شاهد قبرك وأفكر في موهبة شخص آخر.

لا أستطيع منع نفسي من هذا.

يمكنك رؤية ذلك في ملامح وجهها. لقد سُلب واقعها منها، وهي تدرك ذلك.

لقد رحلت والدتها، وهي تدرك ذلك.

هناك عذاب في تلك الصورة.

في كل مرة أنظر إليها، أعتقد «أنّني أعرف تمامًا كيف تشعر الفتاة».

ينبغي لي أن أتوقف عن التحديق إلى هذه الرسالة.

لقد التقطت الظرف فقط لأنّه ينبغي لنا تنظيف الأشياء الشخصية من أمام شواهد القبور قبل أن أجزّ العشب. في العادة آخذ وقتي لأن ثماني ساعات هي ثماني ساعات، وليس الأمر كأنني أتقاضى أجرًا مقابل هذا.

خلّفت أصابعي الملطخة بالشحم علامات على حواف الورق. يجب أن أرميها قبل أن يعلم أي شخص أنني لمستها.

لكنّ عيني ظلت تتبع جرّات القلم. كان خط اليد أنيقًا ومنتظمًا، لكنه ليس مثاليًا. في البداية، لم أستطع معرفة ما الذي شدّ انتباهي لها، ولكن بعد ذلك أصبح واضحًا؛ فاليد التي كتبت

هـذه الكلمـات يـدٌ مهتـزة، يـد فتـاة! يمكننـي تمييـز ذلـك، فالحـروف مسـتديرة دون مبالغـة.

ألقيـت نظـرة سـريعة إلـى شـاهد القبـر. لقـد كان قبـرًا حديثًـا، نُقشـت عليـه الحـروف الواضحـة فـي الجرانيـت اللامـع، زوي ريبيـكا ثـورن، الزوجـة الحبيبـة والأم.

صدمنـي بشـدة تاريـخ الوفـاة. كان الخامـس والعشـرين مـن مايـو مـن هـذا العـام، أي اليـوم ذاتـه الـذي تجرعـت فيـه زجاجـة ويسـكي كاملـة وقـدت شـاحنة والـدي الصغيـرة إلـى مبنـى مكاتـب مهجـور.

مـن العجيـب كيـف حُفـر التاريـخ فـي ذهنـي، لكنـه حفـر فـي ذهـن شـخص آخـر لسـبب مختلـف تمامًـا.

ثـورن. بـدا هـذا الاسـم مألوفًـا، لكنّنـي لـم أسـتطع تحديـد أيـن سـمعته. لقـد توفيـت منـذ بضعـة أشـهر فقـط، وكانـت فـي الخامسـة والأربعيـن، لذلـك ربّمـا ذُكـرت فـي الأخبـار.

لا شك في أنّ هذا يجثم على صدري.

«أنت يا مورف! ما خطبك، يا رجل؟»

قفـزت فـي مكانـي وأوقعـت الرسـالة. لقـد كان هـذا ميلونهيـد مُشـرفي، وهـو يقـف أعلـى قمـة التلـة، يمسـح جبينـه بمنديـل مبلـل بالعـرق.

لـم يكـن اسـمه العائلـي هـو ميلونهيـد حقًـا، ليـس أكثـر مـن «مـورف»، الاسـم العائلـي الـذي يطلقـه علـيّ. ولكـن إذا كان سيسـمح لنفسـه بتغيير اسـم «مورفـي»، فسـأجاريه وأغيّـر اسـم «ميليندز».

الفرق الوحيد هو أنني لا أقول ذلك في وجهه.

صِحت: «أنا آسف». وانحنيت لألتقط الرسالة.

«اعتقدت أنك على وشك الانتهاء من جزّ عشب هذا الجزء».

«سأفعل».

«إذا لم تكمله، فسأكمله بنفسي. أريد العودة إلى المنزل، يا فتى».

دائمًا ما يكون ميلونهيد مستعجلًا للعودة إلى المنزل. فلديه ابنة صغيرة في الثالثة من العمر، وهي مهووسة بأميرات ديزني. ما زالت لا تعرف كل الحروف والأرقام بعد. وقد حظيت بحفلة عيد ميلاد في نهاية الأسبوع الماضي مع خمسة عشر طفلاً من الروضة، وصنعت زوجة ميلونهيد لها كعكة.

لا ألقي بالًا لأي شيء من هذا بالطبع. كل ما في الأمر أنني لا أستطيع إبقاء فم الرجل مطبقًا. وهناك سبب وجيه لقولي إنّني سأكمل هذا الجزء وحدي.

قُلت: «أعلم. سأنجز ذلك».

«إنّك لا تنجز عملك، ولذا لن أوقع ورقتك اليوم».

وقفت، وذكّرت نفسي أن أي تصرف غبيّ قد يصل إلى القاضية، وهي تكرهني مسبقًا. «لقد قلت إنني سأنجز ذلك».

لوّح بيده باستخفاف وأدار ظهره متجهًا إلى الطرف الآخر من التلة. إنّه يظن أنني أتلاعب به. قد يكون الفتى الذي قبلي فعل ذلك.. لا أدري.

بعد لحظة، سمعت تشغيل جزازة العشب.

كان ينبغي لي الانتهاء من تنظيف التذكارات حتى أتمكن من العمل على جزازة العشب الخاصة بي، لكنني لم أفعل. فقد كانت شمس سبتمبر تُغرق المقبرة في حرّها، وكان عليّ أن أزيل الشعر

الرطب الملتصق بجبيني. قد يظن المرء أنّنا في أعماق الجنوب بدلاً من أنابوليس، في ولاية ماريلاند. ومع أنّ عصابة الرأس التي كان يرتديها ميلونهيد قد بدت مبتذلةً، فإنني أحسده عليها الآن.

أكره هذا.

أعلم أنه ينبغي لي أن أكون ممتنًا لخدمة المجتمع هذه. إذ لم أكن أبلغ من العمر إلّا سبعة عشر عامًا، وللحظة بدا كأنّهم سيحاسبونني كشخص بالغ مع أنّني لم أقتل أحدًا. بل تسببت فقط بأضرار في الممتلكات. ولا يشبه الاعتناء بعشب المقبرة عقوبة الإعدام تمامًا، وإن كنت محاطًا هنا بالموت.

ومع ذلك، ما زلت أكره هذا. كنت أقول إنّني لا أهتم بما يفكر فيه الناس بي، لكنها مجرّد كذبة. لا بدّ أنك ستهتم أيضًا، إذا ظن الجميع أنّك لست سوى قنبلة موقوتة. كنا على بعد بضعة أسابيع فقط من بداية الموسم الدراسي، لكن على الأرجح أن نصف مُدرّسيّ يعدّون الدقائق قبل أن أبدأ بإطلاق النار على مَن في المكان. يمكنني بالفعل أن أتخيل صورتي في الكتاب السنوي. ديكلان مورفي: من المرجح أن يرتكب جناية.

سيكون هذا مثيرًا للضحك، إن لم يكن محبطًا جدًا.

عدت وقرأت الرسالة مرة أخرى. كان الألم ينضح من كل كلمة. كان ذلك النوع من الألم الذي يجعلك تكتب رسائل إلى شخص لن يقرأها أبدًا. ذلك الألم الذي *يعزلك*. ذلك النوع الذي أنت على ثقة من أنه لم يشعر به أي شخص آخر، على الإطلاق.

علقت عيناي بالأسطر الأخيرة.

يمكنك رؤية ذلك في ملامح وجهها. لقد سُلب واقعها منها، وهي تدرك ذلك.

لقد رحلت والدتها، وهي تدرك ذلك.

هناك عذاب في تلك الصورة.

في كل مرة أنظر إليها، أعتقد «أنني أعرف تمامًا كيف تشعر الفتاة».

دون التفكير في الأمر، سحبت قلمًا صغيرًا من جيبي، وضغطت به على الورقة.

وأسفل نص الفتاة المرتعش، أضفت كلمتين من عندي.

الفصل الثاني

أنا كذلك.

كانت الكلمات تهتز، وأنا أدرك أنّها ليست الورقة التي تهتز، بل يدي.

كاد خط اليد الغريب يحرق عيني.

شخص ما قرأ رسالتي.

شخص ما قرأ رسالتي.

نظرت حولي كأنّ الأمر قد حدث توًّا، لكن المقبرة كانت خالية.

لم آت إلى هنا منذ يوم الثلاثاء. إنه صباح الخميس الآن، لذا فإنها معجزة أن تظل الرسالة على حالها. في أغلب الأحيان، كان يختفي الظرف، أو يتلفه الطقس أو الحيوانات، أو ربما موظفو المقبرة.

ولكن في هذه الحالة، لم أجد الرسالة فقط *هنا*، لقد شعر شخص ما بالحاجة إلى إضافة تعليق.

كانت الورقة لا تزال تهتز في قبضتي.

لا أستطيع أن...

هذا...

ماذا -من سيفعل- كيف...

انتابتني رغبة في أن أصرخ. لم أستطع التفكير في جملٍ متصلة.

يحرق الغضب سرائري.

لقد كان هذا أمرًا *خاصًا*.. *خاصًا*. بيني وبين أمّي.

لا بدّ أن يكون الفاعل فتًى. فقد كانت هناك بصمات دهنية على الحواف، وكان خط اليد غليظًا. إنّه ضرب من الغطرسة، أن يحشر نفسه في حزن شخص آخر ويطالب بجزء منه. اعتادت أمّي أن تقول إنّ الكلمات دائمًا ما تحمل القليل من روح الكاتب، وأنا أستطيع تقريبًا أن أشعر بها تتدفق من الصفحة.

أنا كذلك.

لا، هو ليس كذلك. ليست لديه أدنى فكرة عن ذلك.

سأتقدّم بشكوى، فهذا غير مقبول. إنها مقبرة. يأتي الناس إلى هنا ليُواروا حزنهم عن الآخرين. وهذه مساحتي الخاصة.

الخاصة بي. وليس من حقه انتهاكها.

خَطَوت فوق العشب، رافضة السماح لنسمة الصباح البارد أن تطفئ نيراني المتقدة. شعرت بألم في صدري وأنا على وشك البكاء بجدّ.

لقد كان تبادل الرسائل أمرًا يخصنا، يخصني أنا وهي. والآن، إذ لم تعد أمي قادرة على الكتابة لي مجدّدًا، تعيد كلماته على رسالتي هذه الحقيقة إلى الواجهة. لقد كان الأمر أشبه بطعني بالقلم.

في الوقت الذي بلغت فيه قمّة التلة، كانت الدموع تتدلى من أهدابي وأنفاسي ترتعش. وأحالت الرياح شعري فوضى متشابكة. سأغدو حطامًا في دقيقة واحدة، وسأصل متأخرة إلى المدرسة بعينين حمراوين وماكياج تالف.

مرة أخرى.

اعتادت مستشارة التوجيه أن تُبدي بعض التعاطف تجاهي. لقد كانت السيدة فيكرز تسحبني إلى مكتبها وتقدم لي علبة مناديل. وفي نهاية سنتي الماضية، كنت أتلقى التربيتات على كتفي وهمسات التشجيع على أن آخذ كل الوقت الذي أحتاج إليه لتجاوز الأمر.

الآن، وبعد أن بلغنا منتصف سبتمبر، تكون قد مرت أشهر على وفاة أمي. ومنذ بداية الموسم الدراسي، راح الجميع يتساءلون متى سأستجمع نفسي. في الثلاثاء الماضي، أوقفتني السيدة فيكرز، وبدلاً من إلقاء نظرة لطيفة إليّ، زمّت شفتيها وسألت إن كنت لا أزال أذهب إلى المقبرة كل صباح، وربما يجب أن نتحدث عن طرق أفضل لإنفاق وقتي.

كما لو كان هذا الأمر من شأنها.

لم أكن أذهب كل صباح على أي حال، بل فقط في الصباحات التي يغادر فيها والدي إلى العمل مبكرًا، على الرغم من أني مقتنعة بأنه في الغالب لن يلحظ الفرق على أي حال. حين يكون في المنزل، يقلي بيضتين ويأكلهما مع وعاء من العنب قطفته من الكروم وغسلته. ويجلس على الطاولة محدّقًا إلى الحائط دون أن يتكلم.

يمكنني أن أضرم النار في المكان، وستكون معجزة لو أنه خرج في الوقت المناسب.

كان اليوم هو صباح العمل المبكر. وبدا نور الشمس والنسيم وهدوء المقبرة السلمي كأنها هِبة. فيما بدت الكلمتان المخربشتان في رسالتي كأنهما لعنة.

كان هناك رجل في منتصف العمر، من أصل لاتيني، يكنس أوراق الأشجار، ويجزّ العشب عن الطريق المُعبّدة، وقد توقف حين رآني أقترب. كان يرتدي ما يشبه زي الصيانة، وقد كُتب على صدره اسم ميليند يز.

«هل لي أن أساعدك؟» قال مع لكنة خفيفة. لم تظهر في عينيه أيّ فظاظة، لكنّه بدا متعبًا.

كان في صوته شيء من الحذر. لا بدّ أنّني قد بدوت شرسة. وربّما ظن أنّني جئت لأودع شكوى. يمكنني تمييز ذلك من نبرته.

حسنًا، كنت على وشك تقديم واحدة. إذ ينبغي أن يكون هناك قانون ما ضد مثل هذه الانتهاكات. وأحكمت قبضتي حول الرسالة، وجعدتها، ثمّ سحبت أنفاسي لأتكلم...

لكنّني توقفت.

لا يمكنني فعل هذا. هي لا تريدني أن أفعل هذا.

لا تنفعلي، جولييت.

لطالما كانت أمي أهدأ واحدة بيننا. لقد كانت رصينة، ورابطة الجأش في الأزمات. فقد كان ينبغي لها أن تكون كذلك، وهي تتنقل من منطقة حرب إلى منطقة حرب أخرى.

إلى جانب ذلك، كنت سأبدو مهووسة وغريبة الأطوار. أنا بالفعل أبدو كذلك. ثمّ ماذا كنت سأقول؟ أنّ شخصًا ما قد كتب كلمتين على رسالتي؟ الرسالة التي كُتبت لشخص ليس على قيد الحياة؟ قد يكون الفاعل أي شخص، فمئات القبور تصطف على طول الميدان حول قبر والدتي. ولا بدّ أن العشرات من الأشخاص يزورون المقبرة يوميًا، إن لم يكن أكثر.

وما الذي سيفعله رجل الاعتناء بالعشب لي؟ هل سيُجالس شاهد قبر أمي؟ أم يثبت كاميرا أمنية لمراقبته؟

للقبض على شخص يحمل قلمًا مخفيًا؟

قلت: «أنا بخير. أنا آسفة».

اتجهتُ إلى قبرها وجلست على العشب. سأتأخر عن المدرسة، لكنّني لم أكن أهتم. في مكان ما من بعيد، عاد السيد ميلينديز للعمل بمنفاخ الأوراق، ولكن هنا، كنت أجلس وحدي.

لقد كتبتُ لها منذ وفاتها تسعًا وعشرين رسالة. بمعدل رسالتين كل أسبوع.

كتبت لها مئات الرسائل حين كانت على قيد الحياة. ومع أنّ مسيرتها المهنية كانت تبقيها على اطلّاع بأحدث التكنولوجيات، إلّا أنها كانت تتوق دائمًا إلى كل ما هو قديم، إلى دوامه ودقته. كانت تحب الرسائل المكتوبة بخط اليد، والكاميرا ذات الفيلم. وعلى الرغم من أن لقطاتها الاحترافية كانت رقمية دائمًا، وهي لقطات يمكنها تعديلها أينما كانت، كان الفيلم هو المفضل لديها. وحتى حين تكون في بعض الصحاري الإفريقية، تلتقط صور المجاعة أو العنف أو الاضطرابات السياسية، كانت تجد دائمًا متسعًا من الوقت لتكتب لي رسالة.

لقد فعلنا الأشياء الطبيعية أيضًا، بالطبع: كتبادل الرسائل عبر البريد الإلكتروني والدردشة بالفيديو كلما سنحت لها الفرصة. لكنّ الرسائل كانت حقًا تعني شيئًا. فقد كانت تنتابني كل المشاعر من خلال الورقة، كما لو كان الحبر والغبار وبقع عرقها تضيف الوزن إلى الكلمات، ويمكنني أن أشعر بخوفها وأملها وشجاعتها من خلالها.

لطالما كتبت لها. وفي بعض الأحيان لم تكن تصلها الرسائل إلّا بعد أسابيع، بعد أن تشق طريقها عبر رئيس تحريرها إلى حيثما تكون في مهمتها. وفي بعض الأحيان تكون في المنزل، فأسلمها الرسالة في طريقي للخروج من الباب. لا يهم.. فقد كنا نبوح لبعضنا بعض بكل شيء على الورق.

وعندما ماتت، لم أستطع التوقف عن ذلك. كنت في أغلب الأحيان، وبمجرد أن أصل إلى قبرها، أجدني عاجزة عن التنفس حتى أضغط بالقلم على الورقة، وأسكب أفكاري.

لكن الآن، وبعد رؤية هذا الردّ، لا يمكنني كتابة كلمة أخرى لها. أشعر بضعف شديد. وبأنّني مكشوفة جدًا. إذ يمكن لأي شيء أقوله أنْ يُقرأ. أشعر بأنّني مخبولة، وأنّني عُرضة للأحكام.

لذا لن أكتب لها رسالة.

بل سأكتب له رسالة.

الفصل الثالث

إنّ الخصوصية وهم.

من الواضح أنك تعرف هذا، بما أنك قد قرأت رسالتي.

لم تكن الرسالة موجهة إليك. لم تكن لك. ولا علاقة لها بك. لقد كانت بيني

وبين والدتي.

أعلم أنها ميتة.

وأعلم أنها لا تستطيع قراءة الرسائل.

وأعلم أنه لا يوجد الكثير مما يمكنني فعله لأشعر بقربي منها بعد الآن.

لكن الآن لم أعد أمتلك حتى هذا.

هل تعي ما أخذته مني؟

هل لديك أيّ فكرة عن ذلك؟

ما كتبتَه يعني أنك تفهم العذاب.

ولا أعتقد أنك تفهم.

لو كنت تفهم، لما اقتحمت حيّز عذابي.

كانت فكرتي الأولى هي أنّ هذه الفتاة مجنونة، من ذا يكتب إلى غريب مجهول في مقبرة؟

أمّا فكرتي الثانية فكانت أنّه من الواضح أنّني لست من يقذف الحجارة هنا.

وفي كلتا الحالتين، هي لا تعرفني. إنّها لا تعرف ما أفهمه.

ينبغي حتى ألا أقف هنا. كانت ليلة الخميس، وهذا يعني أنّه من المفترض أن أعمل على جزّ الطرف الآخر من المقبرة. ولم يكن لدي الكثير من وقت الفراغ لأقف لقراءة رسالة من شخص غريب. وقد ألقى ميلونهيد نظرة إلى ساعته حين دخلت إلى مخزن المعدّات متأخرًا بخمس دقائق. وإذا ضبطني وأنا أتكاسل عن العمل، فسأدفع الثمن غاليًا.

وإذا ظلّ يهدّد بالاتصال بالقاضية، فسأخسر عملي.

بعد لحظة، تبدد غيظي الأولي، مخلفًا وراءه شعورًا بالذنب. وكان سبب توقفي هنا هو أنني قد شعرت بعلاقة مع الرسالة الأخيرة. وأردت أن أعرف إذا ما تُركت رسالة أخرى.

لم أتوقع أن *يقرأ* أحد ما كتبته.

إنّها لصفعة على الوجه إدراك أنّها شعرت بالشعور ذاته.

فتشت في جيوبي عن قلم، لكن كان كل ما وجدته هو مفاتيحي وولاعتي.

مهلًا، لقد كان ريف بحاجة إلى قلم في الحصة السابعة ومن غير عادته ألّا يعيد شيئًا اقترضه، حتى لو كان شيئًا تافهًا مثل قلم قديم.

ربّما هو القدر يطلب مني أن أتوقف وأفكر قبل أن أتكلم.. أو قبل أن أكتب.. أو أيًا يكن.

طويت رسالتها الحانقة ودسستها في جيبي. ثم سحبت قفازي وذهبت للبحث عن جزازتي. صحيح أنّني أكره وجودي هنا، ولكن بعد أسابيع من هذا، وجدت أنّ العمل الشاق جيّد للتفكير.

سأعمل، وسأفكر.

وبعد ذلك، سأعود إلى الكتابة.

الفصل الرابع

لا أعتقد أنّك أنت ذاتك تفهمين معنى العذاب. لو كنت تفهمين، لما كنت اقتحمتِ عذابي. هل فكرتِ للحظة أنّ كلماتي لم تكن مخصصة لتقرئيها أنتِ أيضًا؟

«جولز؟»

رفعت بصري فوجدت الكافتيريا فارغة تقريبًا، وروان تقف هناك، تنظر إليّ في ترقب.

ثمّ سألتني: «هل أنتِ بخير؟ لقد رنّ الجرس منذ خمس دقائق. وظننت أننا سنلتقي عند خزانتي».

أعدت طيّ الرسالة الرثة التي وجدتها هذا الصباح ودسستها في حقيبتي، وارتعشت يدي عند غلق السحّاب. لا أعلم متى كتبها، لكن لا بد أنّه فعل الأسبوع الماضي، لأنّ الورقة مجعدة كما لو كانت قد ابتلت وجفت مرة أخرى، ولم يهطل المطر منذ يوم السبت.

كانت هذه أول عطلة نهاية أسبوع لم أذهب فيها إلى المقبرة منذ فترة. ولا أنكر أنّ جزءًا صغيرًا مني قد شعر بالغضب لأن هذه الرسالة ظلّت هناك لعدة أيام. ومن المحتمل أنّ اعتقاده أنّه على حق قد تلاشى، بينما لا يزال اعتقادي أنا غضًّا وجديدًا وحارًّا في صدري.

أنا سعيدة لأنّني ذهبت هذا الصباح. فقد كانوا يجزون العشب في ليالي الثلاثاء، وكان من المحتمل أن يرمي بها العمّال إذا ما عثروا عليها.

سألتني روان: «ما الذي تنظرين إليه؟»

«إنّها رسالة».

لم يتعدَّ سؤالها هذا، فقد ظنّت أنّني أقصد رسالة إلى والدتي. تركتها تعتقد ذلك. ففي الوقت الحالي، لا أحتاج إلى أن يظن أيّ شخص أنّني أكثر جنونًا ممّا يعتقدون أنّني عليه بالفعل.

رنّ الجرس الأخير، وكان لا بد لي من التحرك. لأنّه إذا ما تأخرت مرة أخرى، فسينتهي بي الأمر في الحجز مرة أخرى. والفكرة وحدها كافية لتسريع خطواتي.

لا يمكنني أن أُحتجز مرة أخرى. لا يمكنني الجلوس في تلك الحجرة ساعة أخرى. فالصمت يؤلم أذني، ويتيح لي الكثير من الوقت لأستغرق في التفكير.

كانت روان تسير بقربي. ربّما سترافقني إلى الفصل وتطلب بكلامها العذب من المدرس ألّا يحرّر لي ورقة تأخر. فروان لم تكن لتقلق بشأن التأخر أو الاحتجاز، فقد كانت محبوبة لدى المدرسين. كانت تجلس في الصف الأمامي من كل فصل، وتتعلق بكل كلمة يقولونها، كما لو كانت تستيقظ كلّ صباح متعطشة للمعرفة. روان هي واحدة من تلك الفتيات اللواتي يودّ المرء لو يكرههن؛ فهي جميلة جدًّا، حلوة اللسان مع الجميع، وعلى ما يبدو طالبة متفوقة من غير جهد. وكانت لتكون أكثر شعبية لو لم تكن مثالية. ولطالما قلت لها ذلك.

وإذا ما كنّا نسمي الأشياء بمسمياتها، فإنّها كانت ستكون أكثر شعبية لو لم تكن الصديقة الحميمة لطالبة فاشلة في سنة التخرج.

حين وجدت الرسالة هذا الصباح، توقعت أنّني بمجرد أن أقرأها سأشرع في البكاء. لكن بدلاً من ذلك، اجتاحتني رغبة في أن أجد هذا الفاشل وألكمه في وجهه. ففي كل مرة أقرأ فيها الرسالة، يستبد بي الغضب.

هل فكرتِ للحظة أنّ كلماتي لم تكن مخصصة لتقرئيها أنتِ، أيضًا؟

يساعد الغضب على كتم الجزء الصغير منّي الذي يتساءل إن كان على حق.

كانت الممرات فارغة، الأمر الذي يكاد يكون مستحيلًا. إذ أين ذهب بقية المتهربين من الفصول؟ لماذا أنا دائمًا المتأخرة الوحيدة؟

ثمّ ليس الأمر كأنني لم أكن هنا. فقد كنت حاضرة جسديًا هنا في هذا المبنى. وليس الأمر كأنني سأتحول إلى طالبة نموذجية بمجرد أن يبدأ المعلم في أداء دور تشارلي براون على السبورة.

وما إن وصلنا إلى جناح فنون اللغة، صرنا نهرول، وننزلق عبر المنعطفات. وتمسكت بالركن لأنعطف وأندفع نحو القاعة الأخيرة.

وفجأةً شعرت بالحرق قبل أن أشعر بالاصطدام. لقد حرق السائل الساخن جلدي، فصرخت. كان كوبًا من القهوة انفجر على صدري، بعدها اصطدمت بشيء صلب، فانزلقتُ، وانفلتّ، ووقعت على الأرض.

كان *شخصًا* صلبًا.

وحين وقعت على الأرض، كان مستوى بصري عند حذاء عمل أسود غير لامع. ولو كنّا في فيلم من أفلام الكوميديا الرومانسية، لكانت هذه هي «لقطة الالتقاء». وكان الفتى ليكون نجم الفيلم الوسيم، والظهير الرباعي الأساسي، والطالب المتفوق.

كان ليمد إليّ يده، وكان سيكون لديه -من قبيل الصدفة- قميص إضافي في حقيبته. وكنت لأغير قميصي في الحمام، وبطريقة ما كان صدري ليكون أكبر، ووركي أصغر، وكان سيصطحبني إلى الفصل ويطلب منّي مرافقته إلى الحفلة الراقصة.

لكنّ الواقع كان غير ذلك، إذ لم يكن الفتى سوى ديكلان مورفي، وكان يزمجر حرفيًا. لقد كان قميصه وسترته غارقين في القهوة أيضًا، وراح يسحب القميص بعيدًا عن صدره.

إذا كان رجل الفيلم هو نجم الظهير الرباعي، فإن ديكلان هو منبوذ صف التخرج. ويمتلك سجلًا إجراميًا ومقعدًا دائمًا في حجرة الحجز. لقد كان ضخمًا ولئيمًا، وإذا كان شعره البني المحمر وفكه الحاد يثيران بعض الفتيات، فإنّ النظرة القاتمة في عينيه كافية لإبعادهن. كانت لديه ندبة تشطر حاجبًا واحدًا، وربما لم تكن تلك ندبته الوحيدة. لقد كان معظم الناس يخشونه، ولديهم سبب وجيه لذلك. في تلك الأثناء، كانت روان تحاول مساعدتي للنهوض وسحبي بعيدًا عنه.

نظر إليّ بازدراء مطلق، وكان صوته خشنًا وخافتًا حين قال: «ماذا *دهاك*؟»

ابتعدت عن روان، وكان قميصي قد التصق بصدري، وأكاد أجزم أنّه كان بإمكانه أن يرى بوضوح حمّالة صدري الأرجوانية

من خلال قميصي الأخضر الفاتح. وبقدر ما كانت القهوة ساخنة، شعرت حينها أنني مبلّلة ومتجمدة، وكان هذا مهينًا ومخيفًا في الآن ذاته، وقد عجزت عن أن أقرر إن كنت أرغب في البكاء أم في الصراخ في وجهه.

توقفت أنفاسي في الواقع، لكنني ابتلعت ريقي؛ إذ لم أكن خائفة منه.

«أنت من ركض في *اتجاهي*».

كانت عيناه شرستين، وردّ: «لم أكن الشخص الذي كان يركض».

ثمّ خطا نحو الأمام بعنف، فتراجعت قبل أن أستطيع تجنب ذلك.

حسنًا، ربّما كنت خائفة منه فعلًا.

لا أعرف ما الذي خطر ببالي أنّه قد يفعله، فقد كان عنيفًا جدًّا. لكنّه توقف لبرهة وتجهّم أمام رد فعلي، قبل أن ينتهي بالانحناء على الأرض لالتقاط حقيبة ظهره التي وقعت.

أوه.

ربما يوجد فيّ خطب ما. راودتني مجدّدًا الرغبة في أن أصرخ في وجهه، على الرغم من أنّ كل هذا كان خطئي. وشعرت بفكي يشتد.

لا تنفعلي، جولييت.

اجتاحتني ذكريات والدتي بقوة وسرعة، على حين غرّة، حتى بدت معجزةً أنّني لم أنفجر بالبكاء هنا. ولم يكن ثمّة شيء يبقيني متماسكة، حتّى كان من الممكن لكلمة واحدة خاطئة أن تُلقي بي مباشرة من الحافة.

نهض ديكلان، وما زالت أمارات التجهم على وجهه، وكنت على يقين من أنه سيقول شيئًا حقيرًا حقًا. وحريّ بأمر كهذا، بعد تلك الرسالة التأديبية، أن يدفعني للانهيار تمامًا.

ولكن بعد ذلك، التقت عيناه بعيني، ولمح فيهما شيئًا سرق التعبير القاتم من وجهه.

تحدّث صوت ضئيل من جانبنا. «ديكلان مورفي. أرى أنّك متأخر مرة أخرى».

كان السيد بيليكارو، أستاذ علم الأحياء الذي درّسني في السنة الأولى، يقف إلى جانب روان، التي كانت وجنتاها مضرجتين وتكاد تبدو مذعورة. لا بدّ أنّها شعرت بوجود مشكلة فركضت لإحضار مدرس ما. وهو شيء قد تفعله. لكنّني لم أكن متأكدة إن كنت منزعجة أم مرتاحة من هذا. فقد كان باب الفصل مفتوحًا خلفه، والطلاب يحدقون نحو الرواق.

مسح ديكلان قطرات من القهوة ظلت عالقة بسترته، وقال: «لم أكن متأخرًا. لقد اصطدمت بي».

زمّ السيد بيلكارو شفتيه، وكان قصيرًا ذا بطن مستديرة زادت من بروزها سترته الوردية. ولم يكن بالمدرس المحبوب. ثمّ قال: «لا يسمح بالطعام خارج الكافتيريا...»

فردّ ديكلان: «القهوة ليست طعامًا».

«سيد مورفي، أعتقد أنك تعرف الطريق إلى مكتب المدير».

«نعم، يمكنني أن أرسم لك خريطة». ازداد صوته حدة، ثمّ مال، مقطّبًا، وأضاف: «*لم يكن هذا خطئي*».

أجفلت روان من نبرته، وكانت يداها تهتزان تقريبًا. ولست ألومها، فلوهلة، تساءلت إن كان هذا الفتى سيضرب مدرسًا.

تراجع السيد بيليكارو، وقال: «هل عليّ أن أتصل بالأمن؟»

«لا». رفع ديكلان يديه، وغدا صوته ساخرًا. كانت عيناه كئيبتين وغاضبتين. «لا، إنّني ذاهب». ثمّ انصرف وهو يتمتم بالشتائم، وجعّد كوبه الورقي وقذفه في سلة المهملات.

تشظت الكثير من المشاعر داخل جمجمتي حتى أنّني بالكاد استقريت على شعور واحد. كان الشعور بالعار، لأنّه كان بالفعل خطئي، وقد وقفت هنا، وتركته يتحمل اللوم كلّه. ثمّ شعرت بالسخط، من الأسلوب الذي تكلم به، والخوف من الطريقة التي تصرف بها.

«هذه لك يا آنسة يونغ».

التفت، ووجدت السيد بيليكارو يمسك قصاصة بيضاء.

حجز. مرة أخرى.

الفصل الخامس

أنتَ على حق.

ما كان ينبغي أن أقتحم حزنك.

أنا آسفة.

هذا لا يعني أنّك كنت على حق حين قرأت رسالتي. وما زلت أكرهك نوعًا ما لذلك. فبسبب هذا، وجدتُني عالقة هنا لربع ساعة، أحدق في قصاصة ورق فارغة، أحاول أن أستذكر كيف هو شعور الكتابة عليها، وكيف كانت أفكاري أكثر استرسالًا من الحديث.

بدلاً من ذلك، كل ما يمكنني التفكير فيه هو أنت وعبارتك «وأنا كذلك»، وما تعنيه، وإن كان ألمك يشبه ألمي بأي شكل.

لا يعني أن هذا من شأني.

لا أعرف إن كنت ستقرأ اعتذاري حتى، لكنني بحاجة إلى قول الكلمات لشخص ما. لقد ظل الذنب يكبّلني لفترة حتى الآن.

هذا الشعور بالذنب ليس بسببك. بل بسبب شخص آخر.

وأنا مدينة لهذا «الشخص» بالاعتذار، لكنّني لا أعرفه أكثر مما أعرفك. أنا بالتأكيد لن أبدأ بكتابة الرسائل لاثنين من الغرباء. ففي الوقت الحالي، هذا أفضل ما يمكنني فعله، وأتمنى أن أتدارك الشعور بالذنب.

هل سمعت عن كيفين كارتر؟ لقد فاز بجائزة بوليتزر عن صورة لفتاة تحتضر. إنّها صورة مشهورة جدًا، لذا ربما قد تكون رأيتها.

كانت صورةً لطفلة صغيرة في السودان تتضور جوعًا، وكانت تحاول الوصول إلى مركز الإطعام. لقد كانت في حاجة إلى التوقف للراحة لأنها لم تكن أكثر من هيكل عظمي يجمعه جلد مشدود. لقد كانت بحاجة إلى الراحة لأنها لم تكن تمتلك القوة الكافية لبلوغ الطعام في رحلة ذهاب واحدة.

لذا استلقت هذه الفتاة الصغيرة على التراب، فيما حط نسر بالقرب منها، ينتظر.

هل فهمت الفكرة؟ لقد كان ينتظر أن تموت.

أفكر في تلك الصورة في بعض الأحيان. في تلك اللحظة.

أحيانًا أشعر مثل الفتاة.

أحيانًا أشعر مثل الطائر.

أحيانًا أشعر مثل المصور، غير قادر على فعل أي شيء سوى المشاهدة.

لقد انتحر كيفن كارتر بعد فوزه بالبوليتزر.

في بعض الأحيان أعتقد أنني أفهم دافعه.

أحتاج إلى أن أدخن.

كان العثّ يرفرف حول مصباح الشرفة، محدثًا أزيزًا لدى اصطدامه بزجاج المصباح. كانت الساعة قرابة منتصف ليلة الخميس، ويكاد الحي يغرق في الصمت.

لكنّ المنزل الذي خلفي لم يكن كذلك. فالآن، زوج أمي، لا يزال مستيقظًا، وأمّي في الخارج مع الأصدقاء، لذلك لم أكن مستعدًا للدخول بعد.

لم يكن آلان يحبني كثيرًا.

وصدّقني. كان شعورًا متبادلًا.

ظلّت الرسالة في جيبي الخلفي طوال المساء. ولم تكن لدي أي فكرة متى كتبت ذلك، ولكن لا بدّ أن يكون هذا خلال الثماني والأربعين ساعة الماضية. إذ لم تكن الرسالة هناك ليلة الثلاثاء، لأنني تفقدت المكان. وقد أنهكني ميلونهيد بالعمل في ذلك الوقت لأنّني تأخرت، ولم يرغب في سماع أعذاري.

قلت له حين وصلت متأخرًا: «لقد كنت في الحجز».

كان يصب الوقود في واحدة من جزازات العشب في مخزن المعدات. وكان الجو حارًا مثل الجحيم هناك، وقد التصق قميصه بجسده. لم يكن المخزن ذا مساحة كبيرة، ودائمًا ما كانت تنبعث منه رائحة خليط من العشب والبنزين. وكنت أحب ذلك.

لم تعجبني الطريقة التي نظر بها ميلونهيد إليّ، نظرة اشمئزاز، كما لو كنت مجرد كسول آخر.

ثمّ قال: «يمكنك تعويض ساعتك الضائعة يوم السبت».

«يمكنني تعويضها يوم الخميس».

«لا، ستعوّضها يوم السبت».

رفعت ورقتي.

«أنا مكلف بالعمل فقط أيّام الثلاثاء والخميس».

هزّ كتفيه واستدار نحو باب المخزن. «أنت مكلّف بالعمل من الساعة الرابعة إلى الثامنة. إنّها الساعة الخامسة وعشر دقائق. تستطيع تعويض ساعتك يوم السبت».

«انظر، يا رجل، يمكنني البقاء حتى التاسعة. . .»

«أتعتقد أنّني أريد البقاء حتى وقت متأخر من أجلك؟»

بالطبع لا. لقد أراد العودة إلى المنزل.. إلى زوجته وطفلته، حتى يكون لديه المزيد من القصص ليضجرني بها في المرة القادمة.

لكمت الجدار بجانب جزازتي وشتمت.

«أتعتقد أنّني أريد أن أكون هنا على الإطلاق؟»

توقف عند المدخل، وللحظة تساءلت إن كان سيسدد لكمة إلى وجهي. لكنه نظر إليّ، ولم يتغير صوته: «يجب أن تكون ممتنًا لوجودك هنا. إذا كنت تريد مني التوقيع على ورقتك بمدة ثماني ساعات، فستكون هنا يوم السبت».

همّ ميلونهيد بالاستدارة لكنّه توقّف.

«وانتبه لألفاظك. لا أريد هذا الكلام هنا».

فتحت فمي لأردّ عليه، لكنّه ظلّ واقفًا، وأشعة الشمس تلامس ظهره، فعرفت أنّه سيتصل بالقاضية في غضون لحظة إذا ما تماديت.

أكره أن يمسك هذا عليّ. تذكرت إعلان العقوبة، وكيف اعتقدت أن جز عشب المقبرة سيكون أمرًا سهلاً، ولن يزعجني أحد. لكن لم أكن أدرك أنّ هذا البرنامج سيشمل شخصًا سيستمتع بممارسة سلطة عليّ.

جعدت الورقة قليلا في قبضتي. «لا يمكنك أن تجعلني أعمل يوم السبت».

«إذا لم يعجبك الأمر، فعليك أن تأتي في الوقت المحدد».

في هذه الليلة حضرت مبكرًا، على أمل أن أحصل على نجمة ذهبية وتبرئة. لكن لا أمل. ومع ذلك وجدت رسالة من فتاة المقبرة.

وتساءل جزء مني إن كنت سأكون أفضل حالًا دون الرسالة هنا بين يدي. إنّها محبطة ومثيرة للفضول ومخيفة في آن واحد.

لا أعرف الصورة التي تتحدث عنها. ولم أكن أعرف الصورة الأولى أيضًا، *مع الصرخة والزهور والدم والمسدس*. وأكاد لا أحتاج إلى رؤيتهما، فكلماتها تُكبِّر التفاصيل بتركيز مؤلم.

ولكن الآن، عند قراءة أسطرها حول النسر والفتاة الصغيرة، شعرت برغبة في الذهاب للبحث عن الصورة.

اهتزت البوابة الجانبية، فقمت بطيّ الرسالة وأخفيتها تحت فخذي. ظننتها والدتي، لكن سمعت صوت الاستنشاق، فعرفت أنّه ريف. كان يعاني من الحساسية من كل شيء، بما في ذلك معظم الناس.

قلت: «أنت في الخارج لوقت متأخر». كان ريف من النوع الذي قد يسحبني من السرير عند الساعة السادسة صباحًا بدل أن يأتي ليناديني مع اقتراب منتصف الليل. «لقد جاءا بطفلة ظهيرة اليوم. وهي تأبى أن تنام. تقول أمّي إنّه قلق الانفصال، ويقول أبي إنّها ستهدأ سريعًا. أمّا أنا فقلت إنّني بحاجة إلى المشي».

لم يكن ريف غاضبًا. فقد اعتاد على ذلك.

كان جيف وكريستين والديه بالتبني. وكانا يعيشان على الطرف الآخر من الحي، لكن حديقتهم الخلفية كانت مائلةً عن حديقتنا، لذلك كنا دائمًا نرى الأطفال الذين يتدحرجون في منزلهما.

كان ريف أول طفل يتبنيانه. وقد جاء إلى هنا قبل عشر سنوات، حين كان في السابعة من عمره، وكان نحيلًا، يرتدي نظارات بعدسات سميكة، ويعاني من حساسية سيئة جدًّا، حتّى أنّه بالكاد كان يستطيع التنفس. لقد كانت ثيابه صغيرة جدًا، وكانت ذراعه في الجبيرة، ولم يكن يتكلم. كان جيف وكريستين ألطف شخصين على هذا الكوكب -يكفي أنهما لطيفان معي، وهذا يعني شيئًا- ومع ذلك، فقد هرب ريف من منزلهما.

وجدته في خزانة ملابسي متكوّرًا في الزاوية الخلفية، وينظر إليّ من خلال شعره الأشعث بينما يمسك بكتاب مقدس قديم.

كنت أحتفظ بصندوق من ألعاب الليغو هناك، لذلك ظننت أنّه قد أتى للعب. كما لو كان الأطفال يختبئون في خزانة ملابسي على الدوام، أو شيء من هذا القبيل. لا أعرف ما الذي كنت أفكر به، لكنّني انضممت إليه هناك وشرعت في البناء، ليتضح لي فيما بعد أنّه كان خائفًا من جيف وكريستين لأنّهما كانا أسودين. وكان والده قد أخبره أنّ السود أشرار وأنّ الشيطان هو من أرسلهم.

لكنّ المفارقة هنا هي أنّ والد ريف هو من اعتاد أن يبرحه ضربًا.

وعادة ما كان يقتبس من الكتاب المقدس وهو يفعل ذلك.

لقد تبنى جيف وكريستين ريف رسميًا قبل خمس سنوات. وعلى الرغم من أنّه يقول إنّ ذلك لم يكن بالأمر المهم، كونهما الأبوين الوحيدين اللذين عرفهما لسنوات على أيّ حال، ولم تكن تلك سوى ورقة، إلّا أنّه كان أمرًا مهمًّا حقًّا، فقد رسّخ هذا شيئًا داخله.

لقد أصبح يرتدي عدسات خلال النهار الآن، لكنّ شعره لا يزال طويلًا بعض الشيء من الجانب. وكانت أختي كيري تقول إنّه يختبئ خلف شعره. وحين كان ريف في الثامنة من عمره، أخبر جيف بأنّه لا يريد أن يتمكن أي شخص من إيذائه مرة أخرى. فسجلته كريستين في اليوم الموالي في صف فنون الدفاع عن النفس. وقد ظلّ ملتزمًا به إلى أقصى حد تقريبًا. وإذا كانت النظارات والحساسية والخجل تدفعك إلى التفكير في أنه مجرّد *فاشل*، فلن تقوى على قول ذلك في وجهه. إذ يمتلك الآن بنية عضلية كبنية مقاتل في فنون القتال المختلطة. أضف إلى ذلك، أنّه الصديق الحميم لشخص ذي سوابق - *أنا* - ما يجعل معظم الأولاد في المدرسة يتفادون اعتراض طريقه.

وهذا مثير للسخرية أيضًا، لأنّ ريف عدواني بقدر كلب مستردّ ذهبي عجوز.

تحركت لأفسح له مكانًا للجلوس، فارتمى على الدرج بجانبي.

قال: «ما الذي كنت تقرؤه؟»

لا بدّ أنّه رآني من الفناء. فترددت قبل أن أجيبه.

لكنّ هذا أمرٌ سخيف. فريف يعرف جميع أسراري. وقد كان شاهدًا على تداعي عائلتي، بما في ذلك محاولات والدتي الفاشلة لإعادة لمّ الشمل. حتى أنّه كان يعرف الحقيقة حول كيري، التي كنت أظن أنّني سآخذها معي إلى القبر في مايو الماضي.

ما زلت مترددًا. شعرت أنّني ربّما أخون الثقة إذا ما أخبرت أيّ شخص بأمر فتاة المقبرة.

ليس الأمر كأنني أعرف من تكون.

تريثت لحظة أخرى. ولم يقل ريف أيّ شيء.

ثمّ في الأخير، سحبت قصاصة الورق من تحت ساقي وسلمته إيّاها.

قرأ بصمت مدة دقيقة، ثم أعادها إليّ.

«من هذه؟»

«ليس لديّ أدنى فكرة». ثمّ أردفت: «إنّها ابنة زوي ريبيكا ثورن».

«ماذا؟»

قلبت الرسالة في يدي، مع تمرير الورقة بين أصابعي. «لقد وجدتها موضوعة أمام شاهد قبر الأسبوع الماضي. فقرأتها. كانت تتحدث عن. . .». تردّدت مرة أخرى. فبغض النظر عمّا كان يعرفه ريف، كان من الأسهل التحدث عن الحياة والموت مع قارئ مجهول. كان لا بدّ لي من أن أتنحنح قبل أن أقول: «كان الأمر يتعلق بفقدان شخص ما فجأة».

«وفكّرتَ في كيري».

أومأت.

جلسنا هناك في صمت لبعض الوقت، نصغي إلى رقصة العث أمام المصباح. وفي مكان ما على الطريق، انطلقت صفارة إنذار. ثمّ فجأة، توقفت.

قال ريف: «لكنّ هذه رسالة مختلفة؟»

«نعم. لقد كتبت ردًا على الأولى».

«كتبت ردًّا؟»

«لم أعتقد أنّها ستقرؤها!»

«ما الذي يجعلك متأكدًا جدًّا من أنّها فتاة؟»

إنّه سؤال جيّد. لم أكن متأكدًا تمامًا. ثم أنّ سؤاله الأول كان من *هذه*؟

«ما الذي يجعلك على يقين من أنّها فتاة؟»

«حقيقة أنّك لن تجلس هنا شاردًا مع رسالة من رجل. دعني أراها مرة أخرى».

تركته يفعل. وبينما هو يقرأ، ظلت كلماته تتردد في رأسي. *شاردًا*؟ هل أنا شارد؟ أنا حتى لا أعرفها.

ثمّ اقتبس من الرسالة: «أحيانًا أشعر كتلك الفتاة».

«بالضبط».

وتابع: «هذه ورقة من مفكرة».

«أعلم». لقد كانت في المقبرة محلية. وخطر لي أنها قد تكون طالبة في مدرسة هاميلتون الثانوية.

«يا صديقي. من الممكن أن تكون في الحادية عشرة من العمر مثلًا».

حسنًا، لم يخطر لي هذا.

انتزعت منه الرسالة.

«اخرس. هذا لا يهم».

فكّر ثم قال: «أمزح معك فقط لإغاظتك. لا تبدو كأنها في *الحادية عشرة* من العمر». ثمّ صمت قبل أن يعقّب: «ربما تُركت هذه الرسالة لك».

«لا، لقد كانت غاضبة جدًا لأنني رددت على رسالتها».

تردّد الآن، قبل أن يقول: «لا أقصد أنها هي من تركت الرسالة لك».

استغرق الأمر مني ثانية لتمييز نبرته.

«ريف، إذا بدأت بإلقاء المواعظ، فسأذهب إلى المنزل».

«أنا لا أعظ».

لا، لم يكن يعظ. ليس بعد.

لا يزال لديه ذاك الكتاب المقدس القديم الذي وجدته ممسكًا إيّاه في خزانة ملابسي. لقد كان لوالدته. وقد قرأه نحو عشرين مرة. وهو مستعد لفتح نقاشات حول اللاهوت مع أي شخص مهتم، ولم أكن ضمن تلك القائمة. لقد اعتاد جيف وكريستين أخذه إلى الكنيسة، لكنّه قال إنّه لم يحب فكرة أنّه لا يستطيع العيش بتفسيره الخاص.

لكن ما لم يقله هو أنّ رؤية رجل في المنبر قد ذكرته كثيرًا بوالده.

لا يتجول ريف في الأرجاء مقتبسًا آيات من الكتاب المقدس أو أيّ شيء من هذا القبيل -عادة- لكن إيمانه راسخ كالصخر. سألته ذات مرة كيف يمكن أن يؤمن بالعناية الإلهية بينما بالكاد نجا من العيش مع والده.

فنظر إليّ وقال: «لأنّني نجوت».

ولا يمكن لأحد أن يجادل في هذا.

أتمنى لو لم أخبره بأمر الرسائل الآن. لا أريد تحليلًا دينيًا.

ثمّ أضاف: «لا تقل إنّه الإله إذًا. لنقل إنّه القدر. ألا تجد أنّه من المثير للاهتمام أنّه من بين جميع الأشخاص الذين يمكن أن يجدوا هذه الرسالة، كنت أنت من فعل؟»

هذه واحدة من الأشياء التي أحبها أكثر في ريف. فهو لن

يفـرض أيّ شــيء علـى أحـد.

وأومـأت.

«هل ترغب في الرد على الرسالة؟»

«لا أدري».

«كاذب».

كان على حق. أريد أن أكتب مرة أخرى.

في الواقع، لقد خططت بالفعل لما سأقوله.

الفصل السادس

وددت أن أقول أنّك كئيبة نوعًا ما، لكنني أكتب إلى فتاة تترك رسائلَ في مقبرة، لذا أعتقد أنّ هذا أمر مسلم به.

قلت إنك تتساءلين إن كان ألمي يشبه ألمك في شيء.

لا أدري. لا أعرف كيف أجيب عن ذلك. لقد فقدت والدتك. بينما لم أفقد أنا والدتي.

ألا ترين أنه من المضحك كيف يقول الناس «فقدت» كما لو أنّ من فقدناهم لم يكونوا فقط في مكانهم؟ ولكن ربما يكمن المعنى المختلف لـ «الفقد» في أنكِ لا تعرفين إلى أين ذهبوا. يؤمن أعز أصدقائي بالله والجنة والحياة الأبدية، لكنّني لست متأكدًا ممّا أشعر به حيال كل ذلك. إنّنا نموت وتتحلل أجسادنا مرة أخرى في الأرض كنوع من الدورة البيولوجية، أليس كذلك؟ وهل من المفترض أن تخلد أرواحنا (أو أيًّا كان) إلى الأبد؟ ولكن أين كانت من قبل؟

سيموت صديقي إذا علم أنّني أتحدث معك عن هذا. لأنّ هذا هو نوع المواضيع التي لن أناقشها معه.

إذا كنت صريحًا تمامًا، فأنا على وشك تجعيد هذه الرسالة والبدء من جديد.

لكن لا. كما قلتِ، هناك بعض الأمان في الكتابة إلى شخص غريب تمامًا. يمكنني تشغيل الكمبيوتر والبحث عن اسم والدتك على غوغل وربما أكتشف شيئًا عنك، لكن في الوقت الحالي، أفضّل الأمر بهذه الطريقة.

لقد توفيت أختي قبل أربع سنوات. كانت في العاشرة من العمر. عندما يسمع الناس عن وفاتها في هذا العمر، يفترضون دائمًا أننا قد أمضينا أيامها الأخيرة محاطين بأطباء الأورام والممرضات. لكننا لم نفعل. لم نكن نعرف حتى أنها كانت أيامها الأخيرة. كانت صورةً متجسدة للعافية.

لم يقتلها السرطان. لكن والدي فعل.

كان بإمكاني إيقافه، لكنني لم أفعل ذلك.

لذلك عندما تقولين إنك تشعرين بأنّك مثل المصور غير قادرة على فعل أي شيء سوى المشاهدة، أعتقد أنني أعرف بالضبط ما تقصدينه.

كانت ظهيرة الأحد، وظللت جالسة تحت الشمس مدة ساعتين. كان يومًا مكتظًّا في المقبرة، وقد شاهدت المشيّعين يأتون ويذهبون طوال النهار.

لقد قرأت رسالته سبع عشرة مرة.

قرأتها مرة أخرى.

لقد فقد أخته. عادت بي ذاكرتي إلى الرسالة الأولى، حين قال *أنا كذلك*.

لقد فكر في البحث عنّي. حسنًا، البحث عن أمي. ولأنني كنت أراقب قبرها حرفيًا لأرى إن كان سيظهر، فلا يمكنني لومه في هذا تمامًا.

يمكنه استخدام أيّ محرك بحث يريده، لكنّه لن يعثر على الكثير عني. لقد صنعت والدتي لنفسها اسمًا كمصورة صحفية

قبل أن تتزوج، لذا فهي بالتأكيد لن تغيره. ولن يقود البحث في غوغل عن «زوي ثرون» أي شخص إلى جولييت يونغ. كما أنّ اسمي العائلي لم يذكر حتى في النعي.

تركت زوي وراءها زوجها تشارلز وابنتها جولييت. «*تركت وراءها*». هذا الفتى على حق. فالكلمات التي نحيط بها الموت غريبة حقًّا كأننا نخفي شيئًا.

أعتقد أنّ النعي لن يُقرأ بشكل صحيح إذا ورد فيه شيء من قبيل: *توفيت زوي في طريق عودتها من المطار بعد تسعة أشهر قضتها في مهمة في بؤرة حرب، وتركت زوجها تشارلز وابنتها جولييت مع كعكة ترحيب بالعودة إلى الديار ظلت في الثلاجة مدة شهر قبل أن يتحمل أيّ منهما عناء رميها.*

لذلك ربما نحن نخفي شيئًا.

الآن أفهم عدم قدرته على مقارنة ألمنا. أنا طفلة وحيدة لدى والدي، لذلك لا يمكنني استيعاب أن أفقد أخًا. ومنذ وفاة أمي، يبدو أنني ووالدي ندور في أفلاك منفصلة من الحزن، ولا نتواجه إلّا إذا كان ذلك ضروريًا جدًّا. ومع ذلك، أنا على يقين أنّ أبي ليس قاتلًا. فهو بالكاد يعي هذه الأيام.

لم يقتلها السرطان. والدي فعل.

كان ذلك قبل أربع سنوات. أرهقت دماغي وأنا أقلب في ذاكرتي، محاولة تذكر أيّ شيء قد يكون ورد في الأخبار عن أب يقتل ابنته. قبل أربع سنوات، كنت في الثالثة عشرة من عمري. وليس هذا من نوع القصص التي كان والدي ليشاركها على مائدة العشاء، وكانت أمي مصدرًا أفضل للأخبار العالمية حتى حين تكون في المنزل. إذ يمكن لأمي أن تتحدث عن الحرب

الجيوسياسية مع رؤساء الدول، لكن الجريمة المحلية؟ اِنسَ الأمر. ستقول إن هذا أقل من سلّم أجرها.

لحظة.

قبل أربع سنوات، كانت أخته في العاشرة. هذا يعني أنها ستكون في الرابعة عشر من العمر الآن.

هل فتى الرسائل هو أخ أكبر أم أصغر؟ هل من الممكن أنّني أتبادل الرسائل مع طفل في الثانية عشرة من العمر؟ أو شخص في أوائل العشرينيات من عمره؟

لكن محادثاتنا ناضجة جدًّا بحيث لا يمكن لصبي في الثانية عشرة من العمر أن يكتبها. أضف إلى ذلك، أنّ رسالته مكتوبة على ورق دفتر الملاحظات، تمامًا مثل رسالتي.

وهذا يعني أنّه في المدرسة الثانوية أو الكلية.

وقد استخدم قلم الرصاص في الكتابة، ما يجعلني أفكر في المدرسة الثانوية. لكنّني لست متيقنة.

على بعد عشرين قدمًا مني، كان رجل عجوز يضع الورود عند شاهد قبر، فانعكس ضوء الشمس من خلال بلاستيك الباقة.

كان هذا هدرًا للمال، لأنّهم سيجزون هذا القسم يوم الثلاثاء، وأنا متأكدة من أنّهم يرمون كل الهراء الذي يتركه الناس ملقى في المكان. لهذا السبب لم أترك أيّ شيء سوى الرسائل.

لقد رموا كل الهراء.

الرسائل. رجل الصيانة. ما كان اسمه، السيد ميليينديز؟

فجأة شعرت بأنّني مكشوفة، على الرغم من أنّها كانت ظهيرة يوم الأحد، وهم لا يجزّون أيام الأحد.

همّ الرجل صاحب الورود بالمغادرة. وربّما لاحظ وجودي هنا، لكن لا أحد ينظر إليّ حقًا. ولا أنظر بدوري إلى أحد أبدًا. فالحزن يُوحّدنا جميعًا، وبطريقة ما كان هو ما يفرّقنا.

توفيت أختي قبل أربع سنوات.

يا لي من مغفلة. من المحتمل أن يكون فتى الرسائل مجرّد زائر، وقد أخبرني تقريبًا كيف أجد قبر أخته. لا بدّ أن تكون قد دفنت بالقرب من هنا. وإلّا كيف وجد رسائلي؟

بدأت في المشي بين صفوف القبور، في حركة لولبية، بحثًا عن شواهد القبور القديمة بعض الشيء. في بعض الأحيان تكون سنة الوفاة صحيحة، ولكن ليس السن أو الجنس. كان العشب يُسحق تحت قدمي وأنا أمشي، ووصلت في النهاية إلى السياج الحديدي عند حافة الملكية. لقد تأخر الوقت الآن، وقد ذهب الجميع إلى المنزل لتناول العشاء أو العودة إلى عائلاتهم فيما بقيت بمفردي، وقد ابتعدت بنحو مئة قدم على الأقل من قبر أمي.

بعيدًا جدًّا عن المجال الذي يتيح للزائر العادي رؤية رسالة تُركت تحت صخرة عند قاعدة شاهد قبر.

ممم.

اهتز هاتفي الخلوي عند فخذي، فأخرجته من جيبي، متوقعة رسالة من روان.

لا، كان أبي. وقد أرسل لي صورة.

عبست. لا أتذكر آخر مرة أرسل لي فيها رسالة نصية وصورة! مررت أصابعي عبر الشاشة لفتح الهاتف.

ظهرت طاولة المطبخ. وللحظة، لم أستطع تحديد ما ينتشر فوقها. ثم اتضحت الصورة، وتوقف قلبي عن الخفقان.

لقد كانت معدات التصوير الخاصة بها.. جميعها.

ربّما قام أيضًا بنخر جسدها ووضع هيكلها العظمي على طاولة المطبخ، ثم أرسل لي صورة لذلك.

يمكنني تسمية كل قطعة من المعدات. وإذا ما عُرضت عليّ إحدى صورها، فربما يمكنني أن أتعرّف على الكاميرا التي استخدمتها. كانت حقائبها معلّقة على ظهر أحد الكراسي، ويمكنني حرفيًا أن أشم روائح الجلد الممزوج بالدم والعرق والدموع التي تراكمت من أسفارها. وفي كل مرة كانت تعود فيها إلى المنزل، كنت أساعدها على إخراج الحقيبة، وما زال وزن تلك الكاميرات ورائحة حقائبها ملفوفًا بإحكام حول تلك الذكريات.

كنت أفعل ذلك في كل مرة، باستثناء المرة الأخيرة.

لم ألمس حقائبها منذ وفاتها. لم ألمسها.

تلك أشياؤها.

تلك *أشياؤها*.

لطالما أفرغنا حقائبها معًا. كانت تروي لي قصصًا سرية عن رحلاتها، ونبقى مستيقظتين إلى وقت متأخر، نشاهد فيلمًا رومانسيًا بعد ذهاب أبي للنوم. ولا تزال هناك علبة من الآيس كريم بطعم الكرز في الثلاجة لم تُمس، ولم يعد بالإمكان التعرف عليها الآن تقريبًا تحت الثلج المتراكم فوقها. كنت قد اشتريتها لنتقاسمها معًا. لكنّي لن آكل هذه النكهة مرة أخرى أبدًا.

لم يكن يهتم قط بقصصها. لم يكن *يهتم قط*.

وهو الآن يلمس أشياءها.

كانت أصابعي المتعرّقة ترتعش. وبالكاد كنت أستطيع إمساك الهاتف.

يظهر سطر مكتوب أسفل الصورة.

ش.ي: لقد عرض إيان أن يأخذ هذه منّا. سيأتي لتقديم عرض إليّ. هل هناك أيّ شيء تريدينه قبل أن أسمح له بأخذها؟ ماذا.

أعتقد أنني أصبت بنوبة هلع. كان صوت اللهاث يخرج من فمي.

وبطريقة ما، وصل الهاتف إلى خدي وصوت والدي في أذني.

«ما الذي تفعله؟»، وأردت أن أصرخ، لكن صوتي خرج رقيقًا وهزيلًا، وقد أثقلته الدموع. «توقف عن ذلك! أعد الأشياء!»

«جولييت؟ هل أنت. . .»

«كيف استطعت؟» الآن صرت أبكي. «لا يمكنك. لا يمكنك. لا يمكنك. كيف استطعت؟»

«جولييت». بدا صوته مذعورًا. وكان هذا أول انفعال بدر منه منذ وفاتها.

«جولييت. رجاء. هدئي من روعك. أنا لم. . .»

«تلك أشياؤها!» اصطدمت ركبتاي بالأرض، وارتطم جبيني بقضبان الحديد المطاوع من السياج.

«إنّك لم. . . هذه *أشياؤها*. . .»

خمد صوته، وقال: «جولييت.. لن أفعل. لم أكن أعلم أنّ. . .»

كان يقتلني. وشعرت بالألم يمزّقني، وبالكاد كان بإمكاني أن أمسك الهاتف.

أكرهه. أكرهه لهذا السبب.

أكرهه.

أكرههأكرههأكرههأكرههأكرهه[1].

لا تنفعلي، جولييت.

غشى الضباب عينيّ وشعرت بالعالم يدور من حولي، وبدا كأنّه قد مرّ وقت طويل قبل أن أدرك أنّني مستلقية على العشب، فيما ينبعث صوته كصدى صغير من الهاتف.

قربت الهاتف من أذني، وراحت البقع تومض أمام عينيّ.

كان يصرخ: «جولييت! جولييت، سأتصل برقم الإنقاذ. أجيبي!»

اختنقت، وشهقت: «أنا هنا.. لا يمكنك فعل هذا. أرجوك».

همس: «لن أفعل. حسنًا! لن أفعل».

لا تزال أشعة الشمس تضربني، وتُحوّل دموعي إلى خطوط حارقة على وجهي. «حسنًا».

ينبغي أن أعتذر، لكنّني عاجزة عن إيجاد الكلمات. بدا الأمر كأنني أعتذر على أنّني انفعلت على شخص لأنه غرز مسمارًا حديديًا في صدري. لم تتوقف أنفاسي عن اللهاث.

ثمّ قال: «هل ترغبين في أن آتي لآخذك؟»

«كلّا».

«جولييت. . .»

«كلّا».

لم أكن قادرة على المغادرة بعد. لا أستطيع الذهاب إلى المنزل ورؤية جميع أغراضها معروضة على الطاولة.

1- وردت بهذا الشكل في النص الأصلي. (المترجمة)

قلت له: «أعد الأغراض إلى مكانها».

تردّد قبل أن يقول: «ربّما يجب أن نتحدث. . .»

سأصاب بالغثيان. «أعد الأغراض!»

«سأفعل.. سأفعل». تردّد مرة أخرى. «متى ستعودين إلى المنزل؟»

لم يسألني هذا السؤال منذ وفاتها. وكان هذا أول مؤشر على أنّه يدرك أنّني ما زلت موجودة.

ربّما ينبغي أن أشكر حظي على أنّه كلّف نفسه عناء سؤالي إن كنت أريد أيًا من أغراضها.

ربّما سيندم على اللحظة التي أرسل فيها هذه الرسالة النصية.

«حين أكون مستعدة».

وأنهيت المكالمة.

الفصل السابع

يمكنك البحث عن والدتي إن شئت. إذا بحثت عن «صور زوي ثرون في سوريا»، فستجد واحدة من أشهر صورها. كانت صورةً لطفل وطفلة صغيرين يتأرجحان ويضحكان. وكان خلفهما مبنى تعرض للقصف، يقف أمامه رجلان يحملان بندقيتين رشاشتين. وكانت ثياب الجميع قذرة، ومثقلة بالعرق والغبار. وكان الرجلان يتصببان عرقًا مرهقين ومرتعبين. لم يصمد شيء سوى تلك الأرجوحة.

لم أتمكن قط من تحديد إن كانت الصورة محبطة أم باعثة على الأمل.

ربّما كانت تحمل المعنيين معًا.

كنت قد خبأت معدّات والدتي في زاوية خلفية من القبو منذ وفاتها. ولم يلمسها أحد حتى اليوم. بعد ظهر هذا اليوم، كان والدي على وشك بيع كلّ شيء لرئيس تحرير والدتي السابق.

لم أتقبل الأمر بشكل جيّد.

إنّها معدات كثيرة، وتكلّف الكثير من المال. فقيمتها تقدّر بآلاف الدولارات، أو ربّما عشرات الآلاف من الدولارات. صحيح أنّنا لسنا بالعائلة الثرية، لكنّنا لا نمر بضائقة مالية. ويقول أبي إنّه لا يهتم بالمال، ولهذا أردت أن ألكمه. إذا لم يكن يهتم بالمال، فلماذا يفعل ذلك؟ لماذا يتخلص من أغلى ما لديها؟ هذا طبعه، على أيّ حال. سألته إذا كان سيكون أكثر شهامة في بيع خاتم زواجهما، فقال أنّه قد دفن معها، ثمّ أجهش بالبكاء.

حينها شعرت بقرف لعين. وما زلت أفعل.

من السخيف أن أشطب هذه الكلمة. ربّما هذا بحكم العادة. إذ لم تكن أمي تتسامح قط مع الألفاظ البذيئة.

كانت تقول إنّها قد أنفقت الكثير من المال في تعلم استخدام الكلمات والصور بشكل فعال، وبدا أنّه من الهدر إلقاء قنبلة «بذيئة».

كان السبب الوحيد في أنني علمت أنّ والدي كان سيتخلص من أغراضها هو أنّه سألني إن كنت أريد أيًا منها. لم ألمس الكاميرا منذ وفاتها. وكان من المفترض أن أنال الشهادة في التصوير الفوتوغرافي هذا العام، لكنّني تخليت عن الصف.

للمرة السادسة على الأقل والمدرّس يخبرني بأنّه سيرحب بي ثانية في الصف إذا ما غيّرت رأيي، لكنّ فرصة حدوث ذلك هي بقدر فرصة عودتها من بين الأموات. إنني عاجزة عن تقريب الكاميرا إلى وجهي دون التفكير فيها. حتى أنني لم أعد أرغب في التقاط أيّ صورة.

لا، هذا غير صحيح.

ففي الأسبوع الفائت، رأيت في عينيّ أحدهم الكثير من المشاعر المحاصرة، لدرجة أنّني أردت التقاط كاميرا في تلك اللحظة. وبالكاد كنت أعرفه، ولم أره إلّا دقيقة واحدة، لكنّ الأمر كان أشبه بانغلاق مصراع الكاميرا في دماغي. لطالما كانت أمي تقول إنّ الصورة لا تساوي شيئًا ما لم تولِّد رد فعل، وأنّ الأمر يتطلب موهبة لالتقاط شعور في صورة. لا أعتقد أنّني قد فهمت حقًا ما يعنيه ذلك حتى تلك اللحظة.

لكن لم تكن معي كاميرا حينها، وليس الأمر كأنّك تستطيع التقاط صورة لشخص غريب عشوائي دون إثارة بعض الأسئلة.

ابحث عن صورتها في سوريا إذا سنحت لك الفرصة. أشعر بالفضول لسماع رأيك.

لقد كانت أمّي هناك عندما انفجرت القنبلة. وكانت محظوظة في النجاة.

أعلم أنّها كانت محظوظة لأنّ والدي كان يقول لها ذلك طوال الوقت. وعادة ما يكون مغتاظًا بعض الشيء حين يقول ذلك.

«أنت محظوظة لأنك هنا يا زو. يومًا ما ستستنفذين كلّ حظك. ألا يمكنك التقاط صور ذات معنى هنا في واشنطن أو وسط مدينة بالتيمور؟»

كانت تضحك وتقول إنّها كانت محظوظة لأنها حصلت على الصورة.

كان على حق، على الرغم من ذلك. فقد استنفذت كل حظها. لقد قُتلت في حادث سير فرّ فاعله في طريق عودتها من المطار. كانت في سيارة الأجرة تلك فقط لأنني توسلت إليها أن تعجّل بالعودة إلى المنزل، فاستقلّت طائرة مبكرة كمفاجأة.

في بعض الأحيان أعتقد أن القدر يتآمر علينا. أو ربما يتآمر معنا.

أعلم أنّك تعرف ما أعنيه. ألا تشعر بالشيء نفسه تجاه أختك؟

لم يكن ميلونهيد هنا. ظللت جالسًا عند باب مخزن المعدات لنصف ساعة، ورحت أتساءل إن كان سيأتي. أنا أعرف الروتين

الآن، ويمكنني أن أبدأ الجزّ دونه، لكن لم يكن لدي مفتاح.

سحبت هاتفي ورحت أبحث عن الصورة التي وصفتها فتاة المقبرة. إنّها على حق: يبعث الطفلان بصيصًا من الأمل بابتسامتيهما المشرقتين، ويمكن للمرء أن يستشعر حركة الأرجوحة. في حين يبدو الرجلان اللذان يحملان البنادق كما لو أنّه لم يتبق لديهما أيّ أمل. وكان أحدهما ينزف من جرح في صدغه. وتساءلت لما قد يسمح أيّ أحد للأطفال بالتأرجح في مدينة تعرّضت للقصف! لكنني سرعان ما أدركت أنّه ربما لم يتبق هناك أيّ مكان لإخفائهم.

«مرحبًا!»

رفعت رأسي. كانت طفلة صغيرة ترتدي فستانًا أرجوانيًا تركض عبر العشب. وكان شعرها أسود فاحمًا يلمع تحت الشمس. كانت جدائلها المجعدة تهتز مع كل خطوة، وبدت سعيدة لكونها على قيد الحياة.

«مرحبًا!»

من ذا الذي هي متحمسة جدًا لرؤيته؟ لا أحد هنا.

ثمّ ظهر ميلونهيد، يتبعها بوتيرة أكثر اتزانًا. لا بدّ أن هذه هي ابنته.

دسست هاتفي في جيبي ووقفت. لم أستطع قط فهم هذا الرجل، لكنّني أميل إلى أن أتهجم عليه لمجيئه متأخرًا بعد أن وبخني لهذا السبب الأسبوع الماضي.

بعد ذلك، تشبثت الفتاة الصغيرة بساقي. فتفاجأت وتعثرت خطوة إلى الوراء. فضحكت على ردة فعلي لكنّها لم تفلت ساقي.

«مرحبًا!»

قالت مرة أخرى، وهي تغرز أصابعها بطريقة تضمن أنّها لن تفلت ساقي. وكانت تبتسم لي بفم مليء بأسنان لبنية.

«ماريسول!» ركض ميلونهيد آخر عشرة أقدام تفصل بيننا والتقطها، وقلبها على ذراعه ليحملها على كتفه.

فضحكت ملء فيها. «توقف يا *بابا*!»

«آسف، يا مورف».

قال ميلونهيد وهو يلتقط حلقة مفاتيح من جيبه. وكان صوته متعبًا، ثمّ أردف: «إنّها تعانق الجميع».

يذكّرني شيء من هذا بتلك البراءة المبتهجة في صورة البلدة التي تعرضت للقصف. هذه الفتاة الصغيرة لا تعرفني، وهي لا ترى ما يراه الجميع. وهذا ما يجعلني أرغب في تحذيرها للابتعاد عني.

ثمّ مرة أخرى، كان ميلونهيد سريعًا جدًا في اختطافها، كما لو أنّني كنت سأقدم على فعل شيء يؤذيها.

كنت أقف هناك متذمّرًا، عندما ناداني من داخل مخزن المعدات، وقد رفع باب المرأب حتى نتمكن من إخراج الجزازات.

«هل أنت مستعد للعمل أم ماذا يا فتى؟»

«منذ نصف ساعة وأنا مستعد للعمل».

توقعت أنّه سينفجر في وجهي، لكنه لم يفعل. وألقى إليّ بزوج من قفازات العمل، وقال: «أنا أعلم. أنا آسف. كان على كارمن العمل إلى وقت متأخر، لذلك كان على أحدنا أن يحضر ماريسول. اعتقدت أن بإمكاني المجيء في الوقت».

لم أكن أتوقع أيّ اعتذار منه، وهذا ما أحدث فجوة في غضبي.

ارتديت القفازين وأمسكت كيس قمامة لجمع تشكيلة الليلة من التذكارات.

ركب ميلونهيد جزازة العشب ونادى ابنته: «هل تريدين القيادة، يا كوتورا؟»

«نعم!» قالت، تاركةً جدار الغبار الذي كانت قد بدأت ترسم عليه زهورًا أو وحوشًا أو أيّا كان من المفترض أن تكون هذه المخلوقات غير البشرية. وتسلقت الجزازة بقليل من المساعدة، لتستقر أمامه، ولفّت يديها الصغيرتين حول عجلة القيادة.

للحظة، كنت طفلًا مرة أخرى، أشاهد كيري تبذل جهدًا لركوب الشاحنة «لمساعدة» أبي في القيادة. وكنّا نتشاجر على من كان دوره في الجلوس بجانبه.

لا بدّ أن أشيح بنظري. ثمّ ركبت جزازتي الخاصة. ربّما كانت كتابة هذه الرسالة فكرة سيئة، فقد بُحت بأكثر ممّا ينبغي، وفي كل مرة كنت أضع فيها قلم الرصاص على الورق، يصبح الأمر أشبه بقيادة حفّارة وسط الذكريات التي أريد أن أتركها مدفونة.

كان محرك جزازة ميلونهيد يدور بقوة، ثم انقبض. وبعد لحظة، توقف تمامًا. فتمتم بشيء بالإسبانية ثمّ حاول تشغيله مرة أخرى. فدار هذه المرة وبدا كأنّه لن ينقبض ثانية، لكنّه توقف في النهاية.

حاول مرة ثالثة.. ورابعة.

ثمّة تعريف للجنون بأنّه فعل الشيء نفسه مرارًا وتكرارًا، مع توقع نتيجة مختلفة.

ناديته: «هاي».

تجاهلني وحاول مرة أخرى. والآن لم تشتعل على الإطلاق. فأطفأت جزازتي ونزلت.

«هاي!»

ترك المفتاح ونظر إليّ بنفاد صبر.

«ماذا؟»

«يبدو أنّ هناك مشكلة في خط الوقود الخاص بك».

«ماذا تعرف عنه؟»

أكره هذا. أكره حين يعاملني الناس كواحد من الحمقى الذين بالكاد يستطيعون معرفة الوقت.

«أعلم أنّ المشكلة تبدو في خط الوقود الخاص بك. متى كانت آخر مرة فحصت فيها المصفاة؟»

«أنا لا أقوم بصيانة الآلات، مورف. لديها خدمة ما بعد البيع».

«إذًا، فخدمة ما بعد بيعها مجرّد هراء».

حينها قالت ماريسول بلغة طفولية: «حِدمة ما بعد بيعها مجرّد *هراء*». وراحت ترتد في المقعد، وتقول: «هيّا، بابا. انطلق، جرّار، انطلق».

«شكرًا جزيلًا، يا فتى». بدا ميلونهيد غاضبًا، ثمّ رفعها من مقدمة الجزازة ووضعها على الأرض.

«اعتقدت أنّني تأخرت مسبقًا. أمّا الآن فسأضطر إلى العمل يوم السبت».

«هل لديك عدّة؟ قد أكون قادرًا على إصلاحها».

«لا أعتقد أنّه يجب العبث بها».

«حسنًا. لا يهم». فلتذهب إلى الجحيم. لقد عرضت خدمتي ورفض. ركبت على جزازتي وشغلتها.

وهممت بإخراجها من المخزن عندما ناداني من خلفي: «حسنًا! تعال وانظر ما يمكنك القيام به».

كانت الجزازة في حالة كارثية. واستغرق الأمر منّي دقيقة إضافية لأصل إلى المحرك لأنّ المفصلة كانت صدئة. لا أعرف من الذي كان يأخذ أموالهم، لكنّ هذا الشيء لم يخضع لصيانة على الإطلاق. وبينما كنت أتفحص المحرك، تفقدت وعاء الزيت. لقد كان الزيت أسود وكثيفًا كالحساء، فأخبرته بذلك.

قال: «ما الذي يجعلك خبيرًا في الجزازات؟»

وكانت ابنته قابعة بيننا، كما لو أنّها عنصر رئيسي ضمن جهود الإصلاح. وراحت عيناها تتحركان ذهابًا وجيئة بيننا، وكانت تكرر تقريبًا كل كلمة أقولها.

«لم أقل أنّني خبير في الجزازات. هذه أشياء أساسية».

مررت ذراعي على جبهتي قبل أن يدخل العرق إلى عيني.

«المحرك هو المحرك».

«هل لك معرفة بالسيارات؟»

هززت كتفي وأبقيت عيني على المحرك بينما كنت أعيد وعاء الزيت إلى مكانه. لقد اعتدت على ثرثرات ميلونهيد، لكنه بالعادة لا يتحدث معي مباشرة.

«أعرف عمّا في داخلها أكثر ممّا في خارجها».

«هل يمكنك إصلاحه ليشتغل هذه الليلة؟»

«ربّما. تحتاج مصفاة الوقود إلى استبدال، ولكن ربما يمكنني تنظيفها بما يكفي». سحبت المصفاة ونفخت فيها.

مالت ماريسول إلى الأمام وحاولت فعل الشيء ذاته، فأمسكتها لها لتجرب.

كان ميلونهيد يراقبنا، فسحبت المصفاة منها مرة أخرى، وقد تذكرت كيف أبعدها عنّي.

قال: «من اللطيف أن تسمح لها بالمساعدة».

شعرت بالخجل وألقيت نظرة إلى المحرك. كان ريف أفضل مني حقًا مع الأطفال، إذ لا أمتلك الكثير من الخبرة في التعامل معهم. «ليس كأنّها يمكن أن تفسدها».

فقالت بسخط: «أنا لا أفسد شيئًا!»

ابتسمت، وقلت: «إلى جانب ذلك، تبدو كأنّها تدوّن الملاحظات، لتجعل منها دليلًا لها في وقت لاحق».

عانقها، وقال: «إنّها ببغاءتي الصغيرة».

فردّت بتذمّر: «أنا أساعد!»

فقال: «بالطبع تفعلين».

مسحت المصفاة من الخارج، ونفخت فيها مرة أخرى. «لا يمكنني أن أضمن أنّها ستصمد طوال الليل، ولكن هذا من شأنه أن يساعدك في جزّ قسم أو اثنين».

«هل علّمك والدك هذا؟»

«نعم».

«هل هو ميكانيكي؟»

«لم يعد كذلك».

مكتبة
t.me/soramnqraa

لا بدّ أنّه ميّز النبرة في صوتي، إذ بإمكاني تمييز تردده بعد أن كان يريد أن يسأل. ودهشت من أنّه لا يعرف تاريخي بالكامل من القاضية، ولكن ربّما حصل فقط على تفاصيل جرائمي وليس على جرائم والدي.

لا بدّ أنّه فكر بشكل أفضل في ذلك. «شكرًا مورف».

ثبّتُّ المصفاة في مكانها، ثمّ نظرت إليه. وقد حاولت إبعاد الغضب عن صوتي، لكنّه تسلل قليلًا إليه: «اسمي ديكلان».

لم يكن ميلونهيد يُفوِّت فرصة. فمدّ يده، وقال: «سررت بلقائك. اسمي فرانك».

طَرفت. «فرانك؟»

هز كتفيه، وقال: «هل يناسبك إذا أخبرتك بأن تناديني فرانسيسكو؟»

أشحت نظري الآن، وقد تملّكني الخجل تقريبًا. ليس الأمر كما لو كنت قد دعوته بيدرو أو ما شابه.

على الرغم من أن ذلك ربما كان ليكون أفضل من *ميلونهيد*.

ربّت على كتفي، وقال: «ألم يعلمك والدك المصافحة؟»

سحبت قفاز العمل من يدي ومددتها لأصافحه.

قال: «أنت لست فتى سيئًا لتكون هنا، ديكلان».

تنهدت وقلت: «أنت لم تعرفني لفترة كافية».

***

كان زوج أمي جالسًا في غرفة المعيشة عندما اجتزت الباب. وعادة ما أتحقق قبل الدخول، لكن كل ما أرغب فيه الآن هو مشروب غازي وأخذ دش وفرصة للمرور مباشرة إلى غرفتي دون أن يفتح أي أحد تحقيقًا معي. كانت هناك مباراة كرة قدم على التلفاز، وكان الصوت صاخبًا. لقد اشترى آلان وأمي الشاشة الكبيرة كهدية زفاف لبعضهما. ولم تكن أمّي تتحمل الصخب

العالي، لذلك لم أتفاجأ حين لم أرها جالسة بجانبه. لقد كانت سيارتها مركونة في الممر، فعلمت أنّها في المنزل.

أردت أن أطلب من آلان أن يخفض الصوت اللعين حتى تستطيع الاستمتاع بالتلفاز هي أيضًا.

لكنّني لم أفعل، حتى أنني لم أنظر إليه.

ومع ذلك، راح يراقبني كما لو كان ينتظرني أن أنفجر غضبًا.

يمكن للمرء استشعار التوتر في الغرفة.

في النهاية قال: «أين كنت؟»

يا له من حقير. إنّه يعلم أين كنت. اجتزت الأريكة نحو المطبخ.

فصاح تقريبًا عبر صوت التلفاز: «أنا أكلمك. لا تتجاهلني».

تجاهلته.

توقعت منه أن يتبعني إلى المطبخ، لكنه لم يفعل.

كان آلان يعمل في مجال التأمينات. وقد رأيته وهو في خضم عمليات البيع، كأنّه ثور ينفث من منخريه. أمّا باقي الوقت، فإنه يتظاهر بأنه رجل رياضي قوي. وإنّها لمعجزة إلى حدّ ما أنّه لم يكن جالسًا أمام التلفاز حاملًا إصبع التشجيع الضخم مع علم مثلث من اللباد.

لا فكرة لدي عمّا تراه أمي فيه.

لا، هذا غير صحيح. فأنا أعرف تمامًا ما تراه فيه: معسول كلام عرف كيف يبلغ حاجته منها.

أتعرف ما أراه أنا فيه؟ أرى فيه شوكة أخرى ستخيب آمالها بشدة حتى يبدو سقوطها من جرف أهون منها.

ليس الأمر كأنّ أحدًا ما قد طلب رأيي.

كان ثمّة لازانيا باردة في الثلاجة، فغرفت بعضها في طبق دون أن أهتم بتسخينها. وأخذت قنينة صودا وشوكة وهممت أن أفر من أمام تلفاز آلان مرة أخرى.

كان يحدّق إلى مدخل المطبخ حين خرجت منه. وكان التلفاز يدوي من خلفه.

قال: «سألتك أين كنت».

واصلت السير.

وقف واعترض طريقي.

لم يكن آلان رجلًا ضخمًا، لكنه ليس ضئيلًا أيضًا. ولم تكن لدي أيّ فكرة عمّا سيحدث إذا وجه لكمة لي. والشيء الوحيد الذي يمنعني من ضربه هو أنني أعلم كم سيزعج ذلك أمي.

تساءلت إن كان الشيء ذاته صحيحًا في حالته.

التقت عيناي بعينيه، وكنّا بنفس القامة. كان معظم الناس يتراجعون أمامي، لكن آلان لا يفعل. فقد كان يعرف ما فعلته ويعرف ما ينبغي أن أفعله، ولكن لا يزال من المخزي أن أعترف بذلك بصوت عالٍ.

«كان لدي خدمة مجتمعية».

«تنتهي خدمتك في الساعة الثامنة. لقد تجاوز الوقت التاسعة».

«تأخر مديري. وكانت لدينا مشكلة مع أحد الجزازات».

بدأت أشعر بثقل الصحن في يدي.

«من المفترض أن تكمل عملك هناك وتعود إلى المنزل فورًا».

«هذا ما فعلت».

«لا تكذب علي».

تطلّب الأمر كل ما لدي للحفاظ على الطعام في يدي بدلاً من رميه.

«أنا لا أكذب عليك».

«لو كان الأمر بيدي، لما كنت ستقود على الإطلاق».

شعرت بفكي يشتد. فتجاوزته قبل أن يتمكن من جرّي إلى جدال.

«برأيي أنّه من الجيد أنّ الأمر ليس بيدك، إذن، أليس كذلك؟»

في الواقع، من حسن الحظ أنّه لدي محامٍ مكلِّف، وإلّا ما كان سُمح لي بالقيادة مرة أخرى على الإطلاق.

لم يوقفني آلان، ولم يقل أيّ شيء فيما كنت أرتقي الدرج. وأغلقت باب غرفتي حين سمعت صوته مريرًا ومستسلمًا: «سينتهي بك الأمر مثل والدك».

وكان صوت التلفاز عاليًا جدًا لأستطيع سماعه بوضوح، لكنه لم يصمت حيال الأمر.

قذفت قنينة الصودا على خزانة الملابس وفتحت باب غرفتي بقوة جعلته يرتدّ على الحائط. كانت أنفاسي ترتفع في صدري، وكان عليّ أن أجبر نفسي على التوقف عند أعلى الدرج.

صحت: «ما الذي قلته للتو؟»

الآن حان دوره لتجاهلي.

ثمّ ضربت الحائط بقوة حتى اهتزت الصور. «ما الذي قلته للتو بحق الجحيم، آلان؟»

«لقد سمعتني».

أنا أكرهه.

أنا أكرهه.

أكره أنه هنا.

أكره أنّه ليس والدي.

أكره أنّه يجعل والدتي سعيدة بما يكفي.

أكره كل شيء يتعلق به.

انفتح الباب في الطرف الآخر من الرواق، ووقفت أمي عند المدخل. وكان شعرها الداكن مسرّحًا على هيئة ذيل حصان مرتخ، وقد وقفت ملتصقة بالجدار كما لو كانت ستعود إلى الداخل إذا كان الأمر مخيفًا جدًا هنا.

امتصت رؤيتها بعضًا من غضبي. وكانت إحدى يدي محكمة جدًا، حتى انغرزت أظافري في راحة يدي، فيما ظلّت يدي التي تمسك صينية اللازانيا تهتز. وكانت كتفاي منحنيتين، وأنا متأكد من أنّ عينيَّ كانتا شرستين.

كان ينبغي أن أعتذر، لكنّني لم أستطع. كان الاعتذار يرزح تحت وطأة ثقل كبير. وكنت مدينًا لها بالاعتذار عن أشياء أكبر بكثير. لقد كانت الرسالة من المقبرة صحيحة: *يبدو أنّ القدر يتآمر علينا*. وكان الشعور بالذنب يربض على كتفي فيدفعني نحو الأرض حتى لا أقوى على الحركة.

لم تتحرك والدتي أيضًا.

تساءلت إن كانت قد سمعت ما قاله آلان. وتساءلت إن كانت تتفق معه.

أدرت لها ظهري ودخلت غرفتي. لم أصفق الباب، ولكن الصمت المفاجئ كان طاغيًا، على الرغم من صخب المباراة المنبعث من الطابق السفلي.

لن تأتي. فهي لم تأت منذ سنوات.

ربّما. . .

لا، لن يتغير شيء.

ارتميت على زاوية سريري. لم أعد أرغب في اللازانيا، وقد ظلّ صوت آلان يتردد في رأسي.

سينتهي بك الأمر مثل والدك.

كان على حق. على الأرجح سأفعل.

الفصل الثامن

والدي في السجن.

لم أزره قط. ولا أعتقد أنّ والدتي فعلت ذلك أيضًا، ولكن ليس الأمر كأنّنا نتحدث عنه. إنّه بمثابة السر العائلي الذي ليس سرًّا على الإطلاق.

السر الحقيقي هو أنّني أرغب في بعض الأحيان في أن أراه. من الغريب الاعتراف بذلك، حتى بالنسبة إليكِ. إذ لم يسبق أن أخبرت أحدًا بهذا، ولا حتى صديقي الحميم. ربمّا سيكون من الأسهل أن أكره والدي، لكنني لا أفعل.

أفتقده. لكن ليس بالطريقة ذاتها التي أفتقد بها أختي. ليس كذلك أبدًا. وكان بإمكاني أنا وهي أن نتشاجر كما لو كانت نهاية العالم، فقد كانت أختًا صغرى في النهاية، ولكن عند الضرورة، كنّا قريبين من بعضنا البعض. يقول الناس في بعض الأحيان إنّ فقدان أحد أفراد الأسرة هو أشبه بفقدان أحد الأطراف. وكان موتها مثل فقدان نصفي. أفتقدها، لكنّني أعلم أنّني لن أستعيدها أبدًا. لا مجال للتراجع عن ذلك.

لكنّني أفتقده أيضًا بطريقة مختلفة. ففي النهاية السجن ليس إلى الأبد. على الأقل بالنسبة إليه.

هذا خطأ، أليس كذلك؟ كم أنا سيئ لأفتقد الرجل الذي قتلها؟

كدت أستخدم تعبيرًا مختلفًا عن «سيئ»، لكنني تذكرت ما قلتهِ عن والدتك. وصديقي الحميم أيضًا يكره أن أشتم، لذلك فأنا أبذل جهدًا لئلا أفعل.. عادة.

ومع ذلك، أختلف مع والدتك في هذا. فالكلمات هي الكلمات. ولن يجعلني التلفظ بكلمة بذيئة أحمق بقدر ما يجعل التلفظ بكلمة «sesquipedalian[2]» من شخص ما ذكيًا.

على الرغم من أنّه بإمكان كلتا الكلمتين أن تجعلا من الشخص يبدو كأنّه وغد حقيقي.

الآن أشعر بأنّني يجب أن أشطب كلمة «وغد» أيضًا. ربّما لن تحبني والدتك كثيرًا.

لقد رأيت الصورة التي التقطتها والدتك. لا أظن أنّها محبطة. ولا أعتقد أنه باعثة على الأمل أيضًا. إنّها الحياة. حين ينهار كل شيء من حولك، فإنّ الطريقة الوحيدة للمضي هي قُدُمًا. ويعرف الأطفال على الأرجوحة ذلك. ويعرف الرجال ذوو البنادق ذلك أيضًا.

كم عمرك؟ لقد ذكرتِ شهادة التصوير الفوتوغرافي، لذا أعتقد أنّك في المدرسة الثانوية.

هل ترتادين هاملتون؟

أو ربّما من الأفضل ألّا يعرف بعضنا شيئًا عن بعض.

لكِ أن تقرّري.

2 - وتعني الكلمة متعددة المقاطع. (المترجمة)

«أنا بحاجة إلى أخذ رأيك في أمر ما».

رفعت روان يدها ونفخت على أظافرها. وكانت تطليها بلون وردي فاتح يكاد يكون أبيضَ، إذ تجعلها الأظافر الفاتحة مع شعرها وجلدها الفاتحين تبدو رقيقة أكثر من المعتاد. وكان أثاث غرفة نومها أبيض بالكامل، ومزينًا باللون الذهبي، مع سجّاد بلون الخزامى. لقد كان كل ما تحتاج إليه هو زوج من الأجنحة فقط.

قالت: «إنّك تختبئين».

اعتدلت في جلستي. فلم يكن هذا متوقعًا ولا علاقة له بما كنت سأسألها عنه.

ومجددًا، قد تكون على دراية بالضبط بما أقصده. «أنا أختبئ؟»

«مِن والدك».

أوه. قطّبت جبيني: «لا أريد التحدث عنه».

شرعت في وضع طبقة ثانية من طلاء الأظافر. «لم يكن يحاول إيذاءك، يا جولز».

لم أقل شيئًا.

نظرت إليّ وقالت: «لقد قلت بنفسك إنّ رئيس تحريرها عرض عليه أخذ عدّتها. وبالتالي، ليس الأمر كأن والدك هو من أخرجها ووضعها في موقع للإعلانات».

كانت محقة. وأعلم أنها على حق. تأملت أظافري، وكانت قصيرة ودائرية وغير مطلية. ثمّ قلت بهدوء: «يبدو الأمر كأنّه يعاقبها».

قالت: «ربّما». ثمّ ترددت قبل أن تردف: «الغضب هو إحدى مراحل الحزن».

جعلتني هذه المحادثة متوترة. إذ لم أرغب في التحدث عن أبي إطلاقًا، ولا عن أمي. «هل هذا كلام دروس صف علم النفس؟» وضعت طلاء الأظافر وأدارت كرسي المكتب لتواجهني بالكامل، وقالت: «سألتني أمّي الليلة الماضية إن كان عليها أن تتصل بوالدك».

«ماذا؟» قلت وقد هوى صوتي بطبقتين. ثمّ رمقت الباب، وأنا على وشك الفرار.

«لماذا؟»

«لأنّك كنتِ هنا حتى منتصف الليل تقريبًا في الأيام الأربعة الأخيرة».

«حسنًا. سأغادر».

«لا! جولز... توقفي!»

صدتني قبل أن أتمكن من الخروج من الباب. ووضعت يديها على كتفي بحذر شديد حتى لا تفسد طلاءها.

«انتظري. حسنًا؟ انتظري. لقد قالت أمّي أيضًا أنّه مرحب بك دائمًا هنا.. دائمًا».. ثمّ صمتت، قبل أن تضيف: «إننا قلقتان بشأنك».

قد تبدو روان ووالدتها أختين فعلًا. يقول الناس ذلك طوال الوقت. لقد كانت ماري آن في الثانية والعشرين من عمرها عندما أنجبت روان، وهي دائمة الاعتناء بنفسها. وقد يظنّ المرء أنّ روان كانت لتتمرد من خلال صبغ شعرها باللون الأسود وتناول بارات سنيكرز على العشاء، لكنها لم تفعل ذلك. فهما مقرّبتان وتبوحان بعضهما لبعض بكل شيء.

ولذا، ينبغي ألا أتفاجأ بأنهما تتحدثان عني.

لكنّني كنت مندهشة من مدى حسدي لها. وقد صدمني هذا دفعة واحدة.

«أعلم أنه لم يكن يحاول إيذائي». وحدّقت بها لأنّها المرة الأولى التي أدرك فيها أنها لم تفهم الأمر. «هنا تكمن المشكلة. فهو لم يعلم حتّى أنّ هذا سيؤذيني».

تردّدتْ.

«قولي ذلك». صار صوتي أقسى. «مهما يكن. قوليه، رو».

«ربّما يجب أن أدع أمي تتصل به».

«ماذا؟ لماذا؟»

«ربّما يحتاج إلى القليل من. . . الدعم. حتى يتمكن من مساعدتك».

«بالتأكيد». لم أستطع حتى أن أبعد الازدراء عن صوتي. واتجهت صوب الباب مرة أخرى.

لحقت بي روان إلى الرواق، وقالت: «هيّا، جولز، أنت صديقتي المفضلة، وأرغب في مساعدتك».

«أعلم. أنا فقط. . . لا أريد مساعدتك الآن».

«توقفي أرجوك».

توقفت في البهو. وكانت الأضواء العلوية الساطعة تحيل شعرها إلى نسيج ذهبي، ما يجعل عينيها الزرقاوين تجحظان. فيما كان شعري الداكن متدليًا ومسدولًا، وكنت أضع لمسة من أحمر الخدود وملمع الشفاه فقط لأنّني سئمت من أن يخبرني الناس بأنّني بحاجة إلى بعض الراحة.

قالت بهدوء وحذر: «تبدين غاضبة جدًّا طوال الوقت».

«أنا غاضبة بالفعل».

كانت الكلمات تخرج من فمي قبل أن أتمكن من رصد تأثيرها. ربّما كانت محقة، ربّما هذه مرحلة من مراحل الحزن. وشعرت أنّني قد بقيت عالقة في الغضب لفترة الآن، وأنّه قد ضرب عميقًا جدًّا بجذوره داخلي حتى لم يعد منه خلاص.

في الواقع، خشيت أنّنا لو بقينا واقفتين لفترة أطول في البهو، أن يخنقني هذا الغضب.

قلت في عجالة: «عليّ أن أذهب»، وأمسكت مقبض الباب.

«جولز». توقفتْ للحظة وتنهدت، ثمّ قالت: «لم أقصد أن أطردك».

«لا، لم تفعلي».

«ما الذي كنت ستسألينني عنه؟»

كنت سأسألها عن الرسائل، لكن لا يمكنني فعل ذلك الآن. فلن تفهم الأمر. وستقرأ محادثاتنا عن الموت والانتحار واليأس، وتسيء فهم كلّ شيء.

وسيتلقّى والدي *بالتأكيد* مكالمة من أمّها في هذه الحالة.

نظرت إليها وقلت: «لا شيء.. إنّه أمر سخيف.. سأراك في الصباح، اتفقنا؟»

همّت بمرافقتي خارج الباب، لكنّني رفعت يدي وقلتُ: «لا داعي يا رو. لا داعي لمرافقتي. أريد فقط أن أتجول قليلاً. سأكون بخير».

«هل ستذهبين إلى المقبرة؟»

لقد تأخر الوقت وحلّ الظلام، وإن قلت لها نعم، فستهلع.

«لا، ليس الليلة». قلت ونزلت الدرج ركضًا. صحيح أنّ روان لم تطردني، لكنّ منزلها لم يعد ملاذًا لي بعد الآن. ليس ووالدتها جالسة، في انتظار تحليل حزني.

صاحت: «ليلة سعيدة، إذن».

صحت أيضًا: «ليلتك سعيدة».

شعرت بأنّني صديقة سيئة، لكن لم يكن بيدي حيلة. لا يمكنني أن أجبر شعوري على أن يتناسب بين الفصل الثاني والسادس من بعض الكتيبات التي تتناول كيفية التعامل مع وفاة شخص عزيز.

كانت سيارتي مركونة عند نهاية المبنى لأنّ شخصًا ما كان يقيم حفلة عيد ميلاد بعد المدرسة. والآن، أصبح الشارع خاليًا، وكانت سيارتي تقبع وحدها في ظل شجرة الدردار. كان جزء مني يتوقع أن تأتي روان على إثري، لكنها لم تفعل. كان الرصيف مظلمًا، وحذائي الرياضي يصدر صريرًا على الرصيف مع كل خطوة. لقد سرق الليل الحرارة من الهواء، وراح النسيم يرفع شعري ويبرّد رقبتي.

حين سحبت نَفَسًا، استنشقت رائحة العشب ولحاء الشجر والرطوبة.

كان هناك رجل يسعل من مكان قريب. فانتفضت قليلًا، وجفلت. ألقيت نظرة حولي لكنّني لم أره.

انتصب الشعر في قفاي، وتحسست مفاتيحي.

أدرت قفل السيارة، وارتميت في مقعد السائق. التصق الهواء داخل السيارة ببشرتي، وانبعثت رائحة قهوة قديمة ونجاد دافئ

جدًا. كان الغضب يتصارع داخلي مع شعور بعدم الارتياح فيما كنت أضغط على المفتاح في جهاز الإشعال وأديره.

لم يحدث شيء.

حاولت مرة أخرى.

لا شيء.

وَمَضت المصابيح الثانوية وانطفأت.

ضربت لوحة القيادة.. *اللعنة*..

تردّد صوتي عاليًا داخل السيارة، وجفلت.

آسفة، يا أمي.

لكن في الشتم عزاء. أعتقد أنّني أتفق مع فتى الرسالة، فالكلمات هي مجرد كلمات.

اجتاحتني موجة من الذنب، كما لو كنت أخون ذكراها بطريقة أو بأخرى.

دقّت يدٌ على النافذة، وكدت أقفز من جلدي. كان يقف هناك رجلٌ، ووجهه في الظل تحت قلنسوة قميص داكنة. لم أستطع أن أرى سوى حافة من الفك وخصلة من الشعر الطويل فقط.

«تراجع!» قلت وقد مددت يدي نحو هاتفي دون تفكير.

سعل مرة أخرى، وقال بصوت أعلى من اللازم حتى أتمكن من سماعه من النافذة: «أنا آسف، أردت أن أرى إن كنت بحاجة إلى أي مساعدة».

«أنا بخير!» ألم تتحدث رسالة من تلك الرسائل الغبية التي ترد على البريد الإلكتروني ضمن سلسلة «سلامة الفتيات» عن نوع من طقوس الانضمام إلى عصابة ما بتعطيل سيارتك للنصب

عليك؟ أدرت المفتاح مرة أخرى.

أومضت، أومضت ثمّ انطفأت.

«ألست جولييت يونغ؟»

توقفت ونظرت إليه مرة أخرى. هل يُعدّ هذا أمرًا جيّدًا أم سيئًا كونه يعرف اسمي؟

أزاح قلنسوة قميصه. «أعتقد أنّه كان لدينا صف إنجليزية معًا في العام الماضي».

للحظة، لم أستطع تذكره على الإطلاق. ثم قرّر عقلي أن يشتغل. كان ذلك الفتى الغريب المنطوي الذي كان يجلس في الجزء الخلفي من كل فصل دراسي ولا يتحدث أبدًا إلى أي شخص. كان اسمه ريد أو راز أو شيء من هذا القبيل. ودائمًا ما كان يرتدي قمصانًا ذات قلنسوات أو قمصانًا ذات أكمام طويلة، حتى في قيظ الصيف.

بدا كقاتل متسلسل.

«هل تحتاجين إلى وصلة؟»

نظرت إليه للحظة طويلة جدًا. «هل أحتاج إلى *ماذا؟*»

قال: «وصلة لسيارتك. البطارية ميتة؟»

«لا أدري. أنا بخير». يمكنني العودة إلى منزل روان، لكنّني لم أكن متأكدة من رغبتي في الخروج من السيارة بعد. فعلى الرغم من أنّه لم يرتكب أي خطأ، فقد كنّا أنا وهو فقط في هذا الشارع المظلم. وهذا هو الجزء من الفيلم الذي تصرخ فيه على البطلة بأن لا تغادر السيارة.

ثمّ خطرت لي فكرة. «سأتصل بوالدي ليأتي إليّ».

«لدى صديقي مجموعة من الكابلات. وهو يعيش في الجوار فقط». أشار إلى الشارع المقابل، ثم سحب الهاتف من جيبه وبدأ في إرسال الرسائل النصية. وبعد ثانية، نظر إليّ وقال: «افتحي غطاء محرك سيارتك».

كنت عالقة بين البينين حيث لا أدري إن كان هو حقيقيًا أم أنّني أنا الغبية. رمقت هاتفي. لا أريد حقّا الاتصال بوالدي. سيؤدي ذلك إلى خلق محادثة بيننا، ومنذ حادثة الكاميرات، لم أكن مستعدة على الإطلاق لتبادل الحديث معه. وبدلاً من ذلك، كتبت رسالة سريعة لروان.

ج.ي: لقد تعطلت سيارتي، وقد عرض عليّ فتى من المدرسة أن يوصلها ببطاريته. هل يمكنك الالتحاق بي؟

ثمّ دسست الهاتف في جيبي وسحبت الذراع لرفع غطاء المحرك.

لم ينتظر منّي حتى أن أخرج من السيارة، وخطا نحو مقدمة السيارة ليرفع غطاء المحرك، وراح يبحث عن الذراع الفولاذية لتثبيته. ثمّ سمعته يضعها في مكانها.

كان الهواء داخل السيارة خانقًا، وتمنيت لو كان لدي ما يكفي من الجرأة لفتح النافذة. كانت الشمس قد غربت منذ فترة طويلة، لكن الدفء هنا كان كافيًا لجعل جبيني ينضح بالعرق.

بعد ذلك، سمعت صوت معدن يضرب في المعدن تحت غطاء المحرك وتساءلت عمّا يفعله الفتى. فكرت في جميع المرات التي عرض فيها والدي أن يعلمني أساسيات صيانة السيارة، وما يعادلها من المرات التي أخبرته فيها «لاحقًا».

ثمّ أنّ هذا لا يعني أن تغيير الزيت والتحقق من ضغط الإطارات سيجعلان المحرك يشتغل.

من خلال النافذة الجانبية لمقعد الركاب، رأيت روان تتجه عبر الرصيف نحونا، وكان شعرها يلمع تحت ضوء القمر.

هذا جيّد. لن أكون بمفردي.

ضغطت على زر الفتح، وفتحت بابي على مصراعه، فاصطدم بشيء ما.

بشيء قاسٍ.

«أووه!» صاح صوت رجل.

نظرت، فوجدته واقفًا هناك خارج باب سيارتي، حاملًا كابلات توصيل طويلة، زميلُ الدراسة الوحيد الذي أجده أكثر رعبًا من الفتى القوطي الذي يعبث تحت غطاء محرك السيارة: إنه ديكلان مورفي.

بدا متحمّسًا جدًّا لرؤيتي، تمامًا كحارس المدرسة الذي يتحمّس جدًّا عند اكتشافه مرحاضًا مسدودًا. وأمسك بيده إطار الباب، واعترض طريقي للخروج من السيارة.

كان ينبغي أن أعتذر، لكن هذا سيبدو اعتذارًا سيّئ النية. أستطيع أن أشعر بالكلمات على ظهر لساني. وسيكون مجرّد اعتذارٍ متحذلقٍ متعلّقٍ بحماية نفسي أكثر منه بتعرضه لضربة بباب سيارتي.

في هذه الأثناء، وقعت عيني على كابلات التوصيل في يده.

لا بدّ أن أعتذر وأشكره.

وبينما حدّق إلى وجهي، فقدت ملامحه بعضًا من غضبها، تمامًا كما حدث في ردهة المدرسة الأسبوع الفارط. وعبر ضوءٌ

من مكان ما وجهه، مشكّلًا شريطًا على عينيه، تاركًا ما تبقى من ملامحه غارقًا في الظل. مثل قناع بطل، ولكن بشكل معاكس.

ثمّ قال: «البطارية ميتة؟»

بدا ضخمًا وهو يقف أمامي. ابتلعت ريقي وتذكرت اللحظة التي قام فيها بحركة سريعة في الرواق، وكيف فكرت حينها في أنه سيقدم على فعل عدواني تجاهي، لكنه كان فقط يلتقط حقيبته.

«لا أدري».

«ماذا فعلتِ؟»

«أمم». كان عليّ أن أتنحنح لأرد. ثمّ نظرت إلى لوحة القيادة وقلت: «لا شيء، إنّها لا تشتغل».

حينها صاح الفتى من أسفل غطاء محرك السيارة: «لا أعتقد أنّه مفتاح التشغيل».

«شكرًا، ريف»، قال ديكلان وهو يلف عينيه نحو السماء، ثم مال نحو السيارة. وكان يتمتم تحت أنفاسه شيئًا مثل: «علّمته ثلاثة أمور، والآن هو الخبير».

بالكاد التقطتُ هذه الكلمات لأنّه انحنى أمامي، ليبلغ شيئًا داخل السيارة. فتراجعت في مقعدي، ولكن حين أدار المفتاح، لاحظت أنه لم يأتِ بأي حركة نحوي. وتوقعت أن تكون رائحته مقززة، مثل رائحة السجائر والعرق والجينز غير المغسول.

لكنّها لم تكن كذلك. لقد كانت رائحته مزيجًا من رائحة العشب المقطوع والملابس النظيفة ونوع من غسول الجسم الرياضي

الخاص بالرجال. وبالكاد كانت أضواء لوحة القيادة تضيء عندما يدير المفتاح، ثمّ خرج من سيارتي.

«هل كل شيء بخير هنا؟»

كانت روان على الرصيف خلفه، وشعرها الأشقر يلمع تحت مصباح الشارع القريب. التفت ديكلان دون أن يبدو مندهشًا لرؤيتها. «إنّها بحاجة إلى توصيلة بطارية. هل لديك سيارة يمكننا أن نوصلها بها هنا؟»

راحت عيناها تتحركان بينه وبين الفتى تحت غطاء محرك السيارة -ريف- وبيني.

«نعم». قالت وهي تسحب الكلمة سحبًا، ثمّ أضافت: «هل تودّين العودة معي، جولز؟»

كان منزلها في الطرف الآخر فقط من المجمع السكني، ولكن بدا غريبًا تركهما مع سيارتي، لا سيما عندما قال ديكلان: «اتركي المفاتيح».

ثم مرّة أخرى، تذكّرت أنّ الخيار الثاني كان البقاء هنا مع كليهما.

حينها حملت حقيبتي وسرت مع روان.

قالت بهدوء: «لا يبدو أنّهما خارجان عن القانون. ظننت أنّ ديكلان مورفي كان يحاول فعل شيء ما عندما جئت».

شعرت بالحرارة والبرودة في آن واحد.

«لا، هو لم يلمسني حتى».

قالت بصوت صارم: «جيّد. أنا سعيدة لأنك راسلتني».

وأنا كذلك، إلى حدّ ما. فهناك هذا الجزء الصغير منّي الذي تمنى لو أنها لم تأتِ في ذلك الوقت بالذات.

التفت ونظرت عبر كتفي. كان ريف لا يزال منحنيًا على الواجهة الأمامية لسيارتي. أمّا ديكلان فكان يقف على بُعد بضعة أقدام خلفه. وكان يربت بشيء على كفه الأخرى، ثم رفع يده إلى وجهه، فأضاء توهج أحمر فجأة ملامحه.

إنّها سيجارة. أكره المدخنين.

«هل تعرفين الفتى الآخر؟» قلت.

قالت: «ريف فليتشر. يسكن عند الزاوية. تدعوه أمي مصاص الدماء. ونادرًا ما نراه خلال النهار».

«لقد أرعبني».

«لا شك في ذلك. فقط ظهر لك أكثر شخصين انطوائيين في العالم لتوصيل بطارية سيارتك». ثمّ نظرت عبر كتفها وأضافت: «ربّما كان يجب أن تأتي أمي معنا».

تذكرت ما قالته في وقت سابق عن أنّ والدتها ترغب في الاتصال بوالدي من أجل «الدعم»، فاقشعر بدني. «نحن لسنا في السادسة من العمر، رو».

وصلنا إلى مدخل السيارات الخاص بمنزلها، فسحبت مفاتيحها من جيبها وضغطت على الزر لفتح أبوابها. «لا أريد أن ينتهي بي الأمر في الأخبار المسائية».

ولا أنا كذلك. ربّما لحسن الحظ أنّ بطارية سيارتي قد توقفت الآن، وإلّا كان ديكلان مورفي الآن على بعد خمسة أميال، يضيف سرقة كبيرة للسيارات إلى سجله الإجرامي. كنت سعيدة لأني حملت حقيبتي قبل أن أخرج من السيارة.

كان علـى روان أن تسـتدير عنـد أحـد مداخـل السـيارات لتجعـل سـيارتها مواجهـةً لسـيارتي. وأضـاءت مصابيحهـا الأماميـة ديـكلان وريـف. وكان هـذا المشـهد ليشـكل صـورة رائعـة، معرضـة بكاملهـا للضـوء ومليئـة بالتبايـن الشـديد.

أطفأت المحرك والأضواء، وهممنا بالخروج من السيارة.

حينهـا لـوّح ديـكلان بيـده وسـحب نفسًـا مـن سـيجارته، وصـاح: «دعـي السـيارة فـي وضـع التشـغيل. والمصابيـح الأماميـة أيضًـا».

فعلـتُ ذلـك، وبعـد عشـر ثـوانٍ كنـا علـى الرصيـف ننظـر إلـى الكابـلات تربـط سـيارتينا. ثـمّ انزلـق فـي مقعـد السـائق فـي سـيارتي وأدار المفتـاح، فاشـتغل المحـرك.

قلت حينها: «أهذا كل ما في الأمر؟»

«نعـم، هـذا كل مـا فـي الأمـر». توقعـت أن يخـرج مـن السـيارة، لكنـه سـحب نفسًـا مـن سـيجارته وبـدأ فـي النقـر علـى الأقـراص.

«ما الذي تفعله؟»

لم ينظر إليّ ولم يرد على سؤالي.

«أين تسكنين؟»

«لا أعتقد أنّ هذا من شأنك».

لفـت هـذا انتباهـه. فسـحب نفسـه مـن السـيارة وخيّـم بقامتـه علـيّ. كان كل شـيء فـي هيئتـه يصيـح لا تعبثـي معـي. تراجعـت بخطـوة سـريعة قبـل أن أتمكـن مـن إيقـاف نفسـي.

«ديكلان!»

قفـزت فـي مكانـي، فقـد كان الصـوت الذكـوري مرتفعًـا وآتيًـا عـن يسـاري. كان رجـلًا فـي منتصـف العمـر، ذا شـعر منحسـر، يسـير

عبر الطريق ويصيح بصوت غاضب: «ماذا تفعلان؟ اُتركا الفتاتين وشأنهما».

أوحت لهجته أنّني ربما كنت على حق في توخي الحذر.

لم يبتعد ديكلان عنّي، وقال بصوت بدا عليه الهيجان: «سيارتها لا تشتغل. وكنت أساعدها».

«هذا صحيح، يبدو كأنك تساعد حقًّا».

التف ديكلان وراح يفك كابلات التوصيل من بطارية سيارتي، فاحتك بعضها ببعض وتطاير الشرر، ثمّ قال: «ما هذه بحق الجحيم، يا آلان؟»

اقترب ريف منه، وقال بصوت منخفض: «هوّن عليك، ديك»

كان آلان أكثر شجاعة منّي، فهو لم يتراجع. «لا يُسمح لك بالخروج من المنزل وقتما تشاء. لديك حظر تجول. هل تفهم ما يعني هذا؟»

حظر التجول؟ هل يخضع ديكلان مورفي لحظر التجول؟

جذب الكابلات بعنف من سيارة روان وصفق غطاء محرك السيارة.

«أنا لم أكسر حظر التجول. كنت أقدم *يد المساعدة*. . .»

«عد إلى المنزل. لا أصدق أنك تستمر في تعريض أمّك لمثل هذا».

اكفهر وجه ديكلان بالكامل. وأفلت الكابلات لتقع على الإسفلت، وسار إلى الأمام.

خطا ريف سريعًا، حتى أصبح أمام ديكلان، ووضع يده على كتفه.

«مهلًا. *مهلًا*. فكر مليًا في الأمر».

توقف ديكلان. وحدج آلان بعينين تستشيطان غضبًا. كان فكّه مشدودًا، وقد شكل قبضتين بكلتا يديه. حدجه آلان هو الآخر، بتعابير تقول: *«افعلها، أيّها الداعر»*.

كانت روان بجانبي الآن، وقد تعالت أنفاسها في الهواء الليلي. وكان قلقها المفاجئ يحاول سحبي إلى قبضته. إنّها لا تحب الصدامات، وكان هذا الصدام أسوأ من ذاك الذي حدث في الردهة. ولا يوجد هنا أي مدرّس ليهب لفك النزاع.

كان جزء مني يريد الاختباء، أمّا الجزء الآخر فكان يتمنى لو كنّا قد اتصلنا بأم روان.

كانت حركة واحدة من أيّ منهما كفيلة بإشعال فتيل الشجار. وصار التهديد بالعنف يثقل الهواء. وبدا أنّ لا أحد منهما مستعد للتراجع. وقد لفّ التوترُ الجوَّ بإحكام شديد حتّى ظننت أنّه لن يستطيع أيّ منهما فكّه.

تذكرت حين كتبت إليّ والدتي ذات مرة حول نجاتها بأعجوبة في إحدى دول إفريقيا الغربية، حيث كانت تصوّر آثار هدم جماعة متطرفة مدنًا صغيرة. وبحسب ما ذكرته في رسالتها، فقد كانت تتبع مرشديها عبر الغابة، حين وجدوا أنفسهم مباشرة في معسكرٍ للمتطرفين. وكانت تعتقد أنّه لا محالة سيُقتلون. كان بإمكاني استشعار الخوف بين كلماتها. أمسك هؤلاء المتطرفون معداتها وشرعوا في تحطيم كاميراتها، إلى أن أخبرتهم أنّها كانت توثّق انتصاراتهم العسكرية. حينها، لم يسمحوا لها بالعيش

فحسب، بل سمحوا لها بالسفر معهم ليوم كامل. وقد بلغت صورها نيويورك *تايمز*، لكنّ رسالتها، الموجهة إليّ، كانت أقوى. لقد رسمت صورة العرق والبنادق والرعب، لكنها جعلتني أضحك فيما بعد، حين كتبت:

يمكن للرجال أن يكونوا مثل الأطفال الصغار، جولييت. ففي بعض الأحيان، كل ما يحتاجون إليه هو شيء لامع لإلهائهم.

انحنيت لالتقاط كابلات التوصيل من الرصيف، وحملتها إلى ديكلان، وقد بذلت قصارى جهدي لتلطيف صوتي: «شكرًا جزيلًا على مجيئك. لم أقصد أن أوقعك في مشكلة». ثمّ نظرت نظرة اعتذار إلى آلان، على الرغم من أنّني كنت أرتعش من الداخل مثل ورقة الشجر، وقلت: «أنا آسفة حقًا. لم أكن أعلم أنّه ممنوع من التجول. لم تشتغل سيارتي، وكنت قلقة جدًّا بشأن العودة إلى المنزل. . .»

طَرَف آلان، كأنّه نسي أنّني كنت هناك، ثمّ ألقى نظرة خاطفة إلى ديكلان، ثمّ على السيارتين، وأخيرًا عاد بنظره إليّ: «ليس في الأمر ضرر، على ما أفترض». بعد ذلك، عادت عيناه إلى ديكلان، وقال: «في المرة القادمة التي تريد فيها مساعدة شخص ما، قل شيئًا قبل مغادرة المنزل. إذا تسللت مرة أخرى، فسأستدعي الشرطة. وحينها يمكنك محاولة التسلل من شلتهام. هل تسمعني؟»

تشنجت عضلة فك ديكلان، ويمكنني الجزم بأنه سيشتم. فدفعت الكابلات إليه، وقلت: «هل تعتقد أنني بحاجة إلى بطارية جديدة؟ أم أنّني سأكون بخير؟»

استغرق الأمر منه ثانية، لكنّه كسر الاتصال البصري المميت وأخذ الكابلات من يدي، وقال: «تبدو قديمة جدًّا». كان صوته خشنًا ولكن تحت العدوانية كان هناك إيقاع من شيء آخر لا أستطيع تمييزه. «أنتِ لم تجيبي عن سؤالي، كم المسافة من هنا إلى منزلك؟»

سؤاله؟ لم أتذكره وهو يسأل هذا السؤال.

هل لهذا السبب سألني أين أعيش؟

تضرّج وجهي خجلًا وأجبت: «أوه، على بعد أميال قليلة».

أومأ. «دعيها تعمل قليلاً قبل إيقاف تشغيلها. واحصلي على بطارية جديدة حالما تستطيعين».

أومأت.

استدار ديكلان واتجه أسفل الشارع.

لم يتحرك آلان. وكان ينظر إلى ريف، الذي انحنى على سيارة روان، وقال: «عليك أن تسمح له بخوض معاركه الخاصة، ريف».

لم تتغير تعابير ريف. سعل، ثم سحب قلنسوته إلى الأعلى، فألقت بظلها على وجهه بالكامل. « أعتقد أنّه ربمّا ينبغي لزوج أمه ألا يخوض المعارك ضده».

انتصب آلان، لكن لا بدّ أنّه أدرك أن الأمر لا يستحق. ثمّ أطلق ضحكة ثقيلة وهز رأسه، واستدار مبتعدًا. «أنتم أيّها الأولاد تعتقدون دائمًا أنكم تعرفون كل شيء».

غرق الشارع في صمت تام بمجرد رحيله.

«يا إلهي». همست روان، وعيناها متسعتان كفنجانين.

نظر ريف إليها، وقال: «هذا ليس بشيء يُذكر».

«شكرًا لإيقاف ديكلان عن. . .». وصمتت، قبل أن تردف: «عن. . . أيًّا ما كان سيفعله».

«لم أوقفه. لقد أوقف نفسه».

لم يكن هذا ما بدا عليه الأمر تمامًا، لكنّني لم أتلفظ بأي شيء.

أحب صوت ريف الهادئ والطريقة التي وقف بها أمام زوج أم ديكلان.

ويجعلني هذا أشعر بالسوء لأنني اعتقدت أنّه يشبه القاتل المتسلسل.

لا سيما حين نظر إليّ وقال: «شكرًا على ما فعلتِ أنتِ أيضًا. هل تعتقدين أنّك ستكونين بخير للعودة إلى المنزل؟»

كان قلبي لا يزال يثب في صدري، لكنّني أومأت. وكان عليّ أن أتنحنح، لأسأله: «ما هو شلتنهام؟»

عبس ريف.

«ماذا؟»

«قال هذا الرجل، آلان، لديكلان إنّ بإمكانه أن يحاول التسلل من شلتنهام».

اكفهر وجه ريف، وأظلمت أساريره. ثمّ سعل مرة أخرى، وأحنى كتفيه قليلاً، وقال: «إنّه مركز احتجاز الأحداث». ثمّ ابتعد عن سيارة روان، وأضاف: «تأكدي من حصولك على بطارية جديدة. إن قال لك إنّك بحاجة إليها، فأنت بحاجة إليها».

وانزلق في الظلام، تاركًا إيّانا بمفردنا.

الفصل التاسع

لقد كتبت 53 رسالة لك، تبدأ جميعها بـ «عمري 17 عامًا»، لكنّني لم أستطع المضي أبعد من هذا. لم أرد أن أفسد الذي بيننا. لا أريد أن أفقده.

أبدو كحمقاء. قد أجلس هنا أيضًا أكتب الرسائل إلى أن يحلّ الظلام، في انتظار الرد.

صحيحٌ أنّني لا أعرفك، لكنني أشعر بأنّني أفهمك.

وأشعر بأنّك تفهمني.

وهذا ما أحبّه كثيرًا في هذا الأمر.

إنّها في مثلي سني.

كنت أشك في أنّها قد تكون قريبة من سني، ولكن هذا تأكيد. لا أدري سبب أهمية الأمر، لكنّه مهم.

إنّها تحب هذا.

إنّها تحب هذا.

لقد قرأت الرسالة سبعًا وستين مرة على الأقل، ولا تزال تبعث في داخلي رعشة سرية. ألقيت نظرة حول الفصل، لأتحقق إن كان الأمر معديًا، كما لو أنّ بقية الفصل لا بدّ أن يكونوا قادرين على الشعور بالهزة التي تحدثها هذه الرسائل الصغيرة.

لا حاجة لي إلى القلق. فقد كنّا ندرس الشعر الإنجليزي، ولا يمكن لحانة إسبرسو برمتها أن توقظ هذا الفصل. كانت فتاة في

الصف الأمامي تقرأ قصيدة ديلان توماس بصوت عالٍ، لكنّها لا تلقي بالاً بشأن الغضب تجاه موت الضوء، لأنّها تبدو كأنّها تقرأ قائمة تسوق. كانت تلف شعرها حول إصبعها، وما أن قرأت السطر الأخير، حتّى انزلقت في كرسيها مرة أخرى.

مررت أصابعي على طول أسطر الرسالة وقرأتها مرة أخرى. ثمّ طويتها تحت حافة كتابي.

أشعر كأنني أفهمك. أشعر كأنك تفهمني.

يريد جزء مجنون وحشي منّي العثور عليها. لأقول «*نعم، نعم، أفهمك*».

ساد صمت ممل الفصل. وأقسم أنّ بإمكانك أن تسمع ثلاثة أشخاص يكتبون رسائل نصية، بينما تأمل مُدرستنا السيدة هيلارد في أن نتشرب جميعًا قوة الشعر. مالت إلى مكتبها، ممسكة بالكتاب إلى صدرها، ثمّ قالت: «من يستطيع أن يخبرني بموضوع القصيدة؟»

قد يكون هذا بمثابة صدمة لها، ولكن لا أحد يجيب.

نهضت السيدة هيلارد وسارت بين صفوف الطاولات، مُمررةً أصابعها بكل خفة على كل طاولة. كانت تنورتها الطويلة تصدر حفيفًا مع كل خطوة، وهي ترتدي واحدة من تلك السترات المطرزة التي لا يرتديها سوى مدرّسي الثانوية في منتصف العمر.

دسست الرسالة أكثر تحت الكتاب قبل أن تصل إلي.

قالت: «ما الذي أغضب ديلان توماس؟ ماذا يقصد بـ «تلاشي النور»؟»

«يقصد الظلام» صاحت درو كيني.

أومـأت السـيدة هيـلارد برأسـها قائلـة: «سـطحيًا، ربّمـا». كان كعبهـا ينقـر فـي الممـر بيـن الطـاولات. «عـن مـاذا يمكـن أن يتحـدث أيضًـا؟»

«يقصـد وقـت الليـل؟» صاحـت فتـاة أخـرى، وقـد خـف صوتهـا عنـد النهايـة.

كان هذا مجرّد تخمين.

بـدت فتـاة بليـدة جـدًّا، وتفتقـر إلـى الإلهـام. تذكـرت تحليلـي للتصويـر الفوتوغرافـي مـع فتـاة المقبـرة وتسـاءلت إن كانـت ستشـعر بالملـل مـع هـذا الفصـل.

لحظـة. تسـاءلت إن كانـت فـي هـذا الفصـل. ورحـت أنظـر مـن حولـي.

ليس لـدي فكـرة. لا *أعتقـد* ذلـك، لكـن ليـس لـدي أيّ فكـرة. ليـس الأمـر كأنّـه يمكنـك أن تنظـر إلـى فتـاة مـا فتعـرف أنّ والدتهـا قـد ماتـت. بالإضافـة إلـى أنّـه لا يوجـد علامـة نيـون فـوق رأسـي تومـض بعبـرة «أختـه ميتـة»، أيضًـا.

قالـت السـيدة هيـلارد: «اقرؤوهـا مـرة أخـرى لأنفسـكم». ثـمّ نقـرت علـى كتـاب إيلايجـا ووكـر وهمسـت: «ضـع هاتفـك جانبًـا».

تنهد بشدة ودس هاتفه في حقيبته.

«اقرؤوهـا مـرة أخـرى». ثـمّ توقفـت بجانـب طاولتـي، وبالـكاد ألقـت نظـرة إلـيّ، ونقـرت بأصابعهـا علـى الكتـاب المدرسـي بهـدوء قبـل أن تواصـل سـيرها. لـم يكـن المدرسـون يتوقعـون منّـي الكثيـر قـط.

«اقرؤوهـا مـرة أخـرى وأخبرونـي عـن موضـوع هـذه القصيـدة».

سعل شخص ما، وتحرك آخر.

ثمّ ساد الصمت.

استدارت في الجزء الخلفي من الغرفة، وللمرة الأولى تصدّع هدوءها. «لا بدّ أن يكون لدى أحد ما فكرة.. أحد ما.. أي أحد.. لا توجد إجابات خاطئة هنا».

كان هذا ما قالته المرأة التي أخبرت لتوها شخصين بأنهما على خطأ.

«عمّا تدور هذه القصيدة؟» سألت.

انتقلت عيني إلى الصفحة لمعرفة ما هو الأمر المهم. *لا تمضِ مذعنًا في ذلك الليل العذب.*

قبل أن أعرف ذلك، كنت قد قرأت القصيدة كاملة. لم تكن عن الليل أو الظلام على الإطلاق.

كانت السيدة هيلارد لا تزال تسير بين الصفوف. «يقول: *اغضب، واستشط في وجه تلاشي النور*. ما شعور ديلان توماس؟»

«اليأس».

خرجت الكلمة من فمي قبل أن أوقفها. كان صوتي خشنًا بسبب عدم استعماله؛ إذ إنّني لم أتحدث إلى أيّ شخص منذ أن قسمت الخبز مع ريف في الكافتيريا قبل ثلاث ساعات. وقد لفتُّ بعض الانتباه أيضًا. ربّما لم يسبق لنصف هؤلاء الأشخاص أن سمعوني أتكلم من قبل.

عادت السيدة هيلارد إلى الممر وتوقفت بجانب طاولتي.

لم أنظر إليها. كان ينبغي لي أن أبقي فمي مطبقًا. ورحت أخربش على دفتري كما لو أن شخصًا آخر هو الذي تكلّم، لكنها ليست حمقاء.

قالت بهدوء: «اليأس. لماذا؟»

«خمّنت فقط».

«لم يكن هذا تخمينًا، لماذا اليأس؟»

تيبست يدي، فحدقت بها. وكان بإمكان المرء سماع صوت الدبوس لو سقط في الفصل. لا أحب أن أكون مركز الاهتمام، وكنت أريد منها فقط أن تمضي.

«*قلت* إنّه مجرد تخمين».

قالت بصوت متزن: «حسنًا، خمّن مرة أخرى. لماذا *اليأس*؟»

أغلقت كتابي بعنفٍ جعل الفتيَين بالقرب مني يقفزان ذعرًا.

«ربما يخشى الظلام اللعين».

لم تجفل. «ربّما يكون كذلك، أيّ نوع من الظلام؟»

النوع الخاطئ. قلبتني العاطفة المفاجئة التي اجتاحتني رأسًا على عقب.

تشنج كتفي، وشعرت برغبة في تمزيق هذا الكتاب إربًا، وتسارعت أنفاسي كثيرًا مثل حصان بري محاصر.

قالت: «حاول. أيّ نوع من الظلام؟»

كان صوتها مشجعًا. وكنت على وشك أن أفقد أعصابي، لكنّها كانت تعتقد أنّها ستتغلغل بطريقة ما إلى داخلي، لتعثر على الفضة اللامعة تحت هذه الكدرة. لقد رأيت هذه النظرة من قبل: لدى المختصين الاجتماعيين، لدى أطباء النفس في المدرسة، ولدى المعلمين الآخرين.

ما فشلوا في فهمه هو أنّه لا جدوى من المحاولة.

تذمر كيث ماسون على بعد بضع صفوف، وتمتم: «ربّما لا يقرؤون الكثير من الشعر في الإصلاحية».

دفعت مقعدي بشدة حتى كشط الأرض.

كانت السيدة هيلارد أسرع ممّا كنت أتوقع، وأشجع أيضًا. فعلى الرغم من أنّني كنت أطول منها بست بوصات اعترضت طريقي. وقالت بسرعة: «أثبت له أنّه على خطأ، أجب عن سؤالي، أي نوع من الظلام؟»

احتجت إلى لحظة لاستخلاص أفكار ذكية. أبعدت عيني عن كيث ونظرت إليها. كان رأسي يدور من العاطفة التي ولّدتها رسالة الفتاة والذكريات التي أثارتها القصيدة والإذلال جرّاء تذكير شخص آخر بما أنا عليه وبالنظرة التي يراني بها هؤلاء الناس.

قلت وقد اخشوشن صوتي مرة أخرى: «إنّه ليس على خطأ». ثمّ ارتميت في مقعدي وأبقيت عيني على كتابي. أخذت قلمي وواصلت الخربشة.

سحبت أنفاسها لتضيف شيئًا، فهدّدت أصابعي بكسر قلم الرصاص. ودون قصد، بدأت بحفر حفرة في الورقة.

رنّ الجرس، واندفع الطلاب من حولي في موجة من النشاط. بدأت المُدرّسة بتذكيرنا بمهام الواجب المنزلي، بعض الفقرات التي سأكتبها على الأرجح بين الفصول الدراسية.

وضعت رسالة الفتاة في الكتاب المدرسي ووضعته في حقيبتي. كان طريقي إلى الباب واضحًا، فالجميع يتجنبني باستثناء السيدة هيلارد، التي اعترضت طريقي مرة أخرى، وقالت: «هل لديك دقيقة واحدة؟»

انتابتني رغبة في تجاهلها. فمع تدفق الطلاب من حولنا خارج الحجرة، كان من السهل تجنب النظر إليها والتسلل ضمن

هذا الدفق. ولو بدت كأنّها ستكتب لي حجزًا أو تفتعل شجارًا، لم أكن لأتردد.

لكن، لم تبدُ أنّها ستفعل، لذا توقفت.

قالت: «هل ستتأخر عن صفك التالي؟»

هززت رأسي. «سأتناول الغداء». ثمّ أدركت أنّه كان بإمكاني أن أكذب وأخرج من هنا دون الكثير من المتاعب.

أومأت برأسها إلى أحد المقاعد في الصف الأمامي. «اجلس دقيقة».

سحبت أنفاسي وترددت ولكن بعد ذلك أطلقتها في تنهيدة، وارتميت في المقعد. إنّها المرة الأولى التي أجلس فيها في الصف الأمامي لأي فصل دراسي في هذه المدرسة.

بدأت بشكل رسمي: «أريد أن أتحدث إليك حول ما قلته».

أوه.. أوه.. يا لي من مغفل.. هممت بالنهوض من الكرسي، وشعرت بالمرارة المعهودة تستقر في صدري. «أيًّا كان، فقط اكتبي لي ورقة حجزٍ حتى أخرج من هنا». مكتبة .. سُر مَن قرأ

طرفت عيناها، وجفلت: «لا أريد أن أكتب لك ورقة حجز».

عبست: «إذًا ما الذي تريدينه؟»

«أريد أن أعرف لماذا قلت *اليأس*».

«لقد كان تخمينًا غبيًّا! ربما كان عليك أن تسألي. . .»

«هل أنت خائف جدًّا من أن تبدو ذكيًّا؟» مالت إلى الخلف في مقعدها وطوت ذراعيها على صدرها.

عبست، لكنّني لم أقل أي شيء.

ولم تقل هي أي شيء أيضًا.

كان وزن كلماتها يثبّتني بهذا الكرسي، ويفصل كبريائي الكلمات: خائف، هل أنت خائف حقًا؟ لتبدو ذكيًا؟

أنا لست طالبًا سيئًا، هذه طريقة جيدة لإزعاجي، ولست بحاجة إلى إعطاء هؤلاء الأشخاص أي سبب آخر للوقوف في وجهي. كان هناك وقت عندما كنت طالبًا جيدًا، عندما كانت والدتي تعلق كشوفي على باب الثلاجة. أمّا الآن، فأنا أبذل من الجهد فقط ما يكفي لأشق طريقي، حريصًا على ألّا أسقط في أي مادة.

كانت كلماتها جريئة.

جلسنا هناك وقتًا طويلًا.

«سأفوت غدائي»، قلت أخيرًا.

هوى كتفاها قليلًا بما يكفي، ثمّ تنهدت: «حسنًا». وأومأت للباب، وقالت: «يمكنك الذهاب».

كنت في منتصف الردهة عندما لحقني صوتها.

«ديكلان، انتظر.. واجبك المنزلي». التفت، فرأيتها تنزل عبر الرواق، حاملة ورقة مطوية بين أصابعها. «لقد سمعته في الصف».

«لا، أريدك أن تكتب لي شيئًا آخر». ثمّ رفعت الورقة وقالت: «اكتب لي القليل أو الكثير من الإجابة كما تريد».

أخذت الورقة، فلمعت عيناها.

ثم جعدتها في قبضتي والتفت مبتعدًا.

تخطيت الطابور في الكافتيريا لأنّه سيكون لدى ريف ما يكفي من الأكل لإطعام جيش. إذ دائمًا ما تحضّر كريستين شيئًا إضافيًا لي.

لا أستطيع أن أتذكر آخر مرة أعدّت فيها أمي غداء لي، كما لو أنّني لا أستحق ذلك.

ألقيت الورقة المجعدة على الطاولة، ثمّ ارتميت على المقعد المقابل لريف. كانت لدينا طاولتنا الخاصة. كان المطر ينقر على النوافذ والمكان مكتظ، لكن لا أحد يزعجنا.

قلت له: «إنّك تبدو مثل حاصد أرواح»، لأنه بدا كذلك بالفعل. فقد كان مرسومًا على قميصه ذي القلنسوة هيكلٌ عظميٌ على الصدر والذراعين. وكالعادة، كان يرتدي القلنسوة.

«أعتقد أنّ هذا هو المغزى منه». ثمّ فتح الورقة وقرأ: «لماذا ديلان توماس يائس؟ ما هذا؟»

«إنّه واجب اللغة الإنجليزية، هذه ليست الورقة التي أريد أن أريك إيّاها».

سحب شطيرة من كيس غدائه ومررها إليّ عبر الطاولة، وقال: «ثمّة المزيد من عند فتاتك؟»

فتاتي.. لم يكن يجدر بي أن أحب هذا.. لكنني أحببته.

كان يعلم أنّنا قد واصلنا التراسل، لكنّني لم أُره أيًا من رسائلها منذ الليلة التي حدثته فيها عنها. لقد أصبحت محادثاتنا شخصية جدًّا، ولا أحب فكرة مشاركة أسراري مع الآخرين. لكنّ هذه الرسالة قصيرة وغامضة، وعليّ أن أخبره.

حدّق إلى الكلمات بينما كنت أفتح شريحتين من خبز الموز. كانت كل شريحة مدهونة بالجبنة الكريمية ويعلوها الزبيب والجوز، فشعرت فورًا بالجوع. أريد أن ألتهم كل ذلك دفعة واحدة.

«إنّها في مثل سنّنا»، قال ريف.

«أجل».

ثمّ أجال بصره، كما لو أنها يمكن أن تراقبنا. وبدلًا من الفرحة ذاتها التي شعرت بها، كان تعبيره جادًا: «هل أنت متأكد من أنّ شخصًا ما لا يعبث معك بطريقة ما؟»

«كيف يعبث معي؟»

«إنّها لا تريد مقابلتك، وأنت لا تعرف يقينًا أنّها في السابعة عشرة. قد تكون رجلاً في الخمسين من عمره يفتعل هذا الأمر برمّته». سحبت الرسالة من يديه ووضعتها في حقيبتي.

«اسكت، ريف»

راقبني وأنا آكل للحظة.

«دعني أراها مرة أخرى».

«لا».

«حسنًا». سحب قنينة من المياه الغازية من حقيبته وفتح الغطاء.

في بعض الأحيان أرغب في لكمه. سحبت الرسالة ومررتها له عبر الطاولة.

قرأها مرة أخرى. وقد جعلني هذا أشعر بالقلق الشديد في الداخل.

اتقدت عيناه، وقال: «إنّها معجبة بك».

هززت كتفَي وسرقت قنينته. كان طعمها مثل شخص غمر البرتقال في زجاجة بيرييه، فسعلت.

ابتسم ريف، وقال: «إنّها تعجبك».

«كيف يمكنك شرب هذا القرف؟»

اتسعت ابتسامته، وأضاف: «هل يصيبك الجنون من أنّها لم تكشف عن نفسها؟»

«أنا جاد، يا ريف، هل لديك أيّ مياه عادية؟»

لم يكن أحمقَ. «ماذا تريد أن تفعل؟»

سحبت نفسًا طويلًا ثمّ أطلقته. مررت يدي عبر شعري وقلت: «لا أدري».

«أنت تدري».

«أريد أن أخرج من هذا القبر، فهذا الانتظار بين الرسالة والأخرى يقتلني».

«اقترح التراسل عبر البريد الإلكتروني».

«لا تريد أن تخبرني بأي شيء أكثر عن عمرها، لن تعطيني عنوان بريدها الإلكتروني».

«ربما ليس بريدها الإلكتروني *الحقيقي*. ولكن يمكنك إنشاء حساب خاص وإعطاؤها العنوان. وانظر إذا كتبت لك».

إنّها فكرة بسيطة جدًّا ورائعة. أكره أنّني لم أفكر فيها.

«ريف، يمكنني أن أقبلك».

«نظّف أسنانك أولاً». ثمّ طالب باستعادة قنينة مياهه الغريبة.

«ماذا لو لم ترد مرة أخرى؟»

وضع رسالتها وشدّد على الكلمات *وهذا ما يعجبني كثيرًا في الأمر*.

«ستفعل، ديك. ستفعل».

الفصل العاشر

لا أريد أن أفقد هذا، أيضًا.

ولكن ربما يمكننا أن ننتقل بهذا إلى مستوى رقمي، حتى لا نكون تحت رحمة الظروف؟

لقد أنشأت حسابًا مجهولًا: TheDark@freemail.com

أنتظر خطوتك، يا فتاة المقبرة.

واااو..

كان نسيم الصباح باردًا، يهزّ الرسالة بين يدي. قرأتها مرة أخرى.

واو.. *واو*..

فجأة، احتجت إلى أن أتحرك.

قبلت كفّي وربتت على شاهد القبر.

«آسفة يا أمي، عليّ أن أذهب».

الفصل الحادي عشر

من: فتاة المقبرة <cemeterygirl@freemail.com>
إلى: الظلام <TheDark@freemail.com>
التاريخ: الأربعاء، 2 أكتوبر الساعة 7:17:00 صباحًا
الموضوع: الانتقال إلى المستوى الرقمي؟

الظلام؟ ألا تعتقد أنّ هذا وحشي نوعًا ما؟

لقد أرسلت لي رسالة إلكترونية بالفعل.

لقد أرسلت لي *رسالة إلكترونية*.

كنت جالسًا في مكتبة المدرسة أبتسم مثل الأبله.

لم أربط هذا الحساب بهاتفي بعد، لأنّني لم أعتقد حقًا أنّها سترد. كدت لا أترك رسالةً الليلة الماضية. فقد ظل ميلونهيد -فرانك- يسأل طوال الوقت لماذا كنت عصبيًا جدًّا.

أخبرته بأن كل هذا بسبب المخدرات، فنهرني وقال إنّه ينبغي ألا أمزح بمثل هذه الأمور.

وقعت عيني على توقيت الإرسال، كان الأربعاء أي اليوم، وليس اليوم فقط بل قبل عشرين دقيقة. تسارعت ضربات قلبي. إذ يمكن أن تكون هنا. يمكن أن تكون في المكتبة في هذه اللحظة. ألقيت نظرة خاطفة من حولي، محاولًا ألّا ألفت الانتباه. كانت معظم أجهزة الكمبيوتر مشغولة، ولكن لم أكن قادرًا على رؤية

ما يفعله أيّ شخص. فقد وضعت على الشاشات واقيات من ذلك النوع الذي لا يتيح لأي شخص قراءة ما في الشاشة إلّا إذا كان ينظر إليها مباشرة. وكان الطلاب من جميع الفئات، من فتى السنة الأولى ذي حب الشباب إلى الفتاة الآسيوية ذات الخصلات الوردية في شعرها، التي تبدو كأنّها ترتدي بيجاما.

تردد صوت ريف في رأسي، *قد تكون رجلاً في الخمسين من عمره يفتعل هذا الأمر برمته*.

طردت الفكرة عن ذهني، وألقيت نظرة من حولي مرة أخرى.

يبدو أنّ الجميع منهمك في شيء، سواء في الكتابة أم النقر أم القراءة. لم يكن أحد يسترق النظرات غيري.

يا لي من مغفل. لماذا *ستسترق* النظرات؟ قد تكون أرسلت الرسالة من المنزل على أي حال. ففي النهاية لا تحمل الرسالة الإلكترونية علامة من قبيل «*مرسلة من مكتبة ثانوية هاميلتون*».

اتجهت أمينة المكتبة إلى الكمبيوتر المركزي. ليس لدي أدنى فكرة عن اسمها، لكنها تبدو كأنّها تقارب السبعين.

«ثلاث دقائق ويرن الجرس، ابدؤوا في حفظ أعمالكم إذا لم تكونوا قد قمتم بذلك بعد».

لا يمكنني كتابة رد خلال ثلاث دقائق، لا سيما الرد على رسالة تنتقد عنوان بريدي الإلكتروني.

أطفأت جهاز الكمبيوتر وحملت حقيبتي على كتفي. كانت الممرات مكتظة بالطلاب وهم في طريقهم إلى صفوفهم، لكنّني تركت نفسي أتدفق بينهم. سحبت هاتفي وبدأت في ربط عنوان البريد الإلكتروني به حتى أتلقى إشعارًا عندما تكتب لي مرة أخرى.

ثمّ توقفت، لا أحب فكرة أن تصل رسائلها في نفس البريد الوارد مع إشعارات حول المثول أمام المحكمة والحجز المدرسي. إنّه تذكير صارخ بمن أنا وما أنا عليه حقًا.

بحثت لأرى إن كان للفريميل تطبيق خاص به.

رائع! ليس لدى الخدمة تطبيق خاص بها فقط، بل هناك أيضًا ميزة دردشة وإشعار قابل للتخصيص.

ينبغي ألا أن أكون متحمسًا كثيرًا بشأن ميزة الدردشة، فأنا لا *أعرف* حتّى هذه الفتاة.

لكن هذا لا يمنعني من النظر لمعرفة إن كانت متصلة، لم تكن متصلة.

ربّما لم يكن لديها التطبيق.

حين دخلت الفصل، كان المدرّس يحاول جعل الجميع يجلس. وكان الضجيج هنا أعلى من ضجيج التجمعات الحماسية.

تجاهلني الجميع، لكن ذلك لم يكن يهمني. وارتميت في مقعدي آخر الحجرة وبدأت بالكتابة.

الفصل الثاني عشر

من: الظلام <TheDark@freemail.com>
إلى: فتاة المقبرة <cemeterygirl@freemail.com>
التاريخ: الأربعاء، 2 أكتوبر الساعة 8:16:00 صباحًا
الموضوع: الوحشي

لقد كان لقاؤنا عبر تبادل الرسائل في مقبرة. لذا، لا أعتقد أنّ أيّا منا في وضع يسمح له بنعت الآخر بالوحشي.

كنت أفكر كثيرًا في ما قلته عن والدك، وكيف أنّه ينوي التخلّص من معدات والدتك. عندما ماتت أختي، لم ترغب أمي في أن تتخلص من أي شيء. ورفضت أن تلمس أي شيء لمسته كيري. كانت كيري، قبل أن تخرج من المنزل يومها، قد تناولت شطيرة جبن مشوي، وتركت صحنًا في الحوض مليئًا بقشور الخبز. كانت كيري تحب الجبن المشوي وتصنع لنفسها شطيرة واحدة كل يوم تقريبًا، ما يعني أنّها كانت تترك طبقًا غبيًا مستقرًا هناك كل يوم. وكانت أمي تصرخ عليها لهذا السبب.

«غسالة الصحون هناك، كيري! لن تجدي شخصًا ينظف بعدك لبقية حياتك، أتعلمين!»

بعد وفاتها، لم تستطع أمي لمس الصحن. وظل هناك لأسابيع، حتى نما العفن على القشور، وجذب النمل. كان مثيرًا للاشمئزاز. وذات مرّة، حاولت تنظيفه، معتقدًا أنني بهذا أساعدها، حتى لا تضطر هي إلى القيام بذلك.

لكنّها صرخت في وجهي وطلبت مني عدم لمس أيّ شيء يخص كيري مرة أخرى. لقد كانت مستاءة جدًّا حتى أنني بالكاد استطعت فهمها.

ركضت، واختبأت.

من المحرج كتابة هذا. لقد كدت أحذفه، ولكن هذا هو المغزى من هذه السريّة والغموض الذي بيننا، أليس كذلك؟

لم يسبق أن خفت من والدتي إطلاقًا، لكنني شعرت بالخوف يومها. لم أكن خائفًا حقًا من أن تؤذيني، مع أنّ هذا كان جزءًا من الخوف. لم تكن بالمرأة الضخمة، ولكنّها بدت كذلك يومها.

كنت خائفًا من حزنها. كان يبدو أكبر بكثير من حزني، وكنت قلقًا من أن يطغى عليّ. كان والدي في السجن، وأختي ميتة، وأمّي محاصرة في ألمها الخاص.

كنت مسؤولًا عن كل ذلك.

كنت خائفًا من أن تُقدم على فعل شيء لا يمكن إصلاحه.

لقد كنت خائفًا من فقدانها.

لم أبقَ مختبئًا لفترة طويلة. لأنّها جاءت للبحث عني، ولم يكن لدي أيّ مكان أذهب إليه حقًا. لقد كنت حينها في الثالثة عشر من عمري. وقد عثرت عليّ في خزانة ملابسي. وكانت عيناها محمرّتين، لكنها لم تكن تبكي، وكان صوتها ناعمًا، ناعمًا جدًّا. عندما خرجت من الخزانة، وضعت يديها على وجنتي واعتذرت. ثمّ راحت تمسّد شعري، قائلة أنّه لم يعد لدينا سوى بعضنا بعض الآن، وأنّه ينبغي لنا أن نعتني ببعضنا. ثمّ قالت إنّ بإمكاني أن أبدأ بمساعدتها في القيام بشيء في المطبخ.

بعد ذلك، اختفى الطبق من الحوض، وأصبحت تفوح من المنضدة رائحة المُبيّض. وطلبت مني أمي أن أجمع جميع الأطباق، لأنّها لم تعد تقوى على لمسها.

أتذكر كيف أنني وضعت كل طبق في صندوق بعناية شديدة، لأنّني لم أرغب في فعل أيّ شيء قد يثير غضبها مرة أخرى.

لكن ما كان ينبغي أن أزعج نفسي، فقد أخذناها جميعًا إلى المكب، وجعلتني ألقي بها في القمامة بينما كانت تقف هناك تدخن سيجارة. لم يسبق أن رأيت والدتي تدخن إطلاقًا، لكنها كانت تحدق إلى صندوق الأطباق المحطمة، والسيجارة ترتعش بين أصابعها.

لم يسبق لي أن رأيت أحدًا يفعل شيئًا كهذا. لقد ظننت أنّها قد بدأت تفقد عقلها. وأراد جزء مني أن يركض مرة أخرى، لكن الجزء الأكبر كان خائفًا من تركها بمفردها.

بعد سحب نفسين، داست على السيجارة وقالت: «لنذهب لشراء بعض الأطباق. ويمكن أن تختارها بنفسك».

لا أعرف ما المغزى من ذكر هذه القصة، عدا القول إنّ المرء ربّما أحيانًا يصل إلى نقطة يشعر فيها بألم شديد، وقد يفعل أيّ شيء للتخلص من هذا الألم.

حتى لو كان ذلك يعني فعل شيء قد يؤذي شخصًا آخر.

أشعر ,أنّني بحاجة إلى سيجارة.

لا، هذا غير صحيح. فأنا أكره التدخين. إنّه مقرف.

لكن ما زلت في حـاجة إلى شيء ما.

أحب الشعور الذي تحمله كلماته. كان من المفترض أن أكون في طريقي للالتقاء بروان لتناول الغداء، لكنّ خطواتي كانت بطيئة. فقد كان الرواق مكتظًا بطلّاب متلهفين لأشياء أخرى غير الدراسة، وظلوا يصطدمون بي على طول الرواق. لم تكن أفكاري مركزة على أي وجهة، إذ ما زلت عالقة في الوقت الذي كان فيه صبي يبلغ من العمر ثلاثة عشر عامًا يراقب والدته وهي تفقد صوابها.

«جولييت! يا له من توقيت مثالي».

ظهر السيد جيراردي أمامي متكئًا على باب غرفة صفه.

لا أدري ما الذي جاء بي إلى هنا، فأنا لم آت إلى ممر الفنون منذ وفاتها. كانت الصور الفوتوغرافية بالأسود والأبيض معلقة على طول الجدار عبر الردهة. وكانت إحدى هذه الصور رائعة، حيث تظهر رجلًا يجلس على مقعد في الحديقة، وقد تأثر جلده بالعوامل الجوية، وكان يرتدي قبعة تتدلى فوق عينيه. لقد كان اليأس يتدفق من هذه الصورة. وباستثناء صورتين لائقتين، لم يكن هناك شيء مميز. فقد كان الباقي مجرّد هراء.

صورة لوعاء فاكهة، حقًا؟

نظرت إلى السيد جيراردي، وقلت: «لقد كنت في طريقي لتناول طعام الغداء. لم أقصد أن آتي من هنا».

رمقني بنظرة مضحكة وقال: «هل أنتِ واثقة؟»

كان جناح الفنون ملحقًا بالمدرسة الأصلية، لذا فهو ليس «في الطريق» حقًا إلى أيّ مكان. وقد سهّل عليّ موقعه المنعزل تجنب أيّ شيء يتعلق بالتصوير الفوتوغرافي بعد وفاتها. وقد سهّل أكثر

تجنب محاولات السيد جيراردي لحملي على إعادة التسجيل في دورة التصوير الفوتوغرافي.

قال لي: «كما تعلمين، لا يزال هناك وقت لتغيير جدولكِ الزمني. لكن ليس الكثير من الوقت».

ماذا؟

هززت رأسي بسرعة وقلت: «لا، أنا بخير».

«هل أنتِ واثقة؟ لم يعد لدى براندون منافسون كثر».

براندون تشو. على الأرجح أنّه هو من التقط صورة الرجل على مقعد الحديقة. لقد اعتدنا أن نتنافس منافسة ودية حول من منّا يستطيع الحصول على مساحة أكبر في جريدة المدرسة والكتاب السنوي. وكانت روان تقول دائمًا أنّنا كنا سنشكل زوجًا لطيفًا مع الكاميرات وكل شيء، لكنّه كان معجبًا جدًا بنفسه ليكون مناسبًا لي.

كدت أقلب عيني، وقلت: «أنا متأكدة من أن براندون سيُبلى بلاءً حسنًا». ثمّ أدركت ما قاله عندما رآني «يا له من توقيت مثالي؟»

«أحتاج إلى خدمة، وأنتِ أنسب شخص للقيام بها».

كان السيد جيراردي مدرس التصوير الفوتوغرافي الوحيد في المدرسة، وعندما يحتاج إلى خدمة، فعادةً ما يتعلق الأمر بالتقاط صورة لشيء ما.

قلت: «لا». فعبس وقال: «لم تسمحي لي حتى أن أقول ما حاجتي».

«هل يتطلب الأمر كاميرا؟»

تردّد، ثمّ قال: «نعم».

«إذًا لا». استدرت وتابعت طريقي مبتعدة، ثمّ قلت: «لم أقصد أن آت من هنا. كنت فقط مشتتة الانتباه».

قال: «قد يكون من الجيّد بالنسبة إليك التقاط الكاميرا مرة أخرى. لن تعرفي أبدًا ما لم تجربي».

تابعت سيري.

فصاح قائلًا: «سيستغرق الأمر ساعة فقط، وستحصلين على نقاط إضافية».

لم أتوقف، وبالكاد صرت أسمعه. كأنّني أهتم بأمر النقاط الإضافية الآن.

صاح: «يمكنك استخدام كاميرا لايكا خاصتي».

لم أستطع منع نفسي، توقفت قدماي لثانية واحدة فقط. وقد كان هذا رد فعلٍ تلقائي.

كان السيد جيراردي يمتلك كاميرا لايكا M رقمية مذهلة، لطالما سال لعابنا لدى رؤيتها. ونادرًا ما كان يسمح لأحد الطلبة باستخدامها، على الرغم من أنّه سمح لي بمساعدته في تصوير حفلة موسيقية في العام الماضي، لذلك كنت أجيد العمل بها. كانت جميلةً مثل كاميرا أمي الميدانية، التي لم تدعني *ألمسها* قط. لقد كانت تحتفظ بها حرفيًا على مذبح حين لم تكن تعمل.

أمّا الآن، فهي تقبع في حقيبة ملطخة في زاوية غرفتي.

فجأة، تعرّقت راحتي، لا أستطيع فعل ذلك. واصلت السير، واستدرت عند الزاوية بأسرع ما يمكن. لقد تأخرت على الغداء، وكان الطابور طويلًا جدًا. على أيّ حال، لم تكن لدي أيّ شهية.

ثمّ لمحت روان في الزاوية الخلفية، جالسة على طرف الطاولة.

ألقيت حقيبتي تحت الطاولة، وارتميت أمامها.

توقفت عن مضغ شطيرتها ورفعت حاجبيها. «ألن تأكلي؟»

«لا». لكنّني رحت أبحث تحت الطاولة عن زجاجة الماء الخاصة بي.

«لمَ لن تأكلي؟»

لم أنظر في عينيها، وقلت: «ليس بالأمر المهم».

«يبدو أنّه مهم حقًا».

أطلقت تنهيدة، تركت فمي مفتوحًا: «رو. . .»

ولكن بعد ذلك توقفت.

أحيانًا يصل المرء إلى نقطة يشعر فيها بألم شديد، وقد يفعل أيّ شيء للتخلص من هذا الألم. حتّى لو كان ذلك يعني فعل شيء قد يؤذي شخصًا آخر.

كان يقصد والدي، لكنّه جعلني أفكر في روان. هل فعلتُ هذا بها؟

كنت أعبث بقنينتي وأفكر في ذلك. وهذا ليس بالشعور الجيّد.

فتحت روان كيسًا من رقائق البطاطس. «هل للأمر علاقة بالسيد جيراردي؟»

اتجهت عيناي صوبها وقلت: «ماذا؟»

أومأت برأسها نحو المدخل، وقالت: «لأنّه يتجه نحونا».

كدت أسقط من على المقعد وأنا ألتفت بسرعة لأرى ما تتحدث عنه، لقد لحق بي!

لوهلة، تشبثت بالأمل الساذج أن يكون هنا لأخذ صودا أو ليضايق شخصًا آخر. لكن لا، فقد سار السيد جيراردي مباشرة نحوي. «على الأقل دعيني أطلب منك خدمة».

لقد كان عقلي مشوشًا مسبقًا، وأنا أفكر في طريقة تعاملي مع روان. وكدت أرد ردًا حادًا كان على طرف لساني، تجاهلته ورحت أنقر على بقعة ملطخة على سطح الطاولة. قال: «أحتاج إلى صور للكتاب السنوي لمهرجان الخريف. اقضي ساعة فقط، التقطي فيها بعض الصور، واعتبريه يومًا».

«المهرجان يوم الغد».

«أعلم».

يبدو من السخافة أن يكون لديك مهرجان خريف بينما لا تزال درجة الحرارة في الخارج ثمانين درجة، بالكاد كنّا في شهر أكتوبر. لكن هذا كان تقليد المدرسة: مهرجان الخريف ومباراة العودة يوم الخميس، والحفل الراقص يوم الجمعة.

قلت: «لا أنوي الحضور». لم أكن أنوي حضور أيٍّ منها.

أخذت روان رشفة من الصودا ولم تقل شيئًا.

ألقى السيد جيراردي بنفسه على المقعد بجانبي، وقال بهدوء: «إنّها سنتك الأخيرة. لن تحظي بفرصة أخرى لتكوني طالبة سنة أخيرة في المدرسة الثانوية».

أطلقت شخرة، ثمّ قلت: «أتعتقد أنّني سأندم بشكل ما لعدم التقاط صورٍ للاعبي كرة القدم وهم يضربون وجوه بعضهم بعضًا بالكريمة المخفوقة؟»

«ربّما»، ثمّ توقف لحظة قبل أن يردف: «لا يمكنكِ أن تخبريني بأنّك لم تفكري في التقاط الكاميرا مرة أخرى».

تبادر إلى ذهني ديكلان مورفي، وتذكرت اللحظة التي أُلقيَ فيها شريط من الضوء على عينيه بينما كان يتفحص سيارتي، فبدا حينها كبطل، لكن بشكل عكسي. وتلك التعابير التي ارتسمت على وجهه في الردهة بعد ما سكبت عليه القهوة، كل ذلك العدوان والغضب، مع شيء يقترب من الهشاشة.

قال السيد جيراردي: «لقد فكرتِ في ذلك. أعلم أنّك فعلت. إنّك تمتلكين من الموهبة الكثير ولا يصح أن تتخلي عنها إلى الأبد، جولييت».

لم أرد.

«هل تعتقدين أنّ والدتك كانت لترغب في هذا؟»

«لا تتحدث عن والدتي».

ضربت الطاولة بيدي، بشدة جعلت الطلّاب من حولنا يصمتون لينصتوا إلى محادثتنا.

لم يجفل، وقال: «هل تعتقدين ذلك؟»

لا، لن ترغب في هذا. وربّما كانت ستخجل بي.

كانت ستقول، وهي تهز رأسها: *«أوه، جولييت، ألم أُربّك لتتحلي ببعض الشجاعة؟»*

لم تستحثني الكلمات. وبدلاً من ذلك، جعلتني أرغب في الانكماش أكثر على نفسي.

حينها تدخلت روان قائلة: «ربّما يمكنك أن تطلب من بعض الطلاب الجدد القيام بذلك».

نطقت دون تفكير: «إنّه الكتاب السنوي، وليس الإنستجرام».

ابتسـمتْ وأخـذت رشـفة مـن مشـروب الصـودا، وقالـت: «إذًا فلتفعلـي أنت ذلـك». تعرّقـت يـداي مـرة أخـرى، ورحـت ألـفّ زجاجـة المياه بينهما. لا أدري ما مشـكلتي، إنّها كاميـرا غبيـة، وسـاعة غبيـة مـن الزمـن. ومجموعـة غبيـة مـن الصـور التـي سـرعان مـا تفقـد أهميتها بعـد أن ينظـر إليهـا الجميـع مـرة أو اثنتيـن.

فكـرت فـي تلك الأطباق المحطمة التي اسـتقرت فـي قعر مكب النفايات.

كان السـيد جيـراردي ينتظـر ردي بصبـر. فنظـرت إليـه، وقلـت: «يمكننـي اسـتخدام الكاميـرا خاصتـك؟» لأنّنـي بالتأكيـد لا أسـتطيع اسـتخدام كاميـرا والدتـي.

لم تتغير تعابيره. أحب فيه هذا. «نعم».

«عليّ فقط التصوير لمدة ساعة؟»

«نعم، بكل صراحة. أيًا كان ما تريدين».

أخـذت نفسًـا عميقًـا. وشـعرت كأنّنـي أقـف علـى حافـة جـرف، والجميـع يحثنـي علـى القفـز، بمـا فـي ذلـك والدتـي. والجميـع يخبرنـي بأنّنـي سـأكون بأمـان، لكـن كل مـا أراه هـو هاويـة سـحيقة.

قلت: «سأفكر في الأمر».

توقعـت منـه أن يضغـط علـيّ أكثـر، لكنّـه لـم يفعـل. قـام مـن فـوق المقعـد، وقـال: «فكـري فـي الأمـر. وتعالـي لرؤيتـي أمـام قاعـة الصـف وأخبرينـي بقـرارك».

فكري في الأمر.

يمكنني القيام بهذا.

***

أحضر والدي دجاج كنتاكي للعشاء. ولم أكن من محبي الوجبات السريعة حقًّا، لكنّني لم أتناول شيئًا في الغداء وكنت أتضور جوعًا. كانت رائحة الدجاج المقلي طيّبة جدًا حتّى أنني رحت أخرج الأطباق من الخزانة قبل أن يضع الكيس على الطاولة.

بدأت بتمزيق الكيس البلاستيكي، وحشرت حبة بسكويت في فمي بينما كنت أفصل الأطراف. كانت هناك بطاطس مهروسة ومرق ومعكرونة وجبن. كان كل شيء عبارة عن درجات متفاوتة من البيج. لا شيء ملون ولا حتى فاصوليا خضراء.

لا يمكنني أن أجبر نفسي على أن أهتم. قمت بفتح علبة بطاطس الوودجز ووضعت بعضًا منها في كل طبق.

ثمّ أدركت أنّه كان يحدق إليّ.

فقلت والبسكويت في فمي: «ماذا؟»

تنحنح قبل أن يقول: «أولًا، أنت في المنزل. وثانيًا، أنت تأكلين».

«أنا آكل دومًا».

«لا، جولييت. أنتِ لا تفعلين».

تأملته، كان عاديًا جدًّا حتى أنّني تساءلت عمّا أبصرته أمي فيه. لقد كانت نابضة بالحياة في كل شيء. وإذا دخلت غرفة ما لا يمكنك سوى أن تتأثر بنورها.

لم يكن يمتلك شيئًا يميزه تمامًا. فقد كان ذا بشرة عادية وشعرٍ بُنيّ وعينين بنيتين وجسم ممتلئ. وتمامًا كالطعام، كان هناك الكثير من البيج فيه. إنّه رجل لطيف فقط بما فيه الكفاية، على ما أعتقد. أذكر أنّنا كنا مُقرّبين بعضنا من بعض

حين كنت صغيرة، لكنّني أعتقد أنّه شعر بالارتباك من دورتي الأولى وتقلبات المزاج الناتجة عنها، فقرر الحفاظ على مسافة بيننا بعد ذلك.

قال: «ما الذي تغير؟»

قلت بلا مبالاة: «لا شيء تغيّر. لم أتناول الغداء، وأنا الآن جائعة».

تردّد قبل أن يضيف: «حسنًا. هل ترغبين في أن أحضر مشروبات؟»

«بالتأكيد».

أحضر لنفسه البيرة ووضع كوب حليب أمامي؛ ما جعلني أقلّب عينيّ. لقد أحضر لي الحليب وكأنّني في السادسة من عمري، وقد فاجأني أنّه لم يحضر قشة.

هممت بأخذ رشفة من البيرة، فقط لأرى ماذا سيفعل، لكنّني كنت قد استهلكت كلّ شجاعتي لهذا اليوم.

جلست هناك وأكلت في صمت لبعض الوقت. لقد كنت متحمسة لرائحة الدجاج، لكن الجلد بدا لزجًا بين أصابعي، فنزعته بالكامل وقطعت اللحم إلى شرائح.

أخيرًا، كسر الصمت قائلًا: «هل أنهيتِ كل واجباتك المنزلية؟»

لم يسألني عن الواجبات المنزلية منذ أن بدأت الدراسة.

نظرت إليه، وقلت: «ما زال البعض منها».

«هل هناك أي شيء يزعجك؟»

قطعت قطعة دجاج أخرى، وقلت: «المدرسة بخير».

التـزم الصمـت مـرة أخـرى، ولكـن كان بإمكانـي أن أشـعر بانتباهـه منصبًّـا علـي. شـعرت برغبـة فـي أن آخـذ طبقـي وأصعـد بـه إلـى غرفتـي، لكننـي كنـت أفكـر فـي اليـوم الـذي كان سـيتخلص فيـه مـن معداتهـا والطريقـة التـي عاملتـه بهـا. ربّمـا كان يؤلمـه أن يبقـي كل شـيء هنـا.

ربّما يؤلمني أنا أيضًا دون أن أدرك ذلك.

كان عليّ أن أتنحنـح وأبقـي عينـي ثابتـة علـى طعامـي، لكنّ صوتـي خـرج أصغـر ممـا أريـد: «يمكنـك بيـع معدّاتها».

سـحب نفسًـا سـريعًا، ثـمّ قـال: «لسـت بحاجـة إلـى القيـام بذلـك، جولييـت. . .»

«حسـنًا، لقـد بالغـت فـي ردة فعلـي. مـن الغبـاء الاحتفـاظ بهـا هنـا».

مدّ يده عبر الطاولة ووضعها على يدي. «لم يكن هذا غباءً».

لا أتذكـر آخـر مـرة لمسـني فيهـا. وامتـلأت عينـاي بالدمـوع قبـل أن أكون مسـتعدة لذلـك. أحـب شـعور يـده، أحـب هـذا الاتصـال، ومـا يبعثـه مـن دفـء. ولـم أدرك كـم كنـت هائمـة حتـى أمسـك بـي.

كان لا بـد لـي مـن أن أسـحب يـدي. وقـد تركنـي أفعـل، لكنّـه أبقـى علـى يـده هنـاك.

ضغطـت علـى عينـي بأطـراف أصابعـي. «لقـد كنـت غبيـة، ربّمـا ظننـت أنّنـي ابنـة حقـودة».

«أبدًا». قال بهدوء.

كانـت كتفـاي تهتـزان. ولـم أسـتطع النظـر إليـه وإلّا كنـت انهـرت تمامًـا. وانكمشـت علـى نفسـي بشـدة حتـى وكـز كوعـاي معدتـي.

طوّقني بذراعه، ولا بدّ أنّ الأمر كان أشبه بتطويق صخرة. لم أنتبه حتى إليه وهو يلتف حول الطاولة.

وكانت تصدر منّي أنفاس نصف مكسورة وشهقات قصيرة.

«أنتِ لست حقودة»، قال وهو يمسّد شعري.

قلت: «إنّني أفتقدها كثيرًا»، وانكسر صوتي عند الكلمة الأخيرة، قبل أن أكمل: «أردت فقط أن تعود إلى المنزل».

«وأنا أيضًا».

أردت أن أرتمي في حضنه. أردت أن أترك شخصًا آخر يحمل هذا الوزن عني، حتى لو كان ذلك لوقت قصير فقط. لكن مرّ وقت طويلٌ جدًا، وكان هو بعيدًا جدًا. سأرمي بنفسي إليه، وسيتراجع ليتركني أصطدم بالوحل.

جلست هناك أرتعد، وجلس هو يربت على شعري.

حالما أصبح بإمكاني التكلم دون صوت متقطع، أبعدت خصلة مبللة من شعري عن وجهي، وقلت: «أنا أعني ذلك، يمكنك بيع عدتها لإيان».

جلس مرة أخرى، ولكن ليس بعيدًا جدًا: «حسنًا، ربّما ننتظر قليلاً قبل اتخاذ هذا القرار».

«إنّها فقط تشغل مساحة في غرفتي».

«لكنّها لا تسبب أي أذى».

لم أقل شيئًا، وبعد دقيقة، قال: «إن كنت لا ترغبين فيها في غرفتك، يمكنك وضعها في. . .»

تعثر صوته قليلًا، قبل أن يكمل: «غرفتي».

«وليس في الطابق السفلي بعد الآن. سأنتبه لها إذا كنت لا تريدين ذلك».

إنّه لا يريدها هناك. يمكنني سماع ذلك في صوته. لم يكن يحب عملها قط في حياتها، وليس هناك سبب يدعوه للاهتمام بعِدّتها الآن.

انتصبت وابتعدت عنه تمامًا، وقلت: «لا. سأحتفظ بها».

فجأة، اختفت شهيتي. ولم أستطع أن أصالح الأب الحنون مع الأب الغائب.

دفعت طبقي عبر الطاولة. وكنت قد أكلت نصف دجاجي فقط، وبالكاد لمست البطاطس المهروسة. «لقد شبعت».

«هل أنت متأكدة. . .»

«أنا متأكدة».

صعدت الدرج، وأنا على يقين من أنّه سيحاول أن يتبعني.

لكنّه لم يفعل. وانغلق بابي بصرير خافت، وصرت وحيدة في غرفتي.

كانت أغراضها مكدّسة في الزاوية كومة من الحقائب والمعدات والعتاد. وعلى الرغم من أنّني لم أرغب في أن ألمسها، كان جزء صغير منّي سعيدًا لأنّه لم يرغب في التخلص منها بعد.

وكما هو الحال في رسالة «الظلام»، كان والدي على استعداد لتحطيم الأطباق، لكنّه لم يعد كذلك الآن.

أتساءل ما الذي حدث، ما الذي جعله يغيّر رأيه.

وما علاقة ذلك بي.

الفصل الثالث عشر

من: فتاة المقبرة <cemeterygirl@freemail.com>
إلى: الظلام <TheDark@freemail.com>
التاريخ: الخميس، 3 أكتوبر الساعة: 3:28:00 صباحًا
الموضوع: لا أستطيع النوم

أخبرت والدي أنه يستطيع بيع معدّات والدتي.

لن يفعل ذلك، لكّنني أخبرته بأنّ بإمكانه فعله.

لم أكن أدرك أنّ الكاميرات والمعدات قد تكون نسخته من الأطباق المليئة بقشور الخبز والجبن والنمل الذي يتجوّل فيها.

ربّما هي نسختي أيضًا، ولست على استعداد لرميها في القمامة المجازية.

ليس بعد.

هل تؤمن بالقدر؟ في بعض الأحيان أرغب في أن أومن به. أريد أن أصدق أنّنا جميعًا نسير في طريق نحو. . . مكان ما، وأن مساراتنا تتشابك لسبب ما. تمامًا كالطريقة التي وجد بها بعضنا بعضًا. وكالطريقة التي أخبرتني بها بالقصة المناسبة حين كنت بحاجة ماسة إلى سماعها.

لكن هذا يعني أن مسار والدتي كان مُقدّرًا أن ينتهي في سيارة الأجرة تلك في طريق العودة من المطار. أو أن طريق أختك كان متوقعًا أن ينتهي بسبب والدك. ربّما كان لتغيير بسيط في الاتجاه أن يؤدّي إلى مسار مختلف تمامًا.

أو ربّما كان تغيير واحد بسيط في الاتجاه هو ما قادهما إلى المسار الذي اتخذاه.

لقد توسلت إلى والدتي أن تعود إلى المنزل في وقت مبكر، وقد فَعَلت. صحيح أنّني لست من صدم تلك السيارة، لكنها لم تكن لتركبها لو لم أستعجلها أنا.

كان أنا من وضعها على هذه الطريق، إنّه أنا.

إذا لم أستطع إلقاء اللوم على القدر، فمن بقي لألومه؟

طردت النوم عن عيني، واستغرق الأمر منّي دقيقة لأدرك أنّ هذه هي نهاية رسالتها. ومثل أحمق، جلست أمرر بإصبعي الشاشة على أمل أن تستمر في الصعود، ولكن كان هذا كل ما كتبته.

إذا لم أستطع إلقاء اللوم على القدر، فمن بقي لألومه؟

أنا أعرف الكثير عن إلقاء اللوم على نفسي.

أعرف ما فعلته في مايو الماضي عندما لم أستطع تحمل اللوم بعد الآن.

أرجحت ساقي خارج السرير كما لو كنت سأذهب إليها. لكنّني لم أكن أعرف اسمها. ولا يمكنني الاتصال بها. ولم أكن أعرف حتّى أين يمكنني أن أجدها بعد تسعين دقيقة أخرى على الأقل من الآن، ولكن حتى لو كنت أقرأ رسالتها في المدرسة، فسيكون هناك أكثر من ألفي طالب عليّ أن أعثر عليها بينهم. على أي حال، كانت الساعة تشير إلى عشر دقائق بعد السادسة.

كنت أعرف هذا النوع من اليأس. وإنّه لأمر مرعب أن تشعر

بـه.

إنّهـا تسـألني عـن القـدر وهـو ينتـزع النـاس بعضهـم مـن بعـض، ولا يسعني إلّا أن أتساءل إن كانت هـذه طريقـة القـدر للقيـام بذلـك بالضبـط.

ضغطت على هاتفي حتى أعود إلى الصفحة الرئيسية للتطبيق.

كانت هنـاك دائـرة خضـراء صغيـرة بجانـب اسـمها. إنّهـا متصلـة. إنّهـا علـى *قيـد الحيـاة*.

اندفع الهواء من رئتي، فتراجعت على وسادتي.

ثمّ انقلبت وشرعت في الكتابة.

الفصل الرابع عشر

من: الظلام <TheDark@freemail.com>

إلى: فتاة المقبرة <cemeterygirl@freemail.com>

التاريخ: الخميس، 3 أكتوبر **الساعة:** 6:16:48 صباحًا

الموضوع: لا تفعلي هذا

إذا كنت ستكتبين لي في الساعة 3:30 فجرًا، فلا يمكنك إنهاء الرسالة بهذه الطريقة.

لست على استعداد لأن يمزق القدر هذا، مفهوم؟

الآن، اكتبي لي مرة أخرى وأخبريني بأنّك بخير.

راح قلبي ينبض بسرعة، مع رفرفة خفيفة وغير عادية تكاد تكون مؤلمة في غرابتها. لم أكن أدرك مدى ثقل رسالتي المتأخرة ليلًا.

لم أستطع إشاحة عيني عن السطر الأخير.

الآن، اكتبي لي مرة أخرى وأخبريني بأنّك بخير.

إنّه يهتم بي أنا.

ظل قلبي يرفرف كفراشة محاصرة بين راحتين مضمومتين. والآن بعد أن فكرت في الأمر، لا أمانع في ذلك ولو قليلاً.

في الحقيقة، استمتعت جدًّا بالتغيير.

الفصل الخامس عشر

من: فتاة المقبرة <cemeterygirl@freemail.com>
إلى: الظلام <TheDark@freemail.com>
التاريخ: الخميس، 3 أكتوبر الساعة 6:20:10 صباحًا
الموضوع: أنا بخير

لم أقصد إخافتك. لم أكن في وضع جيد الليلة الماضية. أشعر بأنّ الجميع ينتظر مني تجاوز موتها. لقد بدأت صديقتي الحميمة الأسبوع الماضي بالاقتباس من كتاب حول مراحل الحزن، كما لو أنّه ينبغي لي أن أسير على جدول زمني معين.

بطريقة ما، أعلم أنّها على حق. إنني عالقة بهذا الغضب والألم والفقد، لكن كلما حاول الناس إخراجي منها، شعرت بالعزم على التمسك بها أكثر والتشبث بأخاديدها.

لكنك لم تجب عن سؤالي عن القدر. أتساءل أحيانًا إذا كنا قد توصلنا إلى هذا من جوانب مختلفة. ففي حالتك، كان بإمكانك أن تحول دون موت أختك، في حين كنت أنا من ساهم في وفاة والدتي.

ما زلت أتساءل أيهما أسوأ.

أصابني كلامها في الصميم. رميت الهاتف على وسادتي واندفعت نحو الحمام. ضغطت على صنبور الحمام بقوة كافية

حتى أطلق صريرًا. ولنصف ثانية، خفت أن أكون قد كسرت شيئًا ما وأن تبدأ المياه في رش المكان.

لحسن الحظ لم أكسر شيئًا. ملأ البخار الحمام على الفور تقريبًا. عصرت معجون الأسنان بعنف وهجمت على أسناني، ما سبب لي ألمًا، جعلني أزداد غضبًا أكثر.

يُنهكني هذا. ما زالتْ تتساءل عما هو *الأسوأ!* كما لو كان في الأمر نوع من المنافسة!

ضربت فرشاة الأسنان على المنضدة وبصقت في الحوض، ثم مسحت وجهي بالمنشفة. بدت عيناي داكنتين وغاضبتين في المرآة. وكدت أضرب الزجاج.

جعلتني كلماتها أشعر بأنّني فاشل.

كان بإمكانك أن تحول دون موت أختك.

لقد ظللت أخبر نفسي بالشيء ذاته على مدى السنوات الأربع الماضية. يجب ألا أن تحمل هذه الكلمات الكثير من القوة. ليس بعد الآن. لكنّ سماعها منها فجأة.. بدا الأمر الذي يُشعر بالأمان كأنّه فرصة أخرى لخيبة الأمل.

أحرق الماء جلدي حين خطوت تحته، لكنني تركت الألم يمر عبر جداول صغيرة أسفل ظهري. وظل الماء يجري ساخنًا من الصنبور لفترة طويلة، وقد أجبرت نفسي على تحمله. علّ هذه الحرارة تزيل بعضًا من حدة غضبي.

عندما خرجت من الحمام أخيرًا، شممت رائحة شرائح لحم الخنزير المقدد، لكن هذا غير معقول. عادة ما يكون آلان قد غادر في الوقت الذي أنزل فيه إلى الطابق السفلي، وتظل أمّي

نائمة دائمًا إلى وقت متأخر. لا بد أنّ الرائحة تنبعث من منزل أحد الجيران.

أيقظت الرائحة معدتي، وفجأة شعرت بأنّني أتضور جوعًا. وهذا لا يساعد على درء تهيّجي. أقف عند أسفل سريري وأحدق في هاتفي.

الطعام أولاً.

تركت هاتفي، وسرت في المنزل مثل النينجا، فقد تعلمت جيّدًا التزام الهدوء في الصباح حتى لا أزعج أمي. وتسللت إلى المطبخ لألتقط لوح غرانولا.

كانت أمي جالسة هناك على الطاولة مع آلان. فتوقفت لبرهة.

لو أنّهما كانا يتجاذبان الحديث، فإن صوتيهما كانا منخفضين. ثمّ توقفا ونظرا إليّ في دهشة.

كان كلاهما في رداء النوم.

وعادت كل ذرة غضب كان قد أخمدها الدُش بقوة جامحة.

كانت أكواب القهوة مستقرة على الطاولة أمامهما. وكانت المقالي المستخدمة على الموقد، وقد كُدّست الأطباق المتسخة في الحوض. شممت رائحة البيض ورأيت بضع شرائح لحم الخنزير المقدد موضوعة فوق منديل ورقي.

لقد تناولا فطورهما من دوني.

لم أقل شيئًا لهما. وبدلاً من ذلك، التقطت كوب تنقّلٍ من الخزانة فوق آلة صنع القهوة وصببت لنفسي القهوة.

تكلمت والدتي أولاً، وكان صوتها هادئًا: «صباح الخير ديكلان».

أفرغت السكر في كوبي وقلت: «مرحبًا».

كان آلان يراقبني، وكنت أتجاهله.

وبعد لحظة قالت والدتي: «هل أنت جائع؟ بإمكاني تحضير طبق لك».

جعلتني الطريقة التي قالت بها ذلك أشعر كأنّني فكرة متأخرة. كأنّها قبل ظهوري عند مدخل المطبخ، كانت قد نسيت تمامًا أنّني أعيش هنا.

«كلّا».

كانت ملعقتي تضرب الكوب بينما كنت أقلب الكريمة في قهوتي، وكان الصمت السائد خلفي يضغط على ظهري.

كنت أتضور جوعًا، وقد تطلب الأمر منّي كل ذرة من ضبط النفس لتجنب أخذ الشرائح المتبقية من لحم الخنزير المقدد والتهامها.

عندما استدرت، كان آلان يهمس بشيء ما لأمي. ولم تكن لديّ أي فكرة عما قاله، لكنّه جعلها تقهقه.

كان الجانب العقلاني من دماغي يدرك أنّهما لا يضحكان بشأني، لكن الجانب غير المستقر يريدني أن ألكمه. اكتفيت بالتحديق إليه عبر كوبي، ثمّ قلت: «ماذا تفعل في البيت؟»

نظر إليّ مباشرة، وقال: «فكّرت في مفاجأة والدتك وأخذ يوم إجازة».

أردفت والدتي: «سنهتم ببعض الأشياء في المنزل. ثمّ نقضي فترة الظهيرة معًا، ربما نشاهد فيلمًا».

وقفت هناك أعبث بغطاء الكوب. كان عليّ العودة إلى الطابق العلوي والاستعداد للمدرسة، لكن هذه المواجهة بكاملها تجعلني

أشعر بأنّني واهٍ، كما لو أنني إذا خرجت من هذا المطبخ، فسوف ينسيانني تمامًا.

«ما نوع هذه الأشياء؟»

قال آلان: «سأنظف شرفة المدخل».

كان بإمكاني فعل هذا. كنت سأفعله لو أنّها طلبت مني.

لم تعد تطلب منّي أن أفعل أيّ شيء، بعد أن أصبح آلان يقوم بكل شيء هنا. ولتحلّ بي اللعنة إذا كنت سأعرض عليه مساعدتي.

في كل مرة أحاول عرض مساعدتي، يتصرف كأنّني جانح لا أستطيع حمل مفك البراغي.

حركت فكي إلى الأمام، وقلت: «يبدو أمرًا رومانسيًا».

قالت أمي: «إذا كنت تعتقد أنّ هذا أمر رومانسي، فلك أن تتخيل شعوري تجاهه وهو يأخذ السيارة لصيانتها».

اشتدت قبضتي على القدح، وقلت: «ما مشكلة سيارتك؟»

قال آلان: «بل سيارتي، لأجل تغيير الزيت». كان في صوته شيء من التحدي.

إنّه يعلم أنني أستطيع فعل ذلك. فهذا من بين الأشياء التي لطالما قمت بها. في الواقع، لقد قمت بهذا في مايو الماضي، مباشرة قبل زفافهما.

مباشرة قبل أن أحطم شاحنة والدي وأضع نفسي في طريق الفشل وخيبة الأمل هذه. إنّهما لا يحتاجان إليّ، ويثبت آلان ذلك الآن.

أريد أن أصفع تلك النظرة المتعجرفة التي تعلو وجهه.

لكن، لن أتورط في شجار أمام والدتي.

يمكنني فعل ذلك، لا سيما إذا كان هذا كل ما تبقى لي.

الفصل السادس عشر

من: الظلام <TheDark@freemail.com>

إلى: فتاة المقبرة <cemeterygirl@freemail.com>

التاريخ: الخميس، 3 أكتوبر الساعة: 6:48:57 صباحًا

الموضوع: القدر

ترغبين في معرفة ما أومن به؟ أنا أومن بالقدر، لكنّني أومن أيضًا بالإرادة الحرة. بمعنى أنّ هناك مسارًا، لكنّنا أحرار في الابتعاد عنه. لكن المشكلة الوحيدة تكمن في أنّه لا توجد طريقة لمعرفة أيّ المسارين نتبع في لحظة ما. هل نتبع مسارنا الذي اخترناه؟ أم مسار القدر؟ كذلك يسير الآخرون في مساراتهم الخاصة أيضًا. لكن ما الذي يحدث حين تتقاطع مساراتنا؟ ما الذي يحدث حين يقوم شخص آخر بمسح مسارنا، فنظل بلا طريق نتبعه؟ هل هذا قدر؟ هل هنا تبدأ الإرادة الحرة؟ هل المسار موجود، لكنه غير مرئي؟

من يعرف بحق الجحيم؟

لست في مزاج مناسب لهذه المحادثة. أو ربما أنا متعب. يجب ألا يناقش أحد مسائل وجودية قبل الساعة السابعة صباحًا.

أمر واحد، على الرغم من ذلك: أنتِ لم تضعي والدتك في تلك السيارة يا فتاة المقبرة، بل قامت هي بهذا الاختيار. أو ربما اختار لها القدر هذا. المهم هو أنكِ لم تفعلي.

أعلم أن هـذا ليـس مطمئنًـا كثيـرًا. أعـرف الكثيـر عـن الغضـب والكثيـر عـن لـوم الـذات. ويمكـن لنـا أن نكتـب لِيُطمئـن بعضنـا بعـض حتـى تتـورم أصابعنـا.

لكن لا يهم. فكلانا يعرف ماذا فعلنا.

الذنب ليس منافسة، أو على الأقل ينبغي ألا يكون كذلك.

يـدرّس السـيد جيـراردي مـادة اختياريـة، لذلـك ليـس لديـه حجـرة خاصـة بمادتـه، لكننـي أعـرف مـن خـلال خبرتـي أنّـه يمكننـي العثـور عليـه فـي حجـرة صفـه قبـل الجـرس الأول. كان الطـلاب متجمهريـن فـي الممـرات الرئيسـية، يحدثـون جلبـة بصفـق أبـواب الخزائـن والصيـاح بالتحيـات، لكـن أسـفل هـذا الـرواق يعـمّ الهـدوء أكثـر.

لـم يسـبق أن ذهبـت إلـى المدرسـة فـي هـذا الوقـت المبكـر. ففـي العـادة أنزلـق عبـر البوابـة الأماميـة مباشـرة قبـل أن يـدق الجـرس، ولكـن لـدي اليـوم مهمـة، لذلـك لففـت شـعري الرطـب وركضـت مسـرعة.

فـي أي يـوم آخـر، كنـت سـأنزوي فـي العزلـة الهادئـة التـي يقدمهـا جنـاح الفنـون، لكنّنـي أتـوق اليـوم إلـى صخـب الطـلاب الجامـح. فالهـدوء يجعـل أفـكاري تتجـول بحريـة، وهـي لا تنحـو مناحـي مبهجـة. لقـد كانـت كلمـات رسـالته تضـجّ فـي دماغـي.

هـل كان غاضبًـا منـي؟ لقـد بـدا غاضبًـا. قضيـت نصـف سـاعة أحـاول أن أفـكك نبرتـه. لـم أكـن أعتقـد أنـه مـن الممكـن أن يبـدو مشـجعًا ومتعاطفًـا وغاضبًـا فـي رسـالة واحـدة، ولكـن بطريقـة مـا تمكـن مـن فعـل ذلـك.

كان باب الحجرة مفتوحًا، فدخلت دون أن أطرق. كنت في حاجة إلى التعجّل، قبل أن تتاح لي الفرصة للتغلب على قلقي.

رفع السيد جيراردي بصره في دهشة. كانت هناك طالبة تقف بجانبه، تريه شيئًا في دفتر ملاحظات. تبدو صغيرة. ولم يسبق أن رأيتها.

تضرّج وجهي. إذ لم أعتقد أن أجد شخصًا آخر هنا.

كان هذا كله خطأ. لا يمكنني فعل ذلك.

«آسفة». قلت واستدرت نحو الباب. «أنا فقط. . . سأعود لاحقًا».

نهض السيد جيراردي من مقعده، وصاح: «جولييت، انتظري».

«لا. . . لقد كان أمرًا غبيًا. سأتأخر عن الفترة الدراسية الأولى».

«سأكتب لك إذنًا بالتأخر، انتظري».

لم أنتظر. وخرجت من الباب مسرعة، للعودة نحو الصخب.

يؤنبني صوت والدتي. *تحلّي ببعض الشجاعة يا جولييت.*

تلك هي المشكلة. فأنا لا أمتلك شجاعتها. لم يسبق أن امتلكتها. فلو كانت هي ألعاب نارية، تنشر الضوء عبر السماء، فأنا مجرد عود ثقاب، ينطفئ قبل أن يفعل أيّ شيء على الإطلاق.

ثبّطت هذه الفكرة قدميّ. هل أنا بصدد اتباع مسار محدد مسبقًا؟ أم أنّني أختار الاختباء وراء حزني؟

لا أحب أيًا من هذين الخيارين. التفت.

كان السيد جيراردي يقف عند مدخل الحجرة. وتساءلت إن كان يهمّ باللحاق بي أو إذا كان على وشك الاستسلام.

لا أستطيع قراءة تعابيره.

كانت مزيجًا من خيبة الأمل والألم.

كان يعكس ما أشعر به تجاه نفسي. رحت أعبث بحزام حقيبتي، وخرج صوتي ضعيفًا: «فقط لساعة واحدة؟»

أومأ برأسه كما لو أنّ حديثنا عن صور مهرجان الخريف قد حدث قبل بضع دقائق فقط وليس أمس، ولن يجعلني أوضح الأمر ثانية.

احتجت إلى التنحنح قبل أن أقول: «ويمكنني استخدام كاميرا لايكا خاصتك؟»

«لقد شحنتها الآن».

أومأت برأسي، ثمّ عضضت خدي من الداخل. إذ يساعدني الألم على التمركز. ثمّ قلت: «سأعود بعد الجرس الأخير».

مكتبة
t.me/soramnqraa

الفصل السابع عشر

من: فتاة المقبرة <cemeterygirl@freemail.com>

إلى: الظلام <TheDark@freemail.com>

التاريخ: الخميس، 3 أكتوبر الساعة: 8:23:05 صباحًا

الموضوع: اختيار مسارات جديدة

لم أقصد أن أسبب لك الإزعاج هذا الصباح. إنّك تبدو كأنك قد لملمت شتات نفسك، فيما أبدو أنا كمعتوهة بالكاد تستطيع ربط حذائها في الصباح.

لكنّك على حق. فالشعور بالذنب ليس منافسة. ولم أقصد أن أجعله يبدو على هذا النحو إطلاقًا. ما قصدته هو أن أتساءل إن كان هذا الشعور سيبدو أوضح لو كنتُ مشاركة أكثر فعالية، لكن حينها لم أكن متأكدة من كيفية حدوث ذلك. ليس الأمر كما لو كنت أنا من دفعها أمام السيارة. وليس هذا ما حدث مع أختك كذلك، أليس كذلك؟

إذا جرحتك، فأنا آسفة.

أردت أن أخبرك أن تأملاتك حول القدر قد ألهمتني. لقد دفعتني للقيام بشيء غير متوقع. ليس فقط غير متوقع بالنسبة إلى الأشخاص من حولي -أعتقد أنّ الحضور إلى المدرسة غير متوقع في حد ذاته في هذه المرحلة- بل غير متوقع بالنسبة إليّ أيضًا. أنا متأكدة من أنّ الجميع سيرون هذا كنوع من نقطة

التحول. أوه، انظروا، لقد عادت إلى سابق عهدها.

ما لا يعرفونه هو أنّني مذعورة.

لا بدّ أنّ هذا يعني أنّني قد انحرفت عن القدر، أليس كذلك؟ متّخذةً بذلك مساري الخاص؟ لأن المسار الآخر كان أقل رعبًا بكثير.

طلبت السيدة هيلارد متطوعين لقراءة وظائفهم ليوم الثلاثاء. كان لدى كلّ طالب فقرة تفسر قصيدة ديلان توماس. إنّها تتحدث عن الظلام. عن وقت الليل. عن مرض الزهايمر.

لقد حان الوقت لهؤلاء أن يمتلكوا فكرة.

كنت أخربش على دفتر الملاحظات الخاص بي دون أن أكترث بهم.

تأملاتك حول القدر ألهمتني.

أوقدت كلماتها القليل من الوهج في صدري.

«ديكلان، هل ترغب في مشاركة أفكارك؟»

تجاهلتها وواصلت الخربشة. نظرت إليّ السيدة هيلارد في ترقب، وكان بإمكاني رؤيتها من الجانب.

«ديكلان؟» قالت مرة أخرى، دون أن يحمل صوتها أيّ إنذار. إنّها تمنحني ميزة الشك، حين تتصرف كأنّ هناك احتمالًا بأنني لم أسمعها.

وهذا ما دفعني لأن أجيبها. «لم أنجز الوظيفة». كان صوتي منخفضًا وخشنًا. كانت أوّل مُدرّسة تخاطبني طوال الفترة الصباحية.

«ربّما يمكنك الإجابة على سؤالي من يوم الثلاثاء الماضي على السريع. لماذا ديلان توماس يائس؟»

كانت نبرتها نبرة تحدٍّ، ما دفعني لرفع بصري. وكان هذا يذكرني بآلان لأنّها تتحداني. توقف قلمي على الورقة. وكانت تعابيرها هادئة وعيناها مثبّتتان بعيني.

لم أنبس بكلمة. وبإمكاني لعب هذه اللعبة طوال اليوم.

غرقت الحجرة في الصمت بمجرد ما شعر الآخرون بالتوتر السائد.

وبعد دقيقة كاملة، أدركت أنّها تستطيع لعب هذه اللعبة أيضًا. ولم أكن أمانع. إذ يمكننا جميعًا الجلوس هنا في صمت. كما لو كان هناك من سيعاني لأنّنا لن نسمع أندي ساكس تخبرنا بأن ديلان توماس كان يتحسّر على المكفوفين العاجزين عن رؤية البرق.

تنهدّ أحدهم على يساري. كان فتًى، لكن لم أستطع معرفة من هو. وفي مكان ما على اليمين، تململت فتاة في مقعدها، ثمّ تنهدت هي الأخرى.

بدأ الطلّاب يحملقون بسخط. وقد تلاشى التّوتر في الحجرة ليتحول إلى عداء.

عداءٍ نحوي.

كما لو كان هذا بالشيء الجديد.

استدارت السيدة هيلارد متجهة نحو مكتبها والتقطت ورقة من أوراق الملاحظات. ثمّ كتبت ملاحظة سريعة، وسارت نحو طاولتي وألصقتها فوق خربشاتي.

كانت الملاحظة تقول: «*لماذا لا تمنحهم فكرة جديدة عنك؟*»

حدقت في الملاحظة، وقد تسارعت خفقات قلبي. فكرت في المسارات التي نختارها. كانت فتاة المقبرة على حق. هذا أمر مرعب.

لا أستطيع النظر إلى السيدة هيلارد بعد الآن. انتزعت الملاحظة من دفتر ملاحظاتي وجعدتها إلى كرة صغيرة في قبضتي. ومع ذلك، لم أستطع حمل نفسي على رميها بعيدًا. ثمّ التقطتها من الحواف المدببة. وشعرت كأنّ صدري قد عُقد، وأنّ لساني قد انعقد.

بعد لحظة، عادت السيدة هيلارد إلى مقدمة الحجرة.

أطلقت تنهيدة صغيرة ووضعت دفتر برنامجها على سطح مكتبها. لم تعد تنظر إليّ بعد الآن، لكنّ الحجرة ظلت غارقة في الصمت، في انتظار أن يكسره أحدنا.

ستكون هي. يمكنني استشعار هذا.

«إنّه خائف». قلت بصوت يكاد يكون متصدّعًا، مبقيًا قبضتي ملتصقة حول تلك الكرة الصغيرة من الورق وعيني مثبتة على دفتر ملاحظاتي.

«إنّه خائف. ولهذا السبب هو يائس».

لم تلتفت بسرعة. بل استدارت ببساطة، وظلّ صوتها تمامًا كما كان عندما طرحت السؤال: «ما الذي يخافه؟»

«إنّه يخشى أن يفقد والده». كانت يداي تتعرقان وقد أبقيت عينيّ على تلك الخربشات. «إنّه لا يريد أن يموت والده. هو يريد . .». منحتني فسحة من الوقت، ثمّ قالت بهدوء: «ماذا يريد؟»

«يريد منه أن يصارع الموت».

«هل يشعر بأنّ وفاة والده حتمية أم يمكن تجنّبها؟»

أخيرًا، رفعت بصري إليها ويداي ترتجفان، لكن تعابير وجهها كانت ثابتة حتى بدت كطوق نجاة. قد نكون الشخصين الوحيدين في الحجرة.

«حتمية». قلت بتردد.

انتظرتْ، لكنني لست متأكدًا مما سأقوله بعد ذلك.

رن الجرس، فاندفعت من مقعدي. وبالكاد توقفت لأدس دفتري في حقيبتي.

نادت السيدة هيلارد على اسمي قبل أن أجتاز الباب، لكن أعصابي كانت متوترة جدًّا. وتركت اندفاع الطلاب يحملني إلى الردهة، ليعيدني إلى مسارٍ مألوف.

الفصل الثامن عشر

من: الظلام <TheDark@freemail.com>
إلى: فتاة المقبرة <cemeterygirl@freemail.com>
التاريخ: الخميس، 3 أكتوبر **الساعة** 2:38:17 مساءً
الموضوع: غير متوقع

ليس عليكِ الاعتذار. أنا من عليه أن يشكرك. لقد اتبعت توجيهك وفعلت شيئًا غير متوقع. كنتِ على حق.

لقد كان مرعبًا.

دعينا نفعل ذلك مرة أخرى.

كانت كاميرا السيد جيراردي أصغر وأخف وزنًا من كاميرا نيكون الخاصة بي، وتبدو غير مألوفة في يدي. لم تكن أمي من المعجبين بكاميرات لايكا، لقد كانت متعصبة لنيكون التي ورثتُها منها. ومع ذلك، فهي كاميرات مذهلة. ودائمًا ما كانت أمي تقول إنّها ستشتري لي واحدة إذا ما فازت بجائزة بوليتزر.

أعتقد أنّ هذا لن يحدث الآن.

كانت الموسيقى تتدفق عبر الفناء، وصوت غيتار بيس مدوٍّ يهز الأرض. انتشر الطلاب في كل مكان، يرقصون في مجموعات صغيرة، ويشربون البنش والصودا في أكواب بلاستيكية حمراء. وقد نصبت طاولات الورق عبر جميع أنحاء الساحة، ما يوفر

ألعـاب جماعيـة وأنشـطة كتلويـن الوجـوه ومسـابقات أكل الفطائـر وتزييـن الكوكيـز. قـد يظـنّ المـرء أنّنـا لـم نكـن جميعًـا فـي السادسـة مـن العمـر، ولكـن بـدا أن الجميـع مسـتمتعٌ بالأمـر.

انزويـت إلـى الظـل تحـت الأشـجار، وكانـت أصابعـي تتعـرق علـى غطـاء الكاميـرا البلاسـتيكي.

لم ألتقط أي صورة بعد.

بـرزت روان بجانبـي، وقـد رُسـمت علـى وجنتيهـا دوامـات زرقـاء وبيضـاء. وقـام أحـد مـا بضفـر شـعرها علـى شـكل جديلتيـن ربطتـا بشُـرابتين زرقاويـن عنـد الأطـراف. كانـت عيناهـا تلمعـان. وكانـت مسـرورة لأنّنـي أقـوم بهـذا. مثلمـا أخبـرت فتـى المقبـرة، علـى الأرجـح كانـت تأمـل فـي أن يقـوم أحدهـم بالضغـط علـى الـزر ويعيدنـي أفضلَ صديقـة تتذكرهـا. «دعينـي أرى مـا التقطتـه حتـى الآن».

«لا شيء». خرج صوتي خشنًا، فتنحنحت: «لم ألتقط أيّ صورة بعد».

قالـت وقـد تلاشـت ابتسـامتها الهادئـة: «لا شـيء؟ لقـد بـدأ المهرجـان منـذ عشـرين دقيقـة».

بدّلت قدميَّ، وقلت: «أعلم».

«ما الخطب إذًا؟»

«لا أدري».

اقتربـت منّـي أكثـر، وقالـت: «هـل تريديـن منّـي أن أبحـث عـن السـيد جيـراردي؟ يمكننـي أن أقـول لـه إنّـه لا يمكنـك فعـل ذلـك».

ابتلعت ريقي، وقلت: «لا، أنا أرغب في فعل هذا».

«هـل تحتاجيـن إلـى بعـض الإلهـام؟» قالـت وقـد تغيـرت تعابيـر وجههـا بشـكل مـروّع وقلّبـت عينيهـا وأخرجـت لسـانها مـن الجانـب.

«هـل تريديـن التقـاط صـورة لهـذا؟»

أطلقت الضحكة قبل أن أتمكن من كبح نفسي.

وعندمـا اسـتطعت أخيـرًا كبحهـا، تحولـت الضحكـة إلـى نشـيج. فضغطـت بأصابعـي علـى عينـيّ.

همسـت: «جولـز». وراحـت تمـرر أصابعهـا الخفيفـة كريشـة علـى سـاعدي.

قلت: «لقد نسيت كيف أفعل هذا».

«بلى، أنت تذكرين».

«لا». توقفـت لحظـة لأتنفـس، لأنّنـي لـم أكـن أرغـب فـي البـكاء، ليـس هنـا.. ليـس الآن. ثـمّ أردفـتُ: «كل شـيء يبـدو خاطئًـا. كل هـذا لا معنـى لـه».

تفحصتـي للحظـة ثـم أخـذت الكاميـرا مـن يـدي. ورفعـت الشـريط برفـق مـن حـول رقبتـي، وفجـأة اسـتطعتُ التنفس بحريـة أكبر.

ثمّ، ولدهشتي، وضعتُ الشريط حول رقبتها.

«ابتسـمي».

«لا! رو. . .»

«فـات الأوان». حملـت الكاميـرا للتحقـق مـن الشاشـة، ثـمّ تجهّمـت حيـن رأت مجموعـة مـن الرمـوز بـدل الصـورة التـي تعرضهـا الكاميـرا العاديـة. «أيـن الصـورة؟»

«في الكاميرا. هلّا أعدتِها لي؟»

«لا يمكـن». ابتعـدت جانبًـا، ورفعـتْ الكاميـرا مـرة أخـرى لتوجّههـا إلـى مجموعـة مـن الفتيـات صـف التخـرج، كـن يضحكـن بشـكل هسـتيري فـي أثنـاء قيامهـن بركلـة الروكيـت. وبالـكاد سـمعت صـوت المصـراع ينغلـق.

«رو».

ثمّ التقطت صورة أخرى، هذه المرة لصبي يدفع وجهه في طبق فطيرة مليئة بالقشدة. وتلهفت أصابعي لإبعاد الكاميرا عنها، لأنّ جميع الإعدادات لم تكن مضبوطة على ما تقوم به. كنت أعلم أنّها تحاول إغاظتي، لكنّني متأكدة أيضًا من أنها تأمل في أن ينتهي الأمر ببعض هذه الصور في الكتاب السنوي. لكن ما لا تعرفه هو أنّها تخلق فوضى كبيرة غير واضحة.

قلت لها: «سيفقد السيد جيراردي صوابه إذا رآك تستخدمينها، هذه كاميرا بعشرة آلاف دولار».

«غير معقول». قالت وهي تلتقط صورة لبعض الفتيات يرسمن على وجوههن.

«أنا جادّة».

أنزلت الكاميرا وفتحت عينيها على اتساعهما نحوي، وقالت: «هل يسمح لك باستخدام كاميرا تكلّف أكثر من سيارتي؟»

«أجل»، قلت ومددت يدي. «لذا توقفي عن العبث بها».

تراجعتْ خطوة إلى الخلف.

«لن أعيدها لك حتى توافقي على التقاط صورة لشيء ما».

«سأفعل».

قامت بفك الحزام من حول رقبتها وهي تحمل الكاميرا بحذر. وعندما استعدتها وأمسكتها بين يدي، شعرت بأنّها أثقل من ذي قبل.

بدأت أتراجع إلى الظل، لكنّ روان صلبت ذراعيها على صدرها، وقالت: «لقد وعدتني».

«أعلم». صار فمي جافًا مرة أخرى، فحاولت أن أبلل شفتي. «أنا أفكّر فقط». ثمّ لوّحت بيدي، وأضفت: «اذهبي واستمتعي. ليس عليك القيام بهذا».

حدقت بي، ثم رفعت يديها استسلامًا، وقالت: «إنّها مجرّد كاميرا غبية، جولز! اضغطي الزر!»

كان الأمر أكبر من الكاميرا. كان تأكيدًا على أنّ بإمكاني القيام بهذا دون والدتي. وفجأة تسارعت أنفاسي، وللحظة مرعبة شعرت بالقلق من أن أفقد الوعي. بعد ذلك، رفعت الكاميرا ووضعت عيني على عدستها. كانت المشجعات يشغلن إطار الصورة، وهنّ ينثرن المزيد من الثلج الأزرق على بعض حبّات الكوكيز.

لا، لا يمكن أن تكون هذه هي الصورة الأولى التي ألتقطها منذ وفاتها. أبقيت إصبعي على الزر والتفت. كان هناك بعض الفتيان يلعبون كرة السلة أمام الجدار الخلفي. فترددت قليلًا أمام هذا المشهد. أحببت الألوان والغبش الذي يضفيه على الصورة اللعب في منطقة قديمة حيث الرصيف متشقق ومكسور.

لا، لم تكن هذه اللقطة المناسبة أيضًا.

وكان هذا ما قضيت أول عشرين دقيقة أفعله.

ثمّ توقفت الكاميرا على فتيين يجلسان على بعد مسافة قصيرة من الاحتفالات. يرتدي أحدهما قميصًا بقلنسوة زرقاء داكنة، ويميل على أحد الحواجز الخرسانية التي تمنع السيارات من دخول ساحة الثانوية. وقد كان يغطي رأسه بالقلنسوة، ما يتيح لي فقط رؤية الحافة العارية من ملامحه الجانبية.

ثم أبصرت الفتى الذي معه، وخفق قلبي.

إنّه ديكلان مورفي.

لم أفكر في ذلك. لويت العدسة وركزت اللقطة ثم ضغطت على الزر.

همست الكاميرا بطنين ونقرة، وتم ذلك. لقد التقطت صورة.

شعرت كمن يشارك في سباق. وقد كسا العرق أصابعي، ورحت أرتعش.

ضغطت على بعض الأزرار الموجودة في الكاميرا، لعرض الصورة على الشاشة. ثمّ اخترت إطارًا واسعًا للقطة، مع عزل ديكلان وصديقه ريف إلى اليسار، وإبراز الاحتفالات التي تجري على اليمين.

بدت الصورة أنسب لأن تعرض في كتيّب حول مخاطر المراهقين المعزولين أو شيء من هذا القبيل. بإمكاني التقاط صورة أفضل من هذه. وقربت الكاميرا أكثر، للعثور على التفاصيل. خط الفك البارز عبر القلنسوة، حقيبتاهما المُلقاتان في التراب، والتفات ديكلان لطرح سؤال على ريف.

أحببت هذه الأخيرة. ثمّ أبعدت الكاميرا لإلقاء نظرة إليها من خلال الشاشة. كان بالإمكان رؤية الثقة في تعابير وجه ديكلان. فبعد مشاهدة المواجهة بينه وبين زوج أمه، أصبح لدي شعور بأنّه لا يثق بالكثير من الناس.

قالت روان: «ربّما يجب عليك التقاط صور للمهرجان الفعلي».

رددت بسرعة: «أعلم». ثمّ ضبطت بعض الإعدادات ووجهت الكاميرا إلى ديكلان وريف مرة أخرى.

«سأفعل».

كان ضوء الشمس على يسارهما. فخرجت من ظل الشجرة حتى أصبح الضوء مباشرة خلفهما. تُدعى هذه التقنية contre-jour، ويقصد بها الضوء المعاكس. قد يبحث الكثيرون عن صورة ظلّية، لكنني أردت المزيد من التفاصيل.

رفعت الكاميرا، وكانت أشعة الشمس تضيء من خلفهما مثل هالة لا متناهية، تتعارض مع وقفتيهما الجريئتين. نقر مصراع الكاميرا، فنظرت إلى الأسفل وعبثت بالإعدادات لأرى كيف بدت.

«أمم، جولز»، قالت روان.

«انتظري»، قلت وأنا أضغط على بعض الأزرار، ثمّ وسعت الزاوية، وما أن رفعت الكاميرا، حتى ملأ وجه ديكلان العدسة

قفزت وابتلعت الصرخة في حلقي. لقد كان أمامي مباشرة، وبقربه ريف، الملازم له كظله.

قطّب ديكلان، وهو يتفحصني باهتمام شديد نوعًا ما، ثمّ قال: «هل تلتقطين صورة لي؟»

«نعم. أنا آسفة». ولحسن الحظ كان الحزام حول رقبتي، لأنني كدت أوقع الكاميرا.

«إنّني ألتقط صورًا لمهرجان الخريف».

«هل أنت مصورة؟»

كان صوته خطيرًا، أقرب للاتهام. هززت رأسي بسرعة وتلفظت بكلمات غير واضحة: «لـ . . . لا. أنا فقط. . . الفتاة التي كان من المفترض أن تفعل ذلك لم تعد قادرة على فعله. وقد طلب منّي السيد جيراردي تعويضها».

«أوه»، قال واسترخت ملامحه.

«هل بإمكاني رؤية ذلك؟» قال ريف بصوته الهادئ.

ترددت، ثمّ ضغطت على بعض الأزرار لعرض الصورة الأخيرة على الشاشة. واستدرت حتى صرت بجانب ريف. «ها هي».

نظر إلى الصورة، وظل صامتًا للحظة طويلة. كانت لحظة طويلة جدًا. ولم أكن متأكدة مما ينبغي لي فعله.

بعد ذلك قال: «هذا رائع، مع الشمس».

«شكرًا». صحيح أنّني ابتعدت عن التصوير لفترة طويلة، لكنّني أوافقه على أنّها كانت صورة جيّدة.

كان شعر ديكلان يلمع بلون ذهبي تحت أشعة الشمس، وملامحه الجانبية واضحة وتكاد تكون مكشوفة. فيما بالكاد كان يمكن رؤية ملامح ريف تحت قلنسوة قميصه، التي بدت بلون أسود مع انبعاث كل الضوء من خلفه. لقد بدا كأنّ ملاكًا طيّبًا وآخر شريرًا قد سقطا في منتصف فناء المدرسة الثانوية.

ملاك شرير. أنزلت الكاميرا وألقيت نظرة إلى ريف للحظة.

«لماذا ترتدي القلنسوة دائمًا؟» سألته روان.

نظر إليها ريف دون أن تتغير تعابيره. ولم أكن متأكدة إن كان قد انزعج من السؤال. ثمّ قال: «إنّها مريحة».

«درجة الحرارة ثمانون في الخارج».

هزّ كتفيه فلامست كتفه كتفي، ويمكنني القول إنّه يخفي تحت قميصه السميك عضلات حقيقية.

انحنى ديكلان ونظر إلى الصورة بالمقلوب.

«احذفيها».

سحبت الكاميرا نحو صدري، وقلت: «لا».

قالت روان: «لماذا عليها أن تحذفها؟»

«لأنّني قلت هذا». قال ديكلان وقد خطا نحوي ومد يده.

تراجعت خطوة. وإذا كنت مترددة في السماح لروان باللعب بالكاميرا، فليس هناك من سبيل لأن أسمح لديكلان مورفي بلمسها.

«احذفيها»، قال ثانية.

اقتربت روان منّي، وقالت: «إنّها تلتقط صورًا للكتاب السنوي. وليس عليها حذفها». كان صوتها أعلى قليلاً من اللازم، وأنا على يقين من أنها فعلت ذلك على أمل أن يسمعها أحد المدرسين ويتدخل.

ردّ ديكلان بقسوة: «أنا في الصورة، وإذا أخبرتها بحذفها، فعليها حذفها».

«ما الذي يحدث هنا؟»

لم يكن صوت مدرّس. كان هذا براندون تشو، منافسي السابق في التصوير الفوتوغرافي. ومنذ أن فوّتُّ شهادة التصوير الفوتوغرافي، لم أره هذا العام، لكن يبدو أن العطلة الصيفية قد عادت بالخير عليه؛ فقد زاد طوله عشرة سنتيمترات واتسع منكباه.

كان نحيلًا نوعًا ما وهزيلًا، هذا المتأنق مُلتقط أفضل الصور، لكن لا بدّ أنّ الهرمونات قد فعلت فعلتها به، فاستبدلت الملامح الناعمة بعظام الوجنة والفك الحاد، وغدا شعره أقصر وشائكًا بعض الشيء.

كانت الكاميرا الموثوقة خاصته معلقة حول رقبته، وقد خيطت على حزامها أزرار مثيرة للسخرية. وكانت إحدى صوره المفضلة

لدي تلك التي تحوي رسمًا لحيوانات منوية مرفقة بسطر: «هذه صورة قديمة جدًا لي»، لكن المدّرس طلب منه التخلص منها.

«هل يضايقك؟» سألني براندون.

رد ديكلان: «هذا لا يعنيك أيّها الحثالة».

تقدّم براندون ليقف بجانبي بدل التراجع، وقال: «لمَ لا تجد شخصًا آخر لتضايقه؟»

«هي من التقط الصورة اللعينة. . .»

حينها قال ريف ببطء: «ديك، هوّن عليك، دعها».

«لا، لن أهوّن علي».

قال براندون: «من الأفضل أن تهوّن على نفسك، أو سأعثر على مدرس ليجعلك تفعل». لف ديكلان إصبعه في الهواء، وقال: «وو، أنت قاس جدًا».

ضاقت عينا براندون، وقال: «أليس لديك جلسة استماع في المحكمة أو خدمة مجتمعية لتلتحق بها؟»

تقدم ديكلان نحوه، لكن ريف أمسك بكمه وسحبه إلى الخلف.

«وها قد انتهينا، هيّا بنا».

«ريف، أقسم أنني. . .».

«أتمنى ألّا تفعل». قال ريف وهو يواصل سحبه. «والشيء المؤسف هو أنّك ستتأخر عن الخدمة المجتمعية. هيا بنا». سمح ديكلان لنفسه بأن يُسحب، لكنه نظر عبر كتفه نحوي، وقال: «احذفيها. أسمعتني؟ احذفيها».

راقبته وهو يذهب.

لن أحذفها.

لم أستطع فهم سبب انزعاجه الشديد. التفت براندون لينظر إليّ، وقال: «هل أنت بخير؟»

كان فمي جافًّا وقلبي ينبض بشدّة، لكن كان ضخّ كل هذا الأدرينالين بلا فائدة حقًّا. «نعم. نعم. أنا بخير». وتساءلت في نفسي إن كان ينبغي أن أشكره.

تفحصني، ثمّ رأيت عينيه وهما تقعان على الكاميرا. «اعتقدت أنك قد تخليت عنها».

هززت كتفي قليلًا، وقلت: «طلب منّي السيد جيراردي خدمة».

«هل قمتِ بها؟»

رفعت الكاميرا، وقلت: «لقد قدّم لي رشوة».

لمعت عينا براندون.

«أنت محظوظة».

اعتدت دائمًا أن أجده مزعجًا، ولكنْ فقط لأنّه كان جيدًا بقدري، وربّما أفضل مني. في الواقع، كان جدّه قد فاز بجائزة بوليتزر عند تغطيته الحرب في فيتنام، وساعدت هذه الصلة في حصول براندون على تدريب النخبة مع صحيفة واشنطن بوست الصيف الماضي. وقد طلبت من أمي أن تستخدم نفوذها لأجلي، لكنها رفضت، قائلة لي أنّه من الأفضل أن أكتسب الخبرة بناءً على أهليتي.

أمّا في الوقت الحالي، فأنا سعيدة لأنني لم أشترك في أي تدريب. فقد قضيت الصيف أتجنب أي شيء يتعلق بالكاميرا، وبدلًا من ذلك، كنت أجثم فوق قبر، وأكتب رسائل.

ودون أي إحساس بالمنافسة، أدركت أنّ براندون في الواقع فتى لطيف. نظرت إليه وقلت: «شكرًا. لم يكن عليك القيام بذلك».

«لم يكن عليه أن يضايقك».

«لماذا كان مستاءً جدًّا؟» قالت روان.

هززت كتفي وألقيت نظرة إلى الصورة مرة أخرى. لا يوجد شيء حيال الصورة يمكن لأي شخص أن يرفضه. ليس الأمر كما لو أنني قمت بإعداد لقطة خادعة في غرفة تغيير الملابس. «لا أدري».

زفر براندون وقال: «من يدري غيره؟»

شيء في صوته جعلني أتفحصه. «هل تعرفه؟»

نظر إليّ كما لو كنت مجنونة. «ديكلان مورفي؟ لا، لا أعرفه إلّا بقدر أي شخص آخر». ثمّ توقف وهز كتفيه، وأردف: «ربّما أكثر بقليل. فأبي يقرأ تقارير الشرطة بصوت عالٍ على مائدة العشاء».

«هل سرق حقًا سيارة؟» قالت روان، وكان صوتها خافتًا قليلاً.

«نعم، لقد كان ثملًا، وسرق سيارة، ثمّ اصطدم بها في مبنى إداري».

هذا مريع. لم يتلفظ أيٌّ منا بشيء بعد ذلك.

أخيرًا أومأ براندون إلى كاميرتي. «هل حصلت على صور لأي شيء آخر بعد؟»

اعترفت: «لا». وبعد تردّد أضفت: «لقد بدأت للتو فقط».

«من الجيد رؤيتكما مرة أخرى». قال وقد احمرّت وجنتاه بعض الشيء، ثمّ نظر بعيدًا، وأضاف: «أعني، أنا سعيد لأنك لم تفقدي لمستك».

«أنا أقدّم خدمة فقط».

نظر براندون إليّ مرة أخرى، وقال: «إذا كان الأمر مثلما تقولين». ثمّ توقف، قبل أن يتابع: «هل ستصورين الحفلة الراقصة ليلة غد أيضًا؟»

«لا، بل هذا المهرجان فقط».

«أنا سأصور الحفلة».

«أوه». لم أكن متأكدة مما عليّ قوله.

«هل ستحضرين؟»

«إلى الحفلة الراقصة؟» حدقت به، وأردفت: «لا أعتقد ذلك».

«أوه»، تردد وعبث بكاميرته للحظة، ثمّ قال: «يمكنك القدوم معي إذا أردت».

أقسم أنّ روان توقفت عن التنفس، ودفعتني بوركها.

«هل تطلب مني الخروج معك؟» قلت بعبوس.

ألقى نظرة إليّ وقال: «حسنًا، نوعًا ما. أعني، عمليًا سأكون أعمل. ولكن ربّما قد يكون الأمر ممتعًا». تحركت عيناه صوب روان، وأردف: «يجب ألا يكون موعدًا. يمكن أن تأتيا معًا. إن أردتما».

تراجعت خطوة، إذ لم أكن مستعدة لذلك. فمع الشعور الذي يبعثه وجود الكاميرا في يدي والمواجهة مع ديكلان، ثمّ تدخل براندون المفاجئ، لم أعرف ما أقول.

لا، بالتأكيد. فهو لم يكن يتوقع مني حتى قبول عرضه، بإمكاني معرفة هذا من الطريقة التي راح يُؤطّر بها اللقطات الجديدة التي أخذها.

حفلة راقصة؟ ما الذي سأفعله في حفلة راقصة؟ فتحت فمي لأرفض، ولكن بعد ذلك تذكرت رسالة «الظلام».

لقد اتبعت توجيهك وفعلت شيئًا غير متوقع. كنتِ على حق.

لقد كان مرعبًا.

دعينا نفعل ذلك مرة أخرى.

حينها قلت: «بالتأكيد».

أخفض براندون الكاميرا ونظر إليّ. «حقًّا؟»

«أجل». ابتلعت ريقي، وأضفت: «ولكن فقط إذا جاءت روان، أيضًا».

طوقت روان خصري وأطلقت صرخة صغيرة. ثمّ أشرت إليها، وقلت: «أعتقد أننا سنحضر».

ولكن إذا كنت صادقة مع نفسي، فأنا أشعر بالرغبة في الصراخ أيضًا.

ليس كثيرًا.

قليلًا فقط.

الفصل التاسع عشر

من: فتاة مقبرة <cemeterygirl@freemail.com>

إلى: الظلام <TheDark@freemail.com>

التاريخ: الجمعة، 4 أكتوبر 10:23:05 صباحًا

الموضوع: غير متوقع

هل أنتَ ذاهب إلى حفل العودة الليلة؟

أنا سأفعل.

آمل أن يكون هذا صادمًا بالنسبة إليك. لأنّه صادم بالنسبة إليّ، وأنا من وافق على الذهاب. لقد سألني أحدهم ووافقت.

أنا ألومك. فما كنت لأقول نعم إن لم يكن هذا لأجلك ولأجل تحديك بأن نفعل شيئًا غير متوقع.

الآن يجب أن أبحث عن فستان بعد المدرسة، ولست متأكدة من أنّني أحب الفتى الذي سأذهب معه. في الواقع، لقد أمضيت السنوات الثلاث الماضية أفكر في أنّه كان مزعجًا نوعًا ما.

إنّ القيام بكل هذه الأشياء غير المتوقعة يفقدني توازني.

عندما أخبرت والدي أنني ذاهبة إلى حفل العودة، بدا كأنّه سيصاب بجلطة دماغية، ثم أعطاني بطاقته الائتمانية وقال لي أن أبتاع لنفسي ما أريد. أعتقد أنه قال على وجه التحديد «لا تدخري أيّ نفقات»، ليس الأمر كأننا أثرياء.

لكنّه بدا مرتاحًا لرؤيتي أحظى بشيء من حياة مراهقةٍ عادية.

مع ذلك، أشعر كأنّني أصطنع الأمر. أشعر بأنّني أشبه ببالون، أنتظر شخصًا ما ليثقبني بدبوس حتى أفرقع مخلّفةً كومة ممزقة من اللاتكس على الأرض. ينبغي أن أكون متشوقة بشأن فرصة الذهاب لشراء فستان وتصفيف شعري، لكنني لا أهتم حقًا. سألتني صديقتي الحميمة إن كنت أشعر بالخيبة لأن والدتي ليست هنا لتذهب للتسوق معنا (لأنني سأخرج معها ووالدتها)، لكن الأمر لم يكن كذلك. لم يكن التسوّق من الأشياء التي قد تفعلها أمي على الإطلاق، حتى لو كانت هنا في المدينة. لقد كانت أول نظرة ألقتها إلى ثوبي لحفلة سنتي الأولى الراقصة بعد أسبوع، عندما تلقت الصورة التي أرسلتها إليها عبر البريد الإلكتروني. وحتى ذلك الحين، لم تتذكر الأمر قط.

حين أفكر في الحياة التي عاشتها والدتي، فإنّ مخاوفي بشأن هذه الأشياء غير المهمة تبدو تافهة جدًّا. لقد كانت أمي توثّق شيئًا حقيقيًّا. لقد كانت تُظهر آثار الحروب لأولئك الذين يكتفون بقلب الصفحة لمعرفة ما يحدث في هوليوود.

لقد كانت تُحدث فرقًا.

وما الذي أفعله أنا؟ أبتاع فستانًا!

ما زلت أعتقد أنّها ستشعر بخيبة أمل منّي. وأنا الآن قلقة من أن أذهب إلى الحفلة الراقصة وأن أصاب هناك بانهيار عصبي.

رجاءً قل لي إنّك ستكون هناك. أعلم أنّنا لا يعرف بعضُنا بعضًا، لكنني سأشعر بتحسن أكثر عندما أعرف أنّني لست الشخص الوحيد في حلبة الرقص المُتلَف تمامًا من الداخل.

لا سيما أنّك كنت الذي أظهر لي أنني يمكن أن أكون طبيعية.

على الأقل لبعض الوقت.

كان فمي يلتهب؛ إذ كانت كريستين -والدة ريف- تحب تجربة الأطعمة من ثقافات مختلفة، وستجرب هذا الشهر شيئًا تايلانديًا. كان على الطاولة طبق من النودلز في صلصة الفول السوداني الحارة، مع وعاء من مرق لحم البقر بالكاري، وصحن من مسامان الدجاج، والعديد من الخضار المشوية مع البهارات. أردت طبقًا ثانيًا من كل شيء، لكنّني فضّلت أن أستشعر بعض الحرق في براعم تذوقي لاحقًا.

كنت أتناول العشاء هنا كل يوم جمعة. وقد بدأ هذا الأمر عندما قرر آلان أنّ ليالي الجمعة يجب أن تكون ليالي العشاء العائلي، وأنا لم أكن أرغب في المشاركة في ذلك. والآن، أصبحت ليالي الجمعة هي ليالي «أمي- وآلان- يأكلان- في- المنزل- بينما- أنا- آكل -هنا».

وكان هذا يرضي الجميع بالنسبة إليّ.

لم آتِ على ذكر رسالة فتاة المقبرة لريف.

لقد قرأتها مرات عديدة حتى حفظتها عن ظهر قلب، لكنّني لم أرد عليها بعد.

كنتَ الذي أظهر لي أنّني يمكن أن أكون طبيعية. ومثل صباح اليوم، أوقدت كلماتها في صدري بعض التوهج.

لقد مر وقت طويل منذ أن جعلني شخص ما أشعر بأنّني مُجدٍ لأي شيء أكثر من شغل مساحة صغيرة في زنزانة السجن.

لا يزال والدا ريف يتكفلان برضيعة، وقد جلست الطفلة الصغيرة بجانب الطاولة على كرسي مرتفع، تلتقط قطع الدجاج والنودلز المقطعة. كان اسمها «بيبي دول»، حقيقةً. وكنت أذكى

من أن أعلّق على الاسم. فقد كانت كريستين تقول إنّه لا يسعُ الأطفال اختيار الأسماء التي تطلق عليهم، ولذلك فإنها لا تسمح لأي شخص بالتحدث بشكل سلبي عن الأطفال الذين هم في رعايتها، حتى لو لم يكن الطفل المعني يعي ما نقوله.

قالت كريستين: «أنت هادئ الليلة، ديكلان».

«إنّني أفكر فقط».

كان ذهني يتصارع مع فكرة الذهاب إلى حفل العودة الراقص. فأنا لم أذهب إلى حفل راقص واحد منذ بدء المدرسة، وحتى الساعة 10:23 صباح اليوم، لم يكن لدي أيّ نية لتغيير هذه الخطة.

«هل تفكر في أيّ شيء مثير للاهتمام؟»

هززت كتفي وأجبرت عقلي على التفكير في مواضيع أكثر أمانًا. «لم أكن أعلم أنّه يمكنك إطعام الأطفال طعامًا تايلانديًا».

التهمت «بيبي دول» حفنة من الطعام المفتت في فمها وهي تأرجح ساقيها بسعادة. وكانت تتحدث وفمها ممتلئ وقد تناثر نصف الأكل من فمها. «آه، دا- دا- دا- دا- دا». كانت النودلز في شعرها، وراحت كريستين تزيلها منه.

سكب جيف بعض أرز جوز الهند في طبقه وأضاف فوقه حصة ثالثة من لحم البقر، وردّ قائلًا: «ماذا تعتقد أنّهم يطعمون الأطفال في تايلاندا؟»

مددت يدي لأخذ أعواد الطعام بجانبه، وقلت: «وجهة نظر معقولة».

ابتسم ريف، وقال: «ربما يشاهد طفل ما في بانكوك أمه وهي تفتت له هامبرغر، قائلًا: «لم أكن أعلم أنه يمكنك إطعام طفلٍ طعامًا أمريكيًا».

حينها قال جيف: «حسنًا. ثقافيًا. . .»

«لقد كانت نكتة فقط». ردّ ريف وهو يقلّب عينيه نحوي. كان جيف أستاذًا جامعيًا، لكنّك قد تعتقد أنّه ولد يحمل موسوعة بين يديه. ففي إحدى المرات أدلت كريستين بتعليق حول رؤيتها طائر أبي الحنّاء في وقت أبكر من الربيع، فقضينا حينها نصف ساعة نستمع إلى جيف وهو يتحدث عن أنماط هجرة الطيور.

قالت كريستين: «اخلع عنك سترة الأستاذ يا عزيزي، فنحن نأكل».

«ألا يمكننا أن نتناول الطعام ونتعلم؟»

«كيف تشعر والدتك؟» سألتني كريستين، متجاهلة إيّاه بينما كانت تفتت المزيد من الدجاج للطفلة.

غمزت لها، قائلًا: «إنّها بخير، على ما أظن».

«صادفتها في المتجر في نهاية الأسبوع الماضي، وقالت إنّها تشعر بالإرهاق. كانت تظن أنّها ربما تكون مصابة بشيء ما».

«لا». غرفت الأرز بعيدان الطعام ووضعته في فمي.

«لقد قضت هي وآلان وقتًا ممتعًا في غسل شرفة المدخل بالأمس».

قالت كريستين: «أوه، هذا جيّد».

فكّر جيف مليّا، ثمّ قال: «يجب أن نغسل شرفة مدخلنا أيضًا، ربما يجب أن أستأجر. . .»

«هل تريد الذهاب إلى الحفلة الراقصة الليلة؟» سألتُ ريف.

توقفت كل من كريستين وجيف برهة وحدقا إليّ.

أمسك ريف قطعة دجاج بعيدان الطعام. «فقط إذا ارتديت ذاك الفستان القصير الأحمر البرّاق الذي يعجبني».

«اخرس، أنا جاد».

نظر إليّ ريف بطرف عينه، وقال: «هل تريد حقًا الذهاب إلى حفل العودة؟»

«مع ريف؟» أردف جيف، ولقمته لا تزال معلقة بين الطبق وفمه. وكان بإمكاني رؤية العجلات تدور في رأسه. ويكاد الأمر يكون هزليًا. فهو لم يكن معاديًا للمثليين على الإطلاق.

بدلاً من ذلك، ربّما كان يحاول تحديد إن كانت هناك أمارات ما قد فاتته.

«ليس برفقة ريف». سعلت لأخفي ضحكةً، وغرزت أعواد الطعام في طبقي، دافعًا الطعام جانبًا. «هناك فتاة أعرفها سألتني إن كنت سأحضر». حينها رفع ريف حاجبيه قائلًا: «من هي؟»

تردّدت، ثم أخرجت هاتفي من جيبي، وفتحت الشاشة وسلمته له.

قرأ مدة دقيقة، ثم أعاده إليّ وقال: «حسنًا».

قالها بلا تردد، وهذا أحد الأسباب التي تجعلني أحبه.

«ما الذي فوّتُّه هنا؟» قالت كريستين، وهي تضع ملعقة من الأرز على الطبق في الكرسي العالي، فالتقطت بَيبي دول على الفور حفنة ودفعتها إلى فمها.

«هل مسموح لك الذهابُ إلى حفل راقص؟» قال جيف.

لم يكن هناك أي نوع من الأحكام في صوته، لكنّه تذكير آخر بالصخور والعوائق التي تقف في طريقي الوعرة.

«نعم». نظرت ثانية في طبقي وضربت قطعة من الدجاج. «يُسمح لي إذا كان نشاطًا مدرسيًا».

«من هي هذه الفتاة؟» سألت كريستين.

ترددت، ثمّ ولرعبي أدركت أنّ وجهي قد اِحمرّ خجلاً. «مجرد فتاة كنت أتحدث إليها». تتبعت الطفلة وهي تدفع المزيد من الطعام في فمها. «ليس بالأمر الجلل».

ردَّ ريف، مقلبًا عينيه: «أجل، إنّه *ليس بالأمر الجلل* الذي يجعلك تجرني إلى أول حفل راقص أحضره طوال مسيرتي في المدرسة الثانوية».

نظرت إليه بتمعن، متسائلًا إن كنت قد فوّتُّ ملاحظة من القلق مبطّنة في مزاحه هذا. ومنحت صوتي شيئًا من الجدية وقلت: «ريف، ليس عليك الذهاب». مضغ طعامه بعناية، ثمّ ابتلعه، وقال: «أودّ أن. . .». ثمّ نظر إلى هاتفي وابتسم، وتابع: «ربّما أود أن أفعل شيئًا غير متوقع أنا أيضًا».

الفصل العشرين

من: الظلام <TheDark@freemail.com>
إلى: فتاة المقبرة <cemeterygirl@freemail.com>
التاريخ: الجمعة 4 أكتوبر الساعة: 6:36:47 مساءً
الموضوع: حفل العودة

لا تقلقي يا فتاة المقبرة. سأكون هناك.

تزيّنت صالة الألعاب الرياضية في المدرسة باللونين الأزرق والفضي. وعلّقت باقات البالونات في كل مكان، مع وريدات من ورق الكريب وشرائط ملوّنة متقاطعة في كل الاتجاهات. لا أتذكر وجود كرة ديسكو هنا، ولكن ربّما علقوها لأجل الحفل الراقص. كان أمرًا تافهًا جدًّا، لكنّني سرًا أحببت الطريقة التي تعكس بها المرايا الصغيرة بقع الضوء حول صالة الألعاب المظلمة.

سيستغرق براندون وقتًا طويلًا في محاولة الحصول على صور لائقة هنا.

لم نأتِ إلى هناك معًا. وقد سعى براندون عمليًا للاعتذار، لكنّه كان قد خطط مسبقًا لالتقاط صورٍ للجنة المحضِّرة للحفلة في أثناء انتهائهم من الإعداد، لذلك كان بحاجة إلى أن يكون هنا قبل 90 دقيقة من بدء الحفل. وقد سألني إن كنت أرغب في الانضمام إليه، لكن ذلك كان أكثر مما يمكنني تحمّله.

كان عليّ الحصول على فستان على أي حال.

لـم أكـن قـد رأيـت برانـدون بعـد. وبـدلاً مـن ذلـك، كنـت متشـبثة بـروان.

حسـنًا، كنـت أمشـي بجانبهـا. لكـن فـي ذهنـي، كنـت أمسـك ذراعهـا.

راحـت عينـاي تجوبـان الحشـد. وقـد تصـدّع رأسـي مـن وقـع الموسـيقى حيـن دخلـت، ولكـن بعـد ذلـك اعتـادت أذنـي عليهـا. كان صـوت الغيتـار الرئيسـي مـع الأضـواء الوامضـة يولّـد داخلـي تجربـة حسـية لا تتـرك أي مجـال لقلقـي المعتـاد. كانـت الأضـواء تُسـلّط علـى وجـوه غيـر مألوفـة، ووجـدت نفسـي أبحـث فـي الحشـد عـن «الظـلام». إذ يمكـن أن يكـون أيّ شـخص هنـا.

مالت روان أكثر نحوي وقالت: «هل تبحثين عن براندون؟»

لا، على الإطلاق. «نعم، هل رأيته بعد؟»

«لا، دعينـا نذهـب إلـى طـاولات الطعـام حتـى يتمكـن مـن العثـور عليـكِ».

طاولات الطعام. هذا ممتاز.

علـى طـول الجـدار الخلفـي، وُضعت سـتُّ طاولات طويلة. وفُرشـت عليهـا أغطيـة الموائـد بالتنـاوب بيـن اللونيـن الأزرق والأبيض على كل منهـا، مـع المزيـد مـن الأشـرطة التـي تبـرز الواجهـات. وقـام أحدهـم بتشـغيل صـف مـن الأضـواء المعلقـة خلـف الطـاولات، حتـى يسـتطيع المـرء رؤيـة القليـل ممـا يأكلـه. ووُضـع علـى إحـدى الطـاولات وعـاءان مـن مشـروب البنـش، وقـف أمامهـا مـدرس ليحرسـها، وحولهـا ثلاثـة أطبـاق ضخمـة مـن الكوكيـز.

احتـوت الطـاولات الأخـرى علـى زجاجـات ميـاه وحلـوى وأكيـاس

من رقائق البطاطس، لكنّها كانت جميعها مقابل المال، لذلك التقطت كوبًا من البنش. ورفعته إلى شفتي واستدرت، مستعدة لإجراء مسح على الحشد مرة أخرى.

اختنقت بالبنش وكدت أسعله على ديكلان مورفي.

تسارع نبضي في غضون ثانية واحدة. وكنت لا أزال متوترة بسبب الطريقة التي تصرّف بها بشأن الصورة بالأمس، وهذا كل ما يمكنني فعله لكبح نفسي من الصراخ في وجهه.

أو الركض.

تمنيت لو كان بإمكاني القول بأنّه لم يكن نظيفًا بشكل جيّد، لكنه كان كذلك. وكان من الواضح أنّه قد قضى وقتًا في الاستحمام والحلاقة، لأنّ رائحته كانت منعشة ونظيفة، وكان وجهه على الأرجح أنعم وجه رأيته على الإطلاق. كان للحفلات الراقصة قواعد لباس، ولم أتوقع منه أن يلتزم بشيء تقليدي جدًّا، لكنّه فعل ذلك. فقد كان يرتدي قميصًا أبيض وسروالًا بلون كاكي مع ربطة عنق مخطّطة بالأزرق والأخضر. وقد لف كميه إلى الساعدين وترك الزر العلوي مفتوحًا، لكن شعره كان أطول بقليل من أن يكون على الموضة، ومع ذلك كان مُسرّحًا. وبدا كصبي طائش ألبسته أمه لأجل التقاط الصور، ولم تكن له يد في ذلك.

بذلت قصارى جهدي للتحكم في معدل ضربات القلب.

«هل تتعقّب الآخرين دائمًا؟»

«نعم»، قال بصوت خشن منخفض وهادئ ومليء بالسخرية. ثمّ أردف: «أنا أتعقبك عند طاولة الطعام». ثمّ تحرك ليجتازني.

«هل تسعى لإضافة الكحول إلى مشروب البنش؟» قلت.

ظل ساكنًا سكون كلب قبل أن يهمّ بالعض. لم يتذمر، لكن شفتيه انقبضتا، وتشنجت عضلاته.

ما كان ينبغي أن أقول أيّ شيء خاصة شيئًا من هذا القبيل. شعرت بالندم على الفور. لقد أفقدني تمامًا توازني، كما لو أنّني كنت بحاجة إلى أن أسدد له أنا الضربة أولاً، قبل أن يتمكن هو من تركي مليئة بالثقوب.

تراجع ديكلان لينظر إليّ مرة أخرى. وكانت عيناه مليئتين بالجليد، لكنّ صوته لم يتغير. «وماذا لو كنت سأفعل؟ هل ستوقفينني؟»

«لا»، قالت روان وهي تتحدث بجانبي. «سنخبر أحد المدرسين».

«هيّا، افعلا». ثم تجاوزني مرة أخرى، وألقى دولارين على الطاولة إلى اليسار، وأخذ قارورتي ماء ومضى.

اقتربت روان منّي، ورحنا نشاهد ديكلان وهو يبتعد.

«ما خطبه؟» قالت، وقد بدت محتارة تمامًا. «لمَ عليه أن يكون وغدًا هكذا؟»

أخذت رشفة أخرى من مشروبي. كان حلوًا جدًا، أو ربّما أنا من كان يشعر بالمرارة. «لم أكن لطيفة تمامًا يا رو».

«بعد الطريقة التي عاملك بها بالأمس؟ هل تعتقدين أنه يستحق اللطف؟»

ما زلت أشاهد ديكلان وهو يبتعد. ثمّ توقف عند زاوية مظلمة، ورأيته يعطي الزجاجة لشخص آخر، لكن الأمر استغرق منّي لحظة لمعرفة من كان ذلك.

ارتفع حاجباي، وقلت: «إنّ صديقه لا يرتدي قلنسوة».

قالت روان: «حسنًا، انظري إلى هذا يمكن لريف فليتشر أن يبدو طبيعيًا». توقفت للحظة، واكتسى صوتها نبرة إعجاب، وأردفت: «يبدو أفضل من المعتاد. في الواقع يبدو فتىً ذا مظهر لائق. لمَ في رأيك يحب أن يرتدي مثل تيد كازينسكي مفجّر الجامعات؟»

«من يرتدي مثل تيد كازينسكي؟» قال صوت آت من خلفها. التفت، فوجدت براندون يقف وراء روان، حاملًا الكاميرا بين يديه. كان براندون يرتدي سترة وسروالًا من بدلة رمادية داكنة من ثلاث قطع، مع حذاء من طراز تشاك تايلور بلون أزرق مشعّ، وقميصٍ أسود بأزرار، وربطة عنق فراشة حمراء. ولو ارتدى أي شخص آخر هذا، فسيبدو سخيفًا جدًّا، لكن بشكل ما استطاع إنجاح الأمر. الغريبُ المثير، هذا ما سأسمي أسلوبه.

ألقى علينا نظرة تقييم، وقد اتقدت في عينيه أنوار الإعجاب، ثمّ قال: «تبدوان جميلتين».

احمرّ وجهي، ولم أستطع كبح هذا. فقد شعرت بالخجل من كلامه تقريبًا. لم يكن ثوبي مميزًا، فقد كان مجرد فستان أسود بلا حمالات، يصل إلى ما فوق ركبتي. لكن بالنظر إلى مظهره الملون، يسعدني أنني اخترت شيئًا بسيطًا.

قلت: «وأنت كذلك».

سألته روان: «هل ترتدي حقًّا ساعة جيب؟»

«نعم، أنا أرتدي واحدة، لمَ؟» ثمّ رفع براندون الكاميرا إلى وجهه، وقال: «اقتربا من بعضكما».

«مستحيل». حاولت الخروج من نطاق الصورة، لكن روان أمسكت ذراعي وجرتني إليها.

قالت: «نحن بحاجة إلى إحياء ذكرى هذا».

قلت: «إحياء ذكرى ماذا؟ طاولة الطعام؟»

قال براندون: «عام التخرج، إنه آخر حفل عودة في المدرسة الثانوية. ألا ترغبين في صورة مع أفضل صديقة لك؟»

قالت روان: «أنا أرغب».

وكان هذا سببًا كافيًا بالنسبة إليّ. إذ يمكنني القيام بذلك من أجلها، فأجبرت نفسي على رسم ابتسامة على وجهي.

تراجع براندون بضع خطوات، وقال: «حاولي ألّا تبدي كأن أحدهم يحاول قتلك، جولييت».

رغبت في رفع إصبعي في وجهه، لكن صوته كان لطيفًا، وفيه نبرة مزاح.

كان الجميع مستمتعًا هنا. وينبغي أن أكون كذلك، أنا أيضًا.

ربما يمكنني أن أتظاهر بذلك. وضعت ذراعًا حول خصر روان واتكأت عليها.

وضعت رأسها عليّ، وتمتمت: «أنا فخورة بك، أعلم أنّك لا ترغبين في أن تكوني هنا».

اجتاحتني موجة من المشاعر الغامرة، واغرورقت عيناي قبل أن أكون مستعدة لذلك.

أخفض براندون الكاميرا.

«هل أنتِ بخير؟»

فرّت دمعة من عيني. فمسحت بمنديل لإيقافها قبل أن تتلف تبرجي. «أنا بخير، أنا غبية».

قالت روان: «أنت لست غبية»، ثمّ أخذت منديلًا بنفسها وربتت

برفق لمسح ما فوّت مسحه. «أنت رائعة وشجاعة و. . .»

أبعدتُ يدها وألقيت بذراعي حول رقبتها لعناقها، وقلت بصوت مكسور: «توقفي.. توقفي يا رو.. أنا لست أي شيء من هذا، وأنا آسفة لأنّني صديقة سيئة».

قالت: «لم تكوني صديقة سيئة ولا حتى مرة».

أضاء فلاش الكاميرا، فتراجعت وسحبت دموعي.

وقلت لبراندون: «عظيم، هذه لحظة أرغب في حفظها إلى الأبد. لحظةَ سال تبرجي في حفل العودة».

ضغط على بضعة أزرار في الكاميرا وأدارها ليريني. «ماذا عن اللحظة التي كانت صديقتان تدعمان فيها بعضهما بعضًا؟»

نظرت أنا وروان إلى الصورة على الشاشة. لقد التقط براندون صورة لنا بأعيننا المغلقة، في منتصف عناق، وبالكاد يمكن تمييز الخط الدقيق للدموع على أهدابنا. وحتى على شاشة المعاينة الصغيرة، تنساب المشاعر من الكاميرا. لقد كانت صورة رائعة.

قلت له: «أنت موهوب حقًا». وكنت أعني هذا حقّا. صحيح أنّه كان رائعًا في العام الماضي، لكن ما التقطه الآن يتجاوز بأميال ما التقطه الربيع الماضي. «تكاد تكون خسارة أن توضع في الكتاب السنوي».

تمتم قائلًا: «شكرًا». ثمّ أضاف: «إنّك على حق، لن يشيح نصف الشباب في صفنا أنظارهم عن حقيقة أن صدريكما يتلامسان».

فقلت: «ماذا عنك أنت؟ هل ستشيح نظرك عن هذه الحقيقة؟»

ابتسم ابتسامة ملتوية، وردّ: «ربّما».

كان هـذا غـزلًا. وددت لـو بإمكانـي فعل الشـيء ذاتـه فـي المقابل. فاكتفيـت بالابتسـام، ولكـن ربّمـا يعـادل هـذا العبـارة التـي قالهـا لـي مـن قبـل عندمـا أخبرنـي أن أتوقـف عـن الظهـور كأنّ شـخصًا مـا سيقتلني. وشـعرت بأننـي فارغـة جـدًا مـن الداخـل.

تسـاءلت إذا مـا واصلـت التظاهـر، فهـل سـينتهي بـي المطـاف إلـى تصديق الأمـر؟ يشـعر جـزء منـي بالقلق مـن أنّنـي سـأستمر فـي التظاهـر وأنسـى مـا هـو حقيقـي تمامًـا.

«هل عليكَ التصوير طوال الليل؟» سـألته.

«يمكننـي أخذ فترات راحة».

«هـل تريـد الرقـص؟» خرجـت الكلمـات مـن فمـي قبـل حتّـى أن أدرك مـا أقولـه. لقـد كنـت أبحـث عـن القيـام بشـيء لا ينطـوي علـى التحـدث أو علـى التقـاط المزيـد مـن الصـور.

اتسعت عيناه، ثمّ ابتسم، وقال: «بالتأكيد».

أمسكت بيد روان وقلت: «يجب أن تأتي رو معنا».

فهمست: «لا، أنا لا . . . أنت في موعد، جولز. . .»

ولكـن حيـن رأت تعابيـر وجهـي، سـمحت لنفسـها بـأن أجرهـا. ثـمّ قالـت لبرانـدون وهـي تغيظـه: «أتمنـى أن تعجبـك المواعيـد الثلاثيـة».

«هل سمعتني أعترض؟»

انغمسـنا وسـط الحشـد. وكانـت الفكـرة الرئيسـية لأغانـي الحفـل هـي «الأغانـي عبـر العصـور» أو شـيءٌ مـا سـخيف تمامًـا، وقـد تنوعـت مـن أغـانٍ عصريـة تهـز الأرضيـة إلـى موسـيقى البابلغـام بـوب مـن حقبـة السـتينيات. ومـع ذلـك، فقـد كان لديهـم دي جـي جيّـد، لأنّـه أجـاد مـزج الأغانـي القديمـة مـع عـزفٍ بغيتـار البَيْـس، ليتغيّـر الإيقـاع

مُضفيًا لمسة عصرية. وكنّا حينها نرقص على أنغام أغنية «إنّها حفلتي».

لم أكن بارعة في الرقص أو شيئًا من هذا القبيل، لكن كان بإمكاني تدبّر أمري. وكنت سعيدة لأنّ الموسيقى كانت سريعة، حتى لا يتعين عليّ الاقتراب كثيرًا من براندون. وكان شعري مرفوعًا ومثبّتًا، لكن لا بدّ أنّني لم أضع ما يكفي من دبابيس الشعر، فقد تراخت بعض الخصلات منه. لكنّني لم أهتم على أيّ حال، فقد أصبح الآن متماشيًا مع تبرجي.

كانت الموسيقى الصاخبة بمثابة منفّسٍ للعواطف المكبوتة، وقد بدأت أفقد نفسي وسط الإيقاع. حاول براندون إمساك يدي عدة مرات، لكنّني ابتعدت. ولم يصر على ذلك، وهو ما أقدّره. كما أنّه كان يولي اهتمامًا متساويًا لروان أيضًا، لكنها لم تتجنب يده. فأخذ يلفّها حتى راحت تضحك. كانت ترتدي فستانًا أبيض بلا حمالات مع زخرفة فضية في الصدار. وكانت التنورة من الشيفون تنحدر على ركبتيها، لكنّها تتسع حين تتحرك.

كان براندون فتى طيّبًا، ووددت لو شعرت بشيء تجاهه.

حسنًا أنا أشعر بشيء، لكنّه كان الامتنان فقط. فقد طلب مواعدتي، ومنحني الفرصة لأن أقول نعم.

على الرغم من أنّه لم يكن الشخص الذي منحني *القوة* لأقول نعم.

راحت عيناي تتجولان بين الحشد مرة أخرى. لقد قال أنّه سيكون هنا. ورغم أنّني كنت محاطة بالناس -المئات من الأشخاص- شعرت بطريقة ما بأنني محاصرة في دائرة من

الوحدة. ومعرفة أنّ «الظلام» موجود هنا يمنع هذه الوحدة من أن تنهار عليّ.

هل تراه يرقص في هذه الأثناء؟ لا أعتقد ذلك. على الرغم من أنّني لم أكن متأكدة من هذا. لكن بطريقة ما شعرت بأنّني أعرفه جيّدًا من بعض النواحي، رغم أنّني -في الواقع- لم أكن أعرفه على الإطلاق.

انتهت الأغنية. وكانت الأغنية التي تلتها عصرية أكثر، مع إيقاع مفعم بالحيوية حقًا. وراحت روان وبراندون يؤديان بعض الحركات البطيئة، وعندما انتهت الأغنية، انفجرت ضاحكة، حتى كادت تصطدم به. فارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة وهو يمسكها ويعيدها إلى وضع مستقيم.

حينها نظرت إلى كليهما، وبدا لي أنه قد طلب من الفتاة الخطأ الرقص.

رحت ألوّح بيدي على وجهي، لأجلب لنفسي بعض الهواء، ثمّ قلت: «أنا بحاجة إلى الحصول على بعض البنش، واصلا أنتما الاستمتاع».

تلاشت الابتسامة عن وجه براندون، وقال: «هل أنت بخير؟»

«أنا بخير! أشعر ببعض العطش فقط».

لحقت بي روان، وقالت: «أنا آسفة، لقد تحمست بعض الشيء. لقد أفسدت موعدك بالكامل».

أمسكت بذراعيها وقلت: «لا! لم تفعلي. أعتقد أنّه معجب بك حقًا. أريد أن أخرج من قوة الجاذبية لبضع دقائق».

«لكنه طلب منك. . .»

«رو، ثقي بي. أنا لست معجبة ببراندون. لقد أخبرتك بهذا كله طوال العام الفارط، حين ما فتئتِ تخبرينني أنّه يجدر بنا أن نتواعد». توقفت للحظة، قبل أن أردف: «يا إلهي. رو، هل أنت معجبة به؟ أهذا صحيح؟»

تضرّجت وجنتاها، وجعلت الأضواء الملتفة عينيها تتلألآن. «أو! لا، حسنًا.. ربّما.. إنّه.. إننا نستمتع معًا، هو سخيف حقًا».

أدرتها ودفعتها بصرامة، قائلةً: «اذهبي.. ارقصي معه.. في الواقع تبدوان ظريفين معًا».

ذهبت، وهي تنظر بقلق إليّ من فوق كتفها.

«اذهبي!» قلت، وأنا أشير لها بيدي لتذهب. ثمّ راقبت براندون الذي بدا قلقًا، وهو يستمع إلى كل ما قالته روان له، وكيف تغيرت ملامحه دلالة على نوع من القبول.

غادرت حلبة الرقص واتجهت نحو الظل بجانب المدرجات. كانت هناك فجوة بين قوائم الدرجات، مدعومة بأبواب الطوارئ. وكانت تلك واحدة من زوايا الصالة الرياضية القليلة التي لا تصل إليها الأضواء. شعرت كأنني أختبئ في كهف، وأطل منه على العالم الحقيقي.

«لا أريد أن أخيفك. . .»، قال صوت من خلفي.

فسحبت نفسًا واستدرت.

تحرّك شخص ما في الظل. وقد دلّ حجمه وقلّة البريق في ثيابه على أنه رجل، لكن بالكاد استطعت رؤية أيّ شيء في هذه الزاوية. ثمّ أطلق ضحكة خافتة، وقال: «حسنًا، لم *أقصد* إخافتك». توقف للحظة، ثم تقدّم بما يكفي ليكشف بعض الضوء

عن ملامحه. كان هذا ريف، صديق ديكلان. «أنا فقط لا أريدكِ أن تعتقدي أنكِ الشخص الوحيد الذي يقف في الظلام».

«لا بأس». قلت وابتلعت ريقي، في محاولة لتنبيه الأدرينالين أن يخفّ قليلًا. ومرة أخرى، فكرت في تلك اللحظة في ساحة المدرسة عندما بدا هو وديكلان كأنّهما ملاكان متعارضان. «لماذا تختبئ؟»

قال: «أنا لا أختبئ». ونظر إلى الحشد، ثمّ إليّ مرة أخرى، وتابع «كنت بحاجة إلى لحظات أكون فيها بعيدًا عن الضوضاء والضوء».

«أنا أيضًا».

«حقًّا؟»

«أجل».

شعرت بتيار هوائي فارتعشت.

قطّب ريف، وقال: «هل تشعرين بالبرد؟»

«قليلًا». صمتُّ، قبل أن أضيف: «إنّها ليلة غريبة».

مط شفتيه، وقال: «لا تحدثيني عنها».

كان يتمتع بأسلوب هادئ وحليم، وتبادر إلى ذهني تعليق روان في وقت سابق، حين تساءلت لماذا يرتدي دائمًا ملابس مثل تيد كازينسكي. قال إنّه لم يكن يختبئ هنا في الظلام، ولكن ربّما هو يختبئ كل يوم، بطريقة أخرى. كان شعره طويلًا جدًا، وينسدل على نصف وجهه، لكنّه كان يلمع. وعلى عكس ديكلان، لم يحلق، بل ترك ذقنه مظللة. كان قميصه مزرّرًا بالكامل مع ربطة عنق معقودة بدقة. لقد كان أشبه بنجم روك طُلب منه الذهاب إلى مقابلة عمل.

كان ريف يتحدّث بشكل مجازي، لكنّني حدّثته عن ليلتي على أي حال. «لقد طلبت من صديقتي المفضلة أن ترقص مع الفتى الذي دعاني إلى موعد. أعتقد أنّني أخبرتها على وجه التحديد بأنهما سيشكلان زوجًا لطيفًا».

لم يحمل صوتي أيّ حقد، واتسعت ابتسامته، وقال: «كيف تلقى الفتى الأمر؟»

«بشكل جيّد جدًا، على ما أعتقد. أعني، لا يزال يرقص معها». توقفت لحظة، ثمّ أردفت: «ألم تأتِ مع أحد؟»

تردّد، قبل أن يجيب: «أنا لا أواعد حقًا». ثمّ نظر إلى الظل المعتم خلفه، وقال: «أنا ألعب دور مساعد الطيار».

«لمن؟ للظلام؟»

ابتسم ابتسامة عريضة الآن، وأجاب: «لا، بل لديكلان. إنّه في الخارج، يدخّن». نظرت خلفه مرة أخرى. لا عجب أنّ هناك تيارًا هوائيًا، فباب مخرج الطوارئ كان مواربًا. وكان ينبعث من إطار الباب شعاع من الضوء الخافت.

نظرت ثانية إلى ريف، وقلت: «هل تسلل؟»

«هل تعتقدين أنّه من المسموح التدخين في الساحة؟»

شعرت بالفزع من هذا التحدي الصارخ للقواعد.

وشعرت بالغيرة أيضًا.

اجتزت ريف نحو الباب ومررت عبره. وقد كان ديكلان يقف خلف ضوء الطوارئ، فقفز مسافة ميل، وداس السيجارة قبل أن يدرك أنّه كنتُ أنا فقط.

تجمّدت عيناه مرة أخرى، وقال: «هل تتعقبين الآخرين دائمًا؟»

وكان بهذا يقذف بكلماتي السابقة في وجهي. ترجّيت وجنتيّ ألّا تتضرّجا، لكنهما لا تصغيان. «ألم يخبرك أحد من قبل أن التدخين سيقتلك؟»

«أنت تمزحين، لا بدّ أن يكتبوا ذلك على العلبة». ثمّ أخرج واحدة أخرى ووضعها بين شفتيه.

«كيف استطعت حتّى أن تخرج إلى هنا؟ ألا يطلق الباب إنذارًا؟»

«لا، فمنذ أن قام ريكي ألافيردي بفصل جهاز الإنذار قبل ثلاث سنوات، لم يتكلف أحد عناء إصلاحه». سحب نفسًا من السيجارة ونفث عمود الدخان في السماء. «إن كنت تعتقدين أنّ بإمكانك إفشاء الأمر، فسأعلم أنه أنت».

لم تكن كلماته مهدّدة في حد ذاتها، ولكن البرودة التي كانت في صوته بعثت رعشة أسفل عمودي الفقري مرة أخرى. وكان عليّ أن أطوي ذراعيّ على معدتي. «لن أقول أيّ شيء، أنا لست هكذا».

ضحك، لكن ضحكته كانت خالية من الدعابة. «بالتأكيد أنت كذلك».

كان وجهي لا يزال يحترق. ولست متأكدة تمامًا ممّا جذبني خارج الباب. فبعد الصخب داخل الصالة الرياضية، كان الهدوء خلف المدرسة يلفنا، ما يجعل هذه المواجهة أكثر حميمية بكثير ممّا ينبغي أن تكون.

«ماذا تفعلين هنا؟» سأل.

«كنت بحاجة إلى الابتعاد عن الضوضاء».

استنشق سيجارته، ما جعلها تتوهج باللون الأحمر.

«أين صديقتك؟»

«إنّها ترقص».

«مع ذلك الحثالة صاحب الكاميرا؟»

انفلتت أعصابي، وقلت: «براندون ليس حثالة».

ضحك ديكلان. «نعم، حسنًا».

«أنت آخر من يتكلم».

نفث الدخان عبر أسنانه، وحاصرتني حدة نظرته هناك. وفجأة صار أقرب، وصوته منخفض وخشن.

«أنت لا تعرفين شيئًا عني».

صار فمي جافًا، لكنّ قُربه أثار شيئًا في داخلي، وجعلني أتكلم دون تفكير. «أعلم أنّك شخص فاشل ذو سوابق».

تبخر كل حسّ دعابة في تعابيره، وندمت على الفور على كلماتي. ألقى السيجارة على الأرض وداس عليها أيضًا. ودون أن ينظر إليّ، اتجه نحو الباب.

كيف استطاع أن يجعلني أشعر بهذا القدر من الذنب دون أن يتلفظ بشيء؟ كيف *يفعل* هذا؟

اتّجه مسرعًا نحو الباب وأدركت أنّه على وشك أن يتركه يُصفق في وجهي. فأسرعت لإمساك الباب، ليدفعني مرة أخرى نحو الأضواء الدوارة وصخب الموسيقى منكسرةً تقريبًا بمواجهتنا في ساحة الظلام. كانت الأغاني قد انتقلت إلى موسيقى الهيفي ميتال من الثمانينيات، وكانت كل مداعبة لأوتار الغيتار تزعج حواسي. اتجه ديكلان وريف نحو النور.

«توقف»، صحت عليه.

لكنّه لم يفعل.

«انتظر»، قلت لاهثة ومترددة. «دعني. .»

«ماذا؟» التفت وكانت تعابيره عنيفة.

إنه يُفقدني كل أعصابي، وشعرت بالاعتذار محتبسًا في حلقي.

«من الأفضل أن تعودي إلى حلبة الرقص، أيتها الأميرة». كانت كلمات ديكلان مليئة بازدراء جليدي. «لن يرضيك أن يراك أحدهم تتسكعين مع الفاشلين».

كانت عيناي تحرقان. لقد أخذت الأمور منحًى خاطئًا.

ما كان ينبغي لي القدوم إلى هنا أبدًا.

استدرت وخرجت من باب الطوارئ واصطدمت بالليل.

الفصل الواحد والعشرون

من: الظلام <TheDark@freemail.com>
إلى: فتاة المقبرة <cemeterygirl@freemail.com>
التاريخ: الجمعة، 4 أكتوبر، الساعة 10:06:47 مساءً
الموضوع: أنت مدينة لي، يا فتاة المقبرة

أتمنى أنّك تقضين ليلة أفضل مني.

كانت المقبرة جُبَّ صمت. وبفضل السماء الملبدة بالغيوم، ساد الظلام في الأغوار بين القبور. وقد مرّت عليّ ساعة مذ أن تلمست طريقي إلى قبر أمي وسط هذه العتمة. لم يتطلب الأمر منّي سوى القليل من الجهد، فقد أتيت إلى هنا من المرات ما يكفي لأن أعثر على طريقي معصوبة العينين.

ظننت في البداية أنّ بإمكاني تحمّل البرد، لكنّني تجمّدت. لقد كانت الرطوبة الباردة تطفو في الهواء، والسماء توشك أن تمطر. قد أقتل شخصًا من أجل سترة.

ابتسمت لهذه المفارقة، إذ تذكرت أنّني في وسط المقبرة والأشخاص الوحيدون من حولي هم الموتى.

حينها تلاشت الابتسامة، هذا ليس مضحكًا، حقًا.

معظم الناس سيخافون من وجودهم في المقبرة في وقت متأخر من الليل. وهناك فتيات في الصف النهائي لا يزلن لا يدخلن حمامًا مظلمًا خوفًا من شبح ماري الدموية.

لقد أمضيت الكثير من الوقت هنا حتّى أنّني لا أفكر في أيّ شيء من هذا القبيل. ولن يزحف أي شيء خارجًا من الأرض ولا حتى البق، لا سيما في أواخر السنة. ومن المحتمل أن يتشكّل الصقيع على الأرض في الصباح.

ولو جلست هنا لفترة أطول، فسيتشكل الصقيع *عليّ*.

عجزت عن حمل نفسي على المغادرة.

وعجزت عن حمل نفسي على التحدث إلى أمي أيضًا. فكل ما لدي في حقيبتي هو هاتفي ورخصتي ومفاتيحي، لذا لا يمكنني كتابة رسالة لها. ومع تصاعد الشعور بالذنب داخلي، أدركت أنّني لم أكتب لها رسالة منذ أسابيع منذ أن بدأت الكتابة إلى «الظلام».

حاولت كبح الشعور بالذنب. فليس الأمر كما لو أنّ أمي كانت هنا لتفتقد خط يدي.

لم أكن متأكدة ممّا أفعله هنا. فقد قدت سيارتي، وانتهى بي الأمر في هذا المكان. حين وصلت إلى هنا، أرسلت إلى روان رسالة نصيّة، لأنّني لا أريدها أن تقلق. إذ يمكن أن ينتهي الأمر بروان القلقة بسهولة إلى إخطار والدي واستدعاء رجال الشرطة. ولذا راسلتها أخبرها بأنّني لم أشعر بتحسن وطلبت منها إن كانت تستطيع العودة إلى المنزل مع براندون.

عندما سألتني إذا كنت في المنزل، أجبتها بنعم.

أقصد، سأعود إلى هناك في نهاية المطاف.

مرّرت أصابعي على شاهد القبر، متتبعة حروف اسم والدتي. *زوي ريبيكا ثورن*. أعلم أنّ اسمها كان مهمًا بالنسبة إليها، ولكن

الآن بعد رحيلها، أتمنى لو كنّا نشترك حتّى في هذا. إذ لا يمكن أن يربط بيننا أحد ينظر إلى هذا القبر.

لن يربط بيننا أحد في الحياة أيضًا. لكن، لحسن حظي التقطت خصلات من موهبتها.

شعرت بألم مفاجئ يقبض على حلقي، ووجدت صعوبة في التنفس. إنّني أفتقدها بشدة. سأعطي أي شيء مقابل أن أحادثها مرّة أخرى للحظة أخرى فقط. وتذكّرت الرسالة التي قرأتها للتو: *أتمنى أنك تقضين ليلة أفضل مني.*

حسنًا، لست متأكدة من كيف أمضى «الظلام» ليلته، لكنّني على وشك الانهيار والنحيب فوق قبر في مقبرة خالية. لا بدّ أن أعرض عليه فرصة إخباري عن ليلته كيف جرت.

كفكفت دموعي وأخرجت هاتفي من حقيبتي. ثمّ فتحت رسالته وشرعت في الكتابة.

تساقطت قطرات مطرٍ على الشاشة، ما جعل الحروف تبدو منحرفة. ثمّ راحت المزيد من القطرات تضرب كتفيّ العاريتين. فارتجفت مرة أخرى، ومسحت الهاتف بفستاني، وحاولت الكتابة مجدّدًا.

ضرب الرعد وانفتحت السماء، وبدأ البرد يهطل من الظلام.

صرخت وركضت، حاملة حقيبة يدي فوق رأسي كأنّ بإمكانها أن تقيني من أي شيء. ثمّ تحسّست مفاتيح سيارتي، فوقعت في العشب كأنّ هذا ما كان ينقصني. وفي الوقت الذي عثرت عليها وأمسكتها بيدي، كان ثوبي مبللًا بالكامل، وشعري ملتصقًا برقبتي.

وهنا اعتقدت أنّني كنت أتجمد من قبل. لكنّني صرت أرتعش

بعنف لدرجة أنّ الأمر استغرق ثلاث محاولات لإدخال المفاتيح في منفذ الإشعال.

ثمّ أبت السيارة الاشتغال.

تذكرت ديكلان مورفي حين قال لي أن أستبدل البطارية، وهو الأمر الذي لم أفعله قط. وأكره حقيقة أنّه كان على حق، *أكره* هذا جدًّا. وفجأة، بدأت جولة جديدة من الدموع تحرق عيني. إذا اتصلت بوالدي وأخبرته بأنّني عالقة في المقبرة بينما من المفترض أن أقضي الليلة في منزل روان، فسيصاب بجلطة.

لقد كان سعيدًا جدًّا لأنّني سأذهب إلى الحفل الراقص، وتخيّلت كيف ستتحطم سعادته.

ارتعشت أنفاسي.

تمالكي نفسك جولييت، قلت لنفسي. فكري.

تذكّرت كيف قام ديكلان بإيقاف كل شيء قبل إعادة تشغيل المحرك، ربّما سيساعد ذلك. نقرت على كل قرص رأيته، وأطفأت كل شيء. ثم أدخلت المفتاح وحاولت تشغيلها مرة أخرى.

انبعث من السيّارة صوت مثير للشفقة، ولكنّها اشتغلت بعد ذلك. مرحى!

سبّب لي ترك التدفئة مطفأة ألمًا جسديًا، لكنّني كنت بحاجة إلى المصابيح الأمامية ومسّاحات الزجاج الأمامي، ولا أريد المخاطرة بأيّ شيء آخر يستنزف البطارية. فشغلت السيارة واتجهت نحو الطريق الرئيسي.

لا بدّ أنّ المطر قد أبقى الناس العاقلين في منازلهم الليلة، لأنّ معظم الطرق كانت خالية. استدرت إلى الطريق السريع ذي

المسارين الذي يخترق المدينة، وزدت السرعة بخفة إذ شعرت بحاجة إلى الحصول على بطانية قبل أن أخلع هذا الفستان. وأبقيت كلتا يدي على عجلة القيادة ورحت أتطلّع إلى الظلام.

انبعث صوت طقطقة مدوٍّ من تحت السيارة. فانحرفت السيارة جانبًا.

ضغطت على المكابح بشكل غريزي. وبدأت السيارة بالدوران. كان صرير المعدن على الإسفلت يكسر الصمت. وكان كل ما أراه هو الظلام، مع اختراق نور المصابيح الأمامية لمساحات من قطرات المطر اللامعة. وبطريقة ما رحت أتحرك بسرعة الضوء، لكن الوقت بدا يتباطأ.

أعجز عن التفكير. أعجز عن التفكير. أعجز عن التفكير.

ساعديني يا أمي.

ومن العدم، اعترض صوت مدربي في القيادة أفكاري. *انزلقي جانبًا* . فبذلت قصارى جهدي حتى أمنع اهتزاز العجلة جهة اليمين. وبدلًا من ذلك، تحركت يمينًا. فانحرفت السيارة واهتزت قبل أن تصل إلى جانب الطريق الآخر. فضغطت على المكابح أكثر حتى تتوقف السيارة.

كانت معجزة أنّني لم أبلل سروالي الداخلي. أمّا الفستان، فلم أكن أبالي. لم يحدث أن خفق قلبي بمثل هذه القوة. وقد ظلت يداي تمسكان بعجلة القيادة، بينما أسندت جبيني على الجلد. وكانت رائحة المطاط المحترق كثيفة في الهواء. ورحت أتنفس كمن ركضت في ماراثون.

كان الأدرينالين حليفًا عظيمًا: إذ لم أعد أشعر بالبرد على الإطلاق.

هل اصطدمت بشيء؟ ربّما غزال؟

أو ربّما بشيء أسوأ؟

استغرق الأمر منّي بعض الوقت لفك أصابعي عن عجلة القيادة. وشعرت بالخوف من النزول من السيارة إلى الظلام، لأرى بما اصطدمت.

أخيراً، فعلت. أطفأت المحرك ونزلت لتفقد الأضرار.

ولدهشتي، لم يكن هناك أي ضرر في الواجهة الأمامية للسيارة.

باستثناء حقيقة أن إطار سيارتي الأيسر قد اختفى بالكامل. وقد استقرت الحافة الفولاذية اللامعة على الرصيف. كيف اختفى *الإطار* برمته؟ هل يمكن لهذا النوع من الأشياء أن يحدث؟

صعدت إلى السيارة وبحثت عن هاتفي. فحتّى لو كنت أجيد تغيير إطار السيارة -وهو ما لا أجيده- لا يمكنني فعل ذلك في فستان بلا أكمام على جانب الطريق في أثناء عاصفة رعدية. لكن، على الأقل صرت بعيدة الآن عن المقبرة، وأستطيع أن أخبر والدي أنّني كنت في طريقي إلى المنزل من الحفل الراقص.

حسنًا، يمكنني أن أقول له هذا إذا رد على الهاتف. لكنّ الهاتف رنّ ورنّ ثمّ أحالني إلى البريد الصوتي، لمرتين.

نظرت إلى الساعة مرة أخرى لقد تجاوزت العاشرة، وكان يتوقع منّي أن أقضي الليلة عند روان. لذا، فعلى الأرجح أنّه نام باكرًا.

حاولت مرة ثالثة، لكن لا رد.

بعد ذلك، حاولت الاتصال بروان، لكن أحيل اتصالي مباشرة

إلى البريد الصوتي. فأرسلت لها رسالة نصية، لكنها لم ترد على الفور. من المحتمل أنّها عادت إلى حلبة الرقص، تغازل براندون.

ربّما يمكنني إعادة تشغيل السيارة لأحظى على الأقل ببعض الحرارة. فلم أعد بحاجة إلى مسّاحات الزجاج ولا مصابيح أمامية بعد أن تقطعت السبل بي هنا.

أبت السيارة أن تشتغل مرة أخرى، مهما فعلت.

هذا سيّئ.

نظرت إلى هاتفي مرة أخرى. ثمّ نقرت على تطبيق فريميل.

هناك رسالته.

هل تعتقد أنك تُمضي ليلة سيئة؟ فكرت في نفسي. *إذًا حاول مجاراة هذا.*

الفصل الثاني والعشرون

من: فتاة المقبرة <cemeterygirl@freemail.com>

إلى: الظلام <TheDark@freemail.com>

التاريخ: الجمعة، 4 أكتوبر الساعة: 10:22:03 مساءً

الموضوع: رفع الرهان

إليك ملخص أمسيتي:

لقد بدأت الليلة أن وجدت نفسي في مواجهة أكثر شخص فظاظة ووقاحة أعرفه، وبطريقة ما خرجت من المواجهة كأنني الشخص السيئ.

بعد ذلك، انهرت بالبكاء في حضن أعز صديقاتي لأنني اعتقدت أن والدتي قد تشعر بخيبة أمل لأنني أقوم بفعل شيء سخيف وتافه مثل الذهاب إلى حفل راقص بينما هناك أشياء أكثر أهمية في العالم.

بعد ذلك بقليل، أدركت أن الذي خرجت معه في موعد كان أكثر اهتمامًا بصديقتي المفضلة منّي (وأنا لا أمانع هذا لأنني سأكون أكثر اهتمامًا بمواعدة قطعة خشبية من مواعدته، ولكن يبقى لهذا بعض التأثير)، لذلك تركتهما على حلبة الرقص وانزويت إلى الظل.

والآن؟ أجلس على جانب الطريق في سيارة ترفض أن تشتغل.

أنا مبللة.

أتجمد.

فقدت إطارًا من إطارات السيارة.

أبي لا يرد على هاتفه.

ولا أعرف ماذا أفعل.

هل يمكن لليلتك أن تُجاري ليلتي في السوء، أيّها الظلام.

اللعنة، كدت أن أوقع هاتفي.

نظرت إلى الوقت في رسالتها، لقد أرسلت هذا قبل خمس دقائق.

عدت إلى الشاشة الرئيسية للتطبيق. كانت هناك النقطة الخضراء الصغيرة مضاءةً بجانب اسمها.

لم أفكر حتى في الأمر، أرسلت لها على الدردشة.

الظلام: هل أنتِ بخير؟

فتاة المقبرة: يعتمد ذلك على مدى تعريفك لكلمة «بخير».

الظلام: بجدّية. هل أنتِ في مكان آمن؟ هل أنت بعيدة عن الطريق؟

فتاة المقبرة: أنا على جانب الطريق السريع. إنّها تمطر بغزارة، لكنّ مصابيحي الأمامية مضاءة.

الظلام: هل تجلسين في السيارة؟ رجاءً قولي أنّك لا تقفين على جانب الطريق.

فتاة المقبرة: أنا في السيارة، والأبواب مغلقة.

«من الذي تراسله؟»

رمقت ريف، وقد ظل يذكرني بحظر تجوالي عند الساعة الحادية عشرة طوال النصف الساعة الأخيرة. كنّا نسكن على بعد أقل من عشر دقائق، لذا لم يكن خطر التأخر واردًا. ومع ذلك، فقد كان ريف غريبًا فيما يتعلق بالقواعد، فكسرها يجعله متوترًا.

قلت له: «إنّها فتاة المقبرة».

«هل ما زالت هنا؟ ألهذا لم نغادر بعد؟»

«لا». ثمّ أريته رسالتها.

مكتبة
t.me/soramnqraa

قرأ كل شيء.

«هل ينبغي أن نتصل بشخص ما؟»

«من؟ أنا لا أعرف حتى من هي».

«يمكنك أن تسألها».

راحت أصابعي تحوم فوق الأزرار. لا أريد أن أسألها. أنا أحب إخفاء هوياتنا هذا. وما إن يعرف بعضنا بعضًا، سيضيع كل هذا.

كان ريف يراقبني، وربما استشعر ترددي.

قال بهدوء: «اسألها إذا كانت ترغب في مساعدتك».

الظلام: ما زلت في المدرسة. هل تريدين المساعدة؟ أستطيع أن آتي إليك.

ولوقت طويل، لم يحدث شيء. لم يأتِ أي رد، ولم تكن هناك حتى إشارة على أنّها تكتب.

ربّما توقف شخص بالفعل للمساعدة. وربّما اتصل بها والدها مرة أخرى.

ثمّ أومض هاتفي.

فتاة المقبرة: نعم. أرجوك ساعدني. أنا لا أعرف ما يجب عليّ القيام به.

***

كان المطر يتساقط بغزارة عبر الطريق. وصلت أنا وريف إلى السيارة نصف مبللين، وشعرت بالقطرات على جلدي كأنّها رقاقات الثلج. بمجرّد أن شغّلت المحرك رفعت حرارة التدفئة. كان هذا الطقس أحد أسوأ الأشياء في ولاية ماريلاند، إذ يمكن بعد يوم دافئ أن تهبّ عاصفة ممطرة، تليها درجات حرارة في الثلاثينيات.

«هل ترغب في الاتصال بآلان؟» سأل ريف.

أفضل حزّ معصمي على أن آتي فعلًا كهذا. قلت: «لماذا بحق الجحيم قد أرغب في الاتصال بآلان؟»

«بسبب حظر التجول الخاص بك».

«يا إلهي، ريف، هلّا استرخيت قليلًا؟ لن أفوّت حظر التجول. إنّها بالكاد العاشرة والنصف».

«هل تعتقد أنّ هناك أي فرصة في أن يكون الأمر مكيدة؟»

أشحت نظري عن الطريق لأنظر إليه. وفي الظلام كانت عيناه مقنعتين وجادتين.

قلت بصراحة: «لا أدري». ثمّ فكرت في الأمر مدة دقيقة، وأدرت الفكرة في رأسي لفحصها من جميع الزوايا. لقد كنت آخر شخص يمكن أن يعتبره أحدهم ذا شعبية، لكنّني لم أكن مكروهًا.

على الأقل لا أعتقد أنّني كذلك.

بعد لحظة، هززت كتفي، وقلت: «لا أعرف من سيفعل شيئًا كهذا أو لماذا قد يفعله».

«ليس لدى الأشخاص دائمًا أسباب منطقية لفعل ما يفعلونه». ثمّ صمت قبل أن يردف: «يجب أن تعرف ذلك أفضل من أيّ شخص آخر».

لم يكن لدي رد على ذلك.

كان محقًّا بالطبع.

«خائف؟» قلت ممازحًا، للتخفيف من وطأة المحادثة.

لكنّه لم ينجر، وردّ بجدّية: «بل مستعد».

انعطفنا نحو الطريق السريع، وهو طريق ذو مسارين، يمتد لأميال إلى غابة أنابوليس. وعلى الطريق، كانت المنازل قليلة ومتباعدة، وكان الحد الأقصى للسرعة مرتفعًا. لقد ذكرت في رسالتها أنّها قد فقدت إطارًا. فهل يعني هذا أن الإطار انفجر، أو أن أحدهم سرقه؟

اقتربنا من منعطفٍ، فرأيت سيارة متوقفة على جانب الطريق. وكانت شرائط المطاط متناثرة على الطريق محدثة مطبّات صغيرة تحت عجلاتي. رفعت قدمي عن دواسة الوقود استعدادًا للركن خلف سيارتها. واتخذ قلبي إيقاعًا متقطعًا في صدري.

كنت متحمّسًا، وشعرت بالرعب. أردت أن أرمي نفسي من سيارتي، وأقفز إلى سيارتها، وأقول لها: «أنتِ.. أنتِ من يفهمني».

بعد ذلك، كنت أريد أن أجلس معها في السيارة، ونتشارك الهواء ذاته، وأكون حاضرًا مع شخص آخر يفهم ما أشعر به.

ثمّ التقطت عيناي لون السيارة على جانب الطريق. وبدت اللوحة الجانبية ذات اللون الأصفر الساطع كمشعلٍ في مسار مصابيحي الأمامية.

توقف قلبي، تجمّد.

ترددت للحظة فقط تاركًا سيارتي تنحرف إلى الجانب.

ثم أعدت العجلة إلى مسار السيارات وغيّرت السرعة إلى الثالثة لتجاوز سيارتها المعطلة.

التفت ريف ونظر إليّ بعيون واسعة. «ما الذي تفعله؟»

بالكاد كنت أستطيع التحدث بسبب كتلة الجليد الجاثمة على صدري.

«أعود إلى المنزل».

«لماذا؟ ما الذي حدث؟»

«لقد كنت على حق، لقد كانت مكيدة».

«ماذا؟ من؟ كيف عرفت؟»

لم أردّ عليه. كان عليّ أن أركز على الطريق، وأن أتذكر أن صديقي الحميم جالس بجانبي، وإلّا لكنت دفعت سيارتي مباشرة نحو منحدر.

«ديك»، قال ريف بصوت هادئ. «كلّمني».

«هذه سيارتها».

تردّد: «بجانب. .؟»

ألقيت نظرة سريعة إليه وقلت: «إنّها سيارة جولييت يونغ. ألا تتذكر؟ لقد قمنا بتوصيل بطاريتها سابقًا».

«نعم، ولكن.. ما الذي يجعلك متأكدًا من أنّها سيارتها؟»

«لأنني نظرت إليها».

صمت مرة أخرى وراح يتفحصني، ثمّ قال: «أتعتقد حقًا أنّها تتلاعب بك؟»

«نعم، لا». مرّرت يدي عبر شعري، ثمّ لكمت عجلة القيادة. كدت أصرخ، وكنت أعلم أنّني بحاجة إلى السيطرة على مشاعري، خاصة إذا كنت سأواجه آلان في وقت قريب. أطبقت على أسناني وصررت على الكلمات. «لا أدري، ريف. أنا فقط.. لا أدري. انسَ الأمر».

أعلم أنّك فاشل ذو سوابق.

كل ما شعرت به كان مجرد وهم.. كل شيء.. جولييت يونغ لا تعرف أيّ شيء عني. إنّها ترى فيّ الشيء ذاته الذي يراه كل شخص، مجرّد فتى يقتل الوقت في انتظار أن يركب سيارة الشرطة، وحينها سيُقال له متى عليه أن ينام ومتى عليه أن يأكل.

شعرت بضيق شديد في حلقي، حتّى لا أكاد أقوى على الابتلاع. وراحت الحرارة تتصاعد في صدري، وتذيب كتلة الجليد. كان هذا يشبه الشعور بالغضب. كان يشبه الشعور بالغدر.

لا أصدق أنّني أخبرتها عن والدي. لا أصدق أنّني أخبرتها عن كيري.

حمدًا لله أنّنا أبقينا هويّاتنا مجهولة.

توقفت أمام منزل ريف مثل سائق سيارة أجرة غير صبور. لم أنظر إليه. لم أتحرك حتّى. أبقيت عينيّ مثبتتين على الزجاج الأمامي.

قال: «يمكننا العودة».

«لا». أجبت بصوت خشن.

«ديك. إنّها عالقة هناك. يمكن لأي شخص أن. . .»

«هذا أفضل لها».

«ولكن يجب أن نتصل. . .»

ملت برأسي نحوه لألقي نظرة إليه، وقلت: «ريف، هل ستخرج أم ماذا؟»

حدّق إليّ مرة أخرى. كان الحُكم في عينيه يقتلني. عدت بعيني إلى الظلام، وكانت أصابعي معقودة حول عجلة القيادة. «اخرج، ريف».

خرج، لكنه ظلّ واقفًا هناك ينظر إليّ.

«إلى أين تذهب؟» قال.

قلت: «إلى المنزل». مددت يدي وأمسكت بابه وصفقته. ثمّ أعدت تشغيل السيارة وانطلقت.

الفصل الثالث والعشرون

البريد الوارد: فتاة المقبرة

لا توجد رسائل جديدة.

حدثت بريدي الوارد مئة مرة على الأقل أو ربّما مئتين.

كان قد أخبرني بأنه كان في طريقه منذ عشرين دقيقة. ربّما كان بإمكاني *العودة سيرًا على الأقدام* إلى المدرسة خلال عشرين دقيقة. خفّ المطر قليلًا، وصار نقرات ثابتة على سطح السيارة. خفتت أضواء المصابيح الأمامية منذ بضع دقائق، ولا بدّ أن تكون هذه إشارة إلى أن البطارية توشك على الاستسلام. أطفأت المصابيح الأمامية، لكنّني تركت مصابيح الوقوف مضاءة. فآخر شيء قد أرغب فيه هو أن يصطدم بسيارتي المتوقفة فتى شبه ثمل لم يرني جالسة بداخلها. وقد كدت أصاب بنوبة هلع عندما انحرفت إحدى السيارات إلى جانب الطريق، ثمّ غيّرت من اتجاهها حولي وأسرعت مثل خفاش خرج من الجحيم.

بدأ ثوبي يجف، ولسبب ما جعلني هذا أبرد أكثر. وصرت أرتجف بشكل متقطع.

حاولت الاتصال بوالدي مرة أخرى، لكن لا رد.

حاولت الاتصال بروان مرة أخرى، ويمرّر الاتصال مباشرة إلى البريد الصوتي.

لا بدّ أن يكون شحن هاتفها قد نفد.

حدّقت في الشاشة، متمنّية أن يرسل لي «الظلام» رسالة، أو أي شيء. سأضطر إلى الاتصال برقم النجدة خلال دقيقة، فلا خيار آخر أمامي.

بقيت جالسة في سيارتي مدة نصف ساعة دون أن أفعل أي شيء لمساعدة نفسي. حاولت أن أتخيل ما كانت أمي لتفعله في هذه الحالة. ربّما كانت ستخرج تحت المطر وتلوّح لأحد ما. وربّما كان من الممكن أن ينتهي بها الأمر بالحصول على توصيلة من السفير في أستراليا، وكانت زوجته ستعرض عليها بطانية، وكانت والدتي ستُدعى لتناول العشاء في السفارة.

أمّا أنا، فكنت سأخرج وأبدأ بالتلويح لينتهي بي المطاف تحت إطارات أحمق ما. ورغمًا عني، غمرت الدموع عينيّ. وقبل أن أدرك ذلك، أجهشت بالبكاء بين يدي. ومدّتني العاطفة بالدفء من الداخل، لكن ليس على نحو جيّد. وراحت كتفاي ترتعشان من قوّة ذلك، دون أن أحاول إيقافهما. لماذا أهتم؟ لا يوجد أحد هنا ليرى.

وفجأةً، سمعت براجم تنقر على نافذتي.

شهقت وأنزلت يديّ. كان هناك رجل يقف بجانب سيارتي تحت المطر.

إنّه هنا! أوه، إنّه هنا! مسحت وجهي. وشعرت بقلبي يطفر ويثب ويقفز.

ولكن بعد ذلك أدركت عيناي ما تريانه. حيث كانت المصابيح الأمامية خلفنا تضيء نصف وجهه وتُلقي بضوئها على سيارتي.

لم يكن الظلام. كان ديكلان مورفي.

كأنّ ليلتي لم تفسد بما فيه الكفاية.

«هل تعطلت سيارتك؟» قال بصوت عالٍ.

لا، أنا بخير، أردت أن أصرخ عليه. *اذهب واتركني هنا*.

وبدل ذلك، ضغطت على الزر لأفتح النافذة، لكنّ المحرّك أصدر صوتًا ضئيلًا وحزينًا، ثمّ لم يحدث شيء. وكان لا بدّ لي من فتح قفل الباب يدويًا لفتحها.

تراجع ليعطيني مساحة، ثم أمسك الباب بيد واحدة، فتدفق الهواء البارد إلى السيارة.

ثمّ قال: «هل انفجر إطار سيارتك؟ لقد رأيت المطاط متناثرًا عبر الطريق».

فأجبت: «لقد اِ- اِ- اتصلت مسبقًا بأحدٍ ما». وكرهت كيف عجزت عن التحكم في هذا الارتعاش. ثمّ لففت ذراعي حول خصري، وأضفت: «سيكون هنا في أيّ دقيقة».

كانت عيناه داكنتين وغامضتين، وقال: «إذن أنت لا تريدين أي مساعدة؟»

«لا». وسحبت نفسًا مرتعشًا عبر أسناني. «أنا بخير».

تفحصني لفترة طويلة، واقفًا هناك تحت المطر، وعيناه باردتان كالثلج كما كانتا خلف المدرسة.

ثمّ قال أخيرًا: «كما تشائين». وأغلق بابي وقفل راجعًا.

لم أكن أصدق أنّ خياراتي هي الجلوس هنا طوال الليل أو طلب المساعدة من ديكلان.

كان على وشك العودة إلى سيارته.

يمكنني رؤيته في مرآتي الخلفية.

اللعنة.

فتحت بابي وخرجت من السيارة.

«انتظر!»

توقف ونظر إليّ عبر عشرين قدمًا من المطر والظلام.

لم يكن قد فتح بابه بعد، وكان في مقابلتي تمامًا. هل كان سيعود إلى سيارتي؟ وأربكتني هذه الفكرة.

وقفنا هناك يحدّق بعضنا إلى بعض. وكان المطر يتسرب داخل ثوبي.

«هل انتهت بطاريتك؟» قال أخيرًا.

أومأت. «نعم». ثمّ تردّدت قبل أن أضيف: «لم أستبدلها».

«هذا صادم». ثمّ هز رأسه نحو سيارته وقال: «تعالي واجلسي في سيارتي لتسخني».

كنت في منتصف الطريق إلى سيارته عندما أدركت أنّ هذا قد يكون خدعة. فعبارة «*لتسخني*» تحمل أسوأ أنواع التورية.

تباطأت خطواتي حين بدأ مفعول غرائزي يعمل، لكنّ الجو كان باردًا جدًا في الخارج لدرجة أنّ الجزء الأكبر مني لم يكن يهتم بهذه التورية إطلاقًا.

كانت سيارته سوداء أو رمادية اللون، لا أستطيع تمييز هذا، إذ لم تكن تلمع على الإطلاق، ما جعلني أتساءل إن كانت مغطاة بنوع من الطلاء غير اللامع، أو أنّها في حاجة ماسة إلى طلاء. ومن خلال ما يمكنني رؤيته من الهيكل، فهي مركبة قديمة. ويفضي غطاء المحرك الطويل المسطح إلى هيكل ببابين وصندوق سيارة صغير. وحين ارتميت في مقعد الراكب تأكّد لي قِدمها، على

الرغم من أنّ المقصورة كانت في حالة أفضل مع مقاعد جلدية عريضة جدًّا لتكون حديثة ودون مساند للرأس. وكانت بها ذراع لنقل السرعات مع راديو قديم ذي أزرار فضية وأرقام بيضاء كبيرة. أمّا النوافذ فكانت بمقابض تدوير.

كنت أتوقع أن تنبعث من السيارة رائحة العفن مثل رغوة بطانة متعفنة والكثير من أعقاب السجائر، لكن لا بدّ أنه لم يكن يدخن هنا. وبدل ذلك، كانت تنبعث منها رائحة الجلد القديم مع عبق خافت لنوع من ماركات الكولونيا الرجالية.

انزلق ديكلان في مقعد السائق وبدأ بتشغيل المحرك. فانبعثت في السيّارة الحياة، ثمّ راح يضغط على بعض الأزرار، لتطلق فتحات التهوية المركزية دفأها عليّ فورًا.

جلست ملتصقة بالباب قدر الإمكان، لكن عندما شعرت بالحرارة، تقدمت قليلًا وضغطت يدي على الفتحات.

تحرك ديكلان نحوي، ومدّ يده نحو يدي. فارتجفت وسحبت يدي نحو بطني، وتراجعت في المقعد.

رمقني بنظرة، ثم أنهى حركته بأن أدار قرصًا لفتح فتحة التهوية الأقرب إلى الباب، وقال: «هذه الفتحة تعلق».

أوه.

بقيت أنتظر عودته إلى مساحته قبل أن أضع يدي على الفتحات مرة أخرى. جلسنا في صمت وقتًا طويلًا، نستمع إلى طنطنة المحرك، يخنقها همس الهواء المنبعث عبر الفتحات.

«هل أنتِ خائفة منيّ؟» سألني فجأة. لم أستطع قراءة صوته ولم أكن متأكدة من كيفية الرد عليه. لقد جعلني سؤاله أشعر

بالسخافة، لكنّه بدا أنّه بدافع الفضول حقًّا وليس بدافع الغرور.

استرقت نظرة إليه. لم يتحرك منذ فتح فتحات التهوية، ثمّ تراجع أخيرًا ليستند إلى ظهر المقعد، ولم يكن يضيء وجهَه سوى أضواءُ لوحة العدادات.

تنحنحت قبل أن أتلفظ بأيّ شيء. «إذا قلتُ نعم، فهل ستستخدم هذا ضدي؟»

«لا». كان صوته ثابتًا، ويكاد يكون متحدّيًا.

نظرت إليه، وقلت: «إذًا نعم، بعض الشيء».

ملأت مصابيح أمامية السيارة، لسيارة كانت تقترب من خلفنا، فالتفت في المقعد للنظر. لم تخفف السيارة سرعتها حتّى، واجتازتنا عبر الطريق السريع.

تنهدت وفركت ذراعي، ثمّ وضعت يديّ على الفتحات مرة أخرى.

حينها حرّك ديكلان قرص التحكم بالحرارة إلى أقصى اليمين. «كم من الوقت كنت تنتظرين هنا؟»

«لا أعرف، لفترة».

«لماذا أنت مبتلة بالكامل؟ هل حاولت تغيير الإطار؟»

أطلقت زفرة، وقلت: «لا أعرف كيف أفعل ذلك، كنت أحاول فقط معرفة ما حدث».

«من مظهر إطاراتك، أنت محظوظة لأنّها لم تنفجر جميعها معًا».

«لا بدّ أنّك تمزح، لقد كنت مشغولة جدًّا في حفظ أحدث نسخة من مجلة السيارات قبل الحضور إلى حفل العودة».

بـدا منشـرح الصـدر. ثـمّ قـال: «أنـا أتحـدث عـن أساسـيات الصيانـة. وأنـت مـن تقطعـت بهـا السـبل علـى جانـب الطريـق. أخشـى أن أسـألك إن حـدث وتكبـدتِ يومًـا عنـاء تغييـر الزيـت فـي هـذا الشـيء».

تجهّمـت لكنّـه كان علـى حـق. لا أعتقـد أنّنـي قـد غيّـرت الزيـت مـن قبـل. ومـرّة أخـرى، تمـلأ مصابيـح أماميـة السـيارة، مـددت عنقـي لأرى. كانـت سـيارة أخـرى اجتازتنـا مسـرعة.

حـدّق ديـكلان عبـر الزجـاج الأمامـي، وقـال: «مـا نـوع السـيارة التـي ننتظرهـا؟»

تـردّدت قبـل أن أردّ: «إنّـه صديـق مـن المدرسـة، لا أعـرف نـوع السـيارة التـي يقودهـا».

توقعـت أن يصعّـب ديـكلان علـيّ الأمـر، لكنـه لـم يفعـل. بـدا فكـه ثابتًـا، واسـتمر فـي التحديـق مـن النافـذة.

حركـت إصبعـي علـى شاشـة هاتفـي، علـى أمـل أن يرسـل لـي الظـلام رسـالة.

لم يرسل شيئًا. وتنهدت.

«ممَّ أنتِ خائفة؟»

نظـرت إلـى ديـكلان، لكنّـه مـا زال يحـدق إلـى المطـر. وكان صوتـه قـد هـدأ، ولـم يعـد يحمـل نصـف التهديـد الـذي كان عليـه مـن قبـل.

قلت: «لا أدري».

رمقني بنظرة تكشف عن بصيص من الحكم الجليدي.

«كاذبة».

كان هـذا غريبًـا جـدًّا. إذ لـم يكـن غاضبًـا جـدًّا كمـا كان فـي الساحة خلـف المدرسـة، لكنّنـي لـم أكـن متأكـدة ممّـا ينبغـي فعلـه إزاء هـذا النـوع مـن الاسـتجواب.

سحبت يدي بعيدًا عن الفتحات وطويت ذراعي على بطني.

«لا تمتلك أفضل سمعة، ولا يمكن أن يفاجئك هذا».

«أوه حقًّا؟ أخبريني عن *سمعتي*».

تـردّدت، إذ لـم أكـن أعـرف مـا أقـول. فـكل مـا أعرفـه هـو مـا قالـه لـي براندون بالإضافة إلـى الشـائعات، لكنّنـي لا أعـرف مـا هـو الصحيـح حقًّـا. ليـس تمامًـا. «لديـك سـجل إجرامـي».

«ومـاذا فـي ذلـك؟» نظـر إلـيّ، وأضـاف: «ليـس لهـذا أيّ علاقـة بـك».

ابتلعـت ريقـي، وأجبـت: «قـال براندون إنّـك انتشـيت وسـرقت سـيارة ثـم حطمتهـا». توقفـت قليـلًا قبـل أن أتابـع: «ودخلـت فـي شـجارات فـي المدرسـة». ولمـرة أخـرى توقفـت، والتقـت عينـاي بعينيـه، وقلـت: «أنـت مسـتفز جـدًّا».

«أنا *مستفز*؟»

لـم يبـدِ اهتمامًـا باتهامـه بسـرقة السـيارات أو الدخـول فـي الشـجارات، لكـنّ وصفـه *بالمستفز* قـد أثـار لديـه رد فعـل. «ربّمـا لا تتذكـر كيـف وقفـت فـي وجهـي وأمرتنـي بحـذف صـورة غبيـة».

ارتفـع حاجبـاه، وردّ: «ربمـا لا تتذكريـن كيـف اتهمتنـي بأنّني أنـوي صـب الكحـول فـي وعـاء البنـش».

توهجـت وجنتـاي، وكان علـيّ أن أشـيح نظـري. «أنـت علـى حـق، أنـا آسـفة. مـا كان ينبغـي أن أقـول ذلـك».

«ليس الأمر كما لو كنت الأولى». لم تتغير نبرة صوته، لكنّه نقر على أحد المقابض في لوحة القياس بقوة شديدة. «هل تعرفين ما المزعج؟ إذا تهجّمتِ على شخص ضعيف في المدرسة، فسينتهي بكِ الأمر مفصولة».

«وهل يعدّ هذا أمرًا سيئًا؟»

«لا، لكن يمكن للناس أن يقولوا ما يشاؤون لشخص ذي *سمعة*، دون أن يهتم أحد. بل على العكس من ذلك، إنّهم *يشجعونه*».

كان على حق. وكما حدث في صالة الألعاب الرياضية، راح الشعور بالذنب يخدش حواسي. «أنت لا تفعل الكثير لتساعد نفسك. هل فكرت يومًا في أن *تطلب* مني حذف الصورة؟ أو ألا تدعو براندون بالحثالة؟»

حدّق ديكلان إلى وجهي، وقال: «هل تعتقدين أنّه فكّر حتّى في الكلام الذي قاله عني؟»

لا، ربّما لم يفعل. لا أعرف ما أقوله.

جلسنا هناك في صمت، نستمع إلى المطر يهز السقف.

وأخيرًا أشاح ديكلان بنظره، وسأل: «هل هذا ما يعتقده الناس؟ أنّني انتشيت وسرقت سيارة؟»

«ألم تفعل؟»

هزّ رأسه، دون أن ينظر إليّ. «كنت ثملًا، لم أكن منتشيًا».

قال هذا كأن لهذا أن يحدث فرقًا كبيرًا.

«أهذا كلّ ما في الأمر؟»

«لا». ثمّ توقف، قبل أن يتابع: «لم أسرق السيارة حقًا، لكنّ زوج والدتي الأحمق وجّه التهمة إليّ على أيّ حال».

«هل كانت سيارته؟»

«لا، بل كانت شاحنة والدي».

«لماذا فعلت. . .»

«هل يهم؟» نظر ديكلان من النافذة الخلفية بشيء من الاضطراب.

«إلى متى سننتظر هذا الفتى؟»

أربكني الانحراف المفاجئ للحديث. «آه. . . لا أدري».

«أعطني مفاتيحك».

«ماذا؟»

«أعطني مفاتيحك، سأغيّر إطار سيارتك في أثناء انتظارنا». بحثت في حقيبتي وسحبت حفنة من المفاتيح. «أنت ذاهب إلى. . .»

«ابقي في السيارة».

أمسك المفاتيح وأخرجها من بين أصابعي. ثمّ أغلق الباب في وجهي.

راقبته عبر ضوء مصابيحه، في حيرة. فتح صندوق السيارة، وبعد لحظات أخرج الإطار الاحتياطي. ووضعه بجانب السيارة، ثم سحب شيئًا آخر من ذلك الفضاء المظلم. لم يسبق لي أن غيّرت الإطار، لذلك ليس لدي أيّ فكرة عما يفعله. لكن تحركاته كانت سريعة وفعّالة، بما يكفي.

ينبغي ألا أجلس هنا فقط أشاهده، لكن ما باليد حيلة. كان هناك شيء لا يقاوم بشأنه. لقد مرّت العشرات من السيارات، لكنّه كان الوحيد الذي توقف لي وها هو يساعدني على الرغم من حقيقة أنّني كنت أقل منه لطفًا طوال الليل.

انحنى على الرصيف المبلل تحت المطر ومرّر شيئًا ما تحت السيارة. وأبعد بيده الشعر المبلل عن وجهه.

لا أستطيع الجلوس هنا ومشاهدته وهو يفعل هذا.

لم ينظر إليّ عندما اقتربت. «لقد أخبرتك أن تنتظري في السيارة».

«إذن أنت واحد من هؤلاء الفتيان الذين يعتقدون أنّ «السيّدة الصغيرة» يجب أن تنتظر في السيارة؟»

«إذا لم تعرف السيّدة الصغيرة أنّ إطاراتها جرداء وأنّ بطاريتها بالكاد يمكنها أن تشغّل ساعة توقيت؟» ثمّ راح يثبّت قضيبًا فولاذيًا بـ. . . شيء ما. . . وبدأ في لفّه. «فأجل. أنا واحد منهم».

انتكصت كبريائي. «إذًا ماذا تقول؟» سألت، متظاهرة بالجدية. «ألا تحتاج إلى مساعدتي؟»

ارتسمت على وجهه ابتسامة حزينة وقال: «أنت مضحكة نوعًا ما عندما لا تكونين مشغولة بإصدار الأحكام».

«أنت محظوظ لأنني لن أركلك وأنت جاثٍ هكذا».

فقدت ملامحه الابتسامة لكنّه أبقى عينيه على كل ما يفعله. «جرّبي ذلك، يا أختاه».

شعرت بالإغراء. فقد كانت هذه المشاحنات مبهجة إلى حد ما. كانت هذه المرة الأولى منذ شهور التي أتفاعل فيها مع شخص، دون أن يبدو أنّ هذا يحدث من خلال الضباب.

وبدل ذلك سألته: «لماذا أردت منّي حذف الصورة؟»

اصطدم الشيء الذي كان يلفّه بمعدن السيارة محدثًا صوت *ارتطام* مكتوم، وتوقف. ثمّ رفع نظره إليّ، وقال: «هل فراملك تعمل؟»

«امم..»

«اذهبي، وتحققي منها».

ذهبت وتحققت منها. لم تكن تعمل.

سحبت المقبض، ثمّ عدت إلى الخارج تحت المطر. وكان حينها يستخدم القضيب لفك البراغي التي تثبّت العجلة بالسيارة.

قال: «شكرًا». وكان صوته شديد التوتر.

انتظرت المزيد، لكن كان هذا كل شيء. ولم يجب عن سؤالي.

«هل تعمدت عدم الرد عليّ؟»

أومأ.

«ألا تحتاج إلى رفع السيارة قبل أن تتمكن من سحب عجلة؟»

«يجب أن تُرخى أولاً، وإلّا فإن سحبها يمكن أن يدفعها بعيدًا عن المرفاع».

«ولا بدّ أن يكون هذا شيئًا سيّئًا».

«نعم. سيكون ذلك سيّئًا». انتصبت عضلات ساعديه من الجهد، وأزاح الشعر المبلل عن وجهه مرة أخرى. ثمّ أوصل القضيب بالجسم المعدني أسفل السيارة واستمر في لفّه.

«هل *هذه* رافعة؟» سألت، وأنا أشعر بالحماقة.

نظر إليّ، وقد جعلتني تعابيره أتمنى لو كنت انتظرت في السيارة.

ثمّ انتظرت حتّى عاد إلى العمل بالرافعة وسألته: «ماذا سنفعل بشأن البطارية؟»

«سـأرى إن كان بإمكانـي توصيلهـا مـرة أخـرى. ثـم سـأتبعك إلـى المنـزل. وبعـد ذلـك ستحصلين علـى واحـدة جديـدة غـدًا». ثـمّ حـدّق إلـيّ وقـال: «مفهـوم؟»

أومأتُ بسرعة: «مفهوم».

كان كل شـيء فيـه غيـر متوقـع. فأحيانًـا يكـون انفعاليًـا جـدًا، ليذهلنـي بعـد ذلـك بكلمـات أقـرب إلـى الاهتمـام علـى نحـو خطيـر.

رحـت أراقبـه فـي صمـت، حتـى رفـع العجلـة القديمة ووضـع الغيار فـي مكانـه. لـم تمـر أيّ سـيارات منـذ فتـرة، وسـاد هـدوء شـديد هنـا مـع همـس خافـت للمطـر الخفيـف علـى الأشـجار.

«هل قمتِ بحذفها؟» سـأل بصوت منخفض.

تـردّدت قليـلًا، إذ لـم أرغـب فـي أن أكـذب عليـه، لكنّنـي خشـيت ردة فعلـه. «لا».

لم يبعد نظره عمّا كان يفعله. «لمَ لا؟»

«لأنّك كنت وغدًا عندما طلبت مني ذلك».

ضحـك ضحكـة خافتـة بهـدوء، ثـم قـال بصـوت رصيـن: «لـم يكـن ذلـك لأجلـي».

«ما الذي تقصده؟»

نـزع حبـة جـوز أو برغيًـا أو شـيئًا مـا مـن الرصيـف ثـمّ نظـر إلـيّ، وقـال: «لـم أطلـب منـك حذفهـا لأجلـي، لقـد كان ذلـك لأجـل ريـف».

«إذن لمَ لم يطلب هو منّي حذفها؟»

«ريف ليس من هذا النوع».

لا، هـو ليـس مـن ذاك النـوع. صحيـح أنّنـي بالـكاد أعـرف ريـف فليتشـر، لكـن يمكننـي القـول إنّـه ليـس مـن النـوع الـذي قـد يطلـب

الكثير من أي شخص. وبعد أن فكرت في الأمر، وجدت أنّ ديكلان مورفي، أيضًا ليس من هذا النوع. وقد أقلق ضميري إدراك هذا الأمر، وجعلني أرغب في العودة إلى المدرسة في هذه اللحظة وحذف الصور من بطاقة ذاكرة كاميرا السيد جيراردي.

«ألا يحب ريف أن تُلتقط صور له؟»

«أجل، وإذا نظرتِ في الكتب السنوية القديمة، فستلاحظين أنّه لا يمتلك أيّ صورة في أي منها».

طرفت عيني. «حقًّا؟»

«أجل، حقًا».

«لماذا؟»

كانت يدا ديكلان تتحركان بثبات، لكنّه أبقى عينيه على العجلة.

«لأنّ والده اعتاد أن يؤذيه ثمّ يلتقط صورًا له».

كان هذا أبعد ممّا خطر لي حتّى أنني أوشكت على إبداء ردة فعل متأخرة. لا أعرف حتّى إن كان خيالي يستحضر صورًا أفضل أم أسوأ عمّا حدث لصديقه حقًا. أردت معرفة المزيد عن الأمر لكنّني كنت حائرة. ولم أكن متأكدة مما عليّ قوله. «لماذا؟» همست.

«لأنّه كان وغدًا ساديًا. وإذا سألت ريف عن الأمر، فسيخبرك أنّه سعيد بحدوث ذلك، لأنّه بهذا كان هناك سجل موثّق لكل ما فعله به».

التف الرعد فوقنا، فتوقعت أن يعاود المطر الهطول، لكنّ هذا لم يحدث. «كان.. سعيدًا؟»

هـز ديكلان رأسـه. «لا أقصـد أنّ لديـه ألبـوم ذكريـات. لكـن حيـن أُبعـد ريـف عـن والـده، لـم تعـد هنـاك أيّ فرصـة لأن يعـود إليـه». ثـمّ شـرع فـي لـف البراغـي لإعـادة تثبيتهـا فـي مكانهـا، وتابـع: «لا يـزال ريـف لا يحـب التقـاط صـور لـه».

ابتلعـت ريقـي، وشـعرت بضيـق فـي حلقـي. لقـد اسـتولى علـيّ الشـعور بالخـزي، ويبـدو أنّـه سـيلازمني لوقـت طويـل. «مـا سـيكون شـعوره حيـال إخبـارك لـي بهـذا الأمـر؟»

«عاديًـا». ثـمّ نظـر مباشـرة إلـى عينـيّ، وأضـاف: «سـيعرف ريـف أنّنـي أخبرتـك لسـبب مـا».

سَرَت رعشـة في جسـدي، وقلت: «لن أثرثر حيال الأمر».

«أعلم أنّـك لـن تفعلـي». قـال وقـد فقـد صوتـه أيّ أثـر للحـدة. ثـمّ شـرع فـي إنـزال الرافعـة، وأنـا أراقبـه.

أعلـم أنـك لـن تفعلـي. كان فـي هـذه الكلمـات ثقـةٌ، وليـس هـذا بالشـيء الـذي كنـت أتوقـع أن أسـمعه منـه.

رمـى إلـيّ بالمفاتيـح، وقـال: «سـأقوم بسـحب سـيارتي أمـام سـيارتك وأوصـل البطاريتيـن. لا تحاولـي تشـغيلها حتـى أطلـب منـك ذلـك، مفهـوم؟»

«مفهـوم». تـردّدت، وشـددت قبضتـي علـى المفاتيـح حتـى تركـت أثـرًا علـى راحـة يـدي. «شـكرًا».

اشـتعلت سـيارتي فـور توصيلهـا ببطاريتـه. ثـمّ جلـس فـي سـيارته وجلسـت أنـا فـي سـيارتي، ومـا أدهشـني أن جـزءًا صغيـرًا منـي كان يتمنـى ألّا تنتهـي محادثتنـا فـي ذلـك الوقـت. شـعرت بأنّـه مـا زال هنـاك الكثيـر لأقولـه وهـو أمـر سـخيف لأنّنـي لـم أكـن أعرفـه علـى الإطـلاق.

بعد بضع دقائق، فك كابلات التوصيل وجاء إلى نافذتي ليسأل: «هل أنت بخير لتقودي؟»

فأومأت.

ثمّ أضاف: «لم أكن أمزح بشأن البطارية».

شعرت بفمي جافًا، وقلت: «أعلم».

«حسنًا. سأرافقك إلى المنزل». ودون أن ينتظر ردًّا، استدار وعاد إلى سيارته.

قدت السيارة بحذر، وكنت سعيدة برؤية ضوء مصابيحه الأمامية على نافذتي الخلفية. لقد تجاوزت الساعة الحادية عشرة الآن. ولم تكن لدي أيّ فكرة عمّا حدث في نصف الساعة الماضية، لكنّني شعرت بأنّني غير متوازنة تمامًا. وعدت بذاكرتي إلى مواجهتنا حول الصورة. وحينها بدا تردّد ريف منطقيًا، وكذلك صراخ ديكلان حول حذفها.

وبدت إهانات براندون أكثر وقاحة. لقد كان ديكلان محقًّا، كيف أنّ تلفّظه ببعض الأشياء لا يعدّ سوى إساءة كبرى، لكن في المقابل، كيف يمكن لأي أحد هدم شخص مثله دون القلق بشأن التداعيات. وتذكرت تلك اللحظة الأولى في الردهة، عندما اصطدمت أنا به وسكبت قهوته، لكنّه كان هو الشخص الذي أُرسل إلى الحجز. فحتى المدرسون كانوا يتوقعون منه الأسوأ. وأعلم أنّني أنا أيضًا فعلت ذلك. ولو طُلب مني تسمية الفتيان من المدرسة الذين سينزلون من سياراتهم تحت المطر لتغيير إطار سيارة فتاة، فإن اسم ديكلان لم يكن ليرد ضمن القائمة.

لكن الليلة، كان هو الشخص الوحيد الذي توقف.

وفجـأة رغبـت فـي أن أعتـذر عـن الطريقـة التـي جـرت بهـا جميـع مواجهاتنـا. صحيـح أنّ سـوء التفاهـم لـم يكـن خطئـي بالكامـل، لكننـي أعتقـد أنّـه يعـرف ذلـك أيضًـا. كان فقـط حَـذِرًا مثلـي. وبإمكانـي أن أتخفـف قليـلًا مـن دروعـي، لا سـيما أنـه منحنـي درجـة صغيـرة مـن الثقـة، دون أن يطلـب أيّ شـيء فـي المقابـل. وكان هـذا شـيئًا غيـر متوقـع أبـدًا.

ثمّ تذكرت أنّه من المفترض أن أقوم بما هو غير متوقع أيضًا.

أنـا آسـفة، كنـت سـأقول حيـن نصـل إلـى منزلـي. *ربّمـا يمكننـا البـدء مـن جديـد.*

دخلـت إلـى مدخـل السـيارة أمـام منزلـي وألقيـت نظـرة سـريعة إلـى مـرآة الرؤيـة الخلفيـة، متوقعـة منـه أن يتوقـف وينتظـر أن أخـرج.

لكنه لم يفعل. لم يبطئ حتى. وتضاءل ديكلان في الليل.

الفصل الرابع والعشرون

من: فتاة المقبرة <cemeterygirl@freemail.com>
إلى: الظلام <TheDark@freemail.com>
التاريخ: الجمعة، 4 أكتوبر الساعة 11:32:53 مساءً
الموضوع: المنزل

أردت أن أخبرك بأنني وصلت إلى المنزل بأمان. أتمنى أن تكون بخير.

كان المنزل مظلمًا على العموم، الأمر الذي فاجأني. كنت أتوقع إلى حد ما أن أجد آلان ينتظرني لينهال عليّ بالصراخ والتهديدات بشأن حظر التجول ومركز شلتنهام وكيف أنني مجرّد وغد لا يجيد فعل شيء.

لكن لم يخرج أحد. أوقفت السيارة وجلست في صمت مدة دقيقة، لأعيد قراءة رسالتها.

كان ينبغي أن أخبرها.

والآن، لم تعد لدي أيّ فكرة عن كيفية حل هذا.

حين طرقت نافذة سيارة جولييت، اعتقدت أنّها ستكتشف الأمر على الفور. وكنت أتوقع منها أن تنفجر غاضبة تمامًا مثلما شعرت أنا حين اكتشفت بأنّها هي فتاة المقبرة.

لكنّني لم أكن أتوقع أن أجدها تبكي بين يديها.

وحتّى اللحظة، ما زال هذا يسحب شيئًا في داخلي، وظلّ عقلي يكافح للتوفيق بين الفتاة في رسائلي والفتاة التي سخرت مني بشأن التدخين واتهمتني بالإقدام على وضع الكحول في مشروب البنش.

من الأفضل أن تعودي إلى حلبة الرقص، أيّتها الأميرة. لن يرضيك أن يراك أحدهم تتسكعين مع الفاشلين.

جعلني تذكر كلامي أجفل. فقد كان الذهاب إلى هذه الحفلة يعني شيئًا لها.

ومن ثمّ، أفسدت كل ذلك.

أصدر هاتفي صوتًا، فقفزت، منتظرًا رسالة من فتاة المقبرة.

جولييت، فكرت. لا بدّ أن أتذكر أنّها لم تعد فتاة مجهولة بعد الآن. إنّها جولييت.

في كلتا الحالتين، لم تكن الرسالة منها، بل كانت رسالة من ريف.

ر.ف: هل عدت وساعدتها؟

د.م: نعم

ر.ف: كنت متيقنًا من ذلك.

أطفأت الهاتف ودفعته في جيبي. سيظل يرسل المزيد من الرسائل حتّى يسحب مني القصة كاملة، ولكنّني كنت بحاجة إلى بعض الوقت لتحليلها بنفسي.

بدا المنزل هادئًا جدًا، وتساءلت إن كان آلان ينتظر في الداخل لينهال عليّ. وشدّني القلق إلى عجلة القيادة. إذا أراد الخوض في هذا، إذا أراد الشجار، فلن أتردد. لكنّ آلان لا يتشاجر بقبضة اليد والغضب. بل يتشاجر بتعيينات المحكمة وضباط الشرطة.

كانت الليالي التي قضيتها في السجن في مايو الماضي مرعبة بما فيه الكفاية. ولا أريد خوض هذه التجربة مرة أخرى خاصة عندما لا تكون هناك نقطة نهاية.

وأخيرًا، طغى على قلقي من المواجهة خوفي من عدم القيام بأي شيء، ومن أن أمكث هنا عند مدخل السيارات، يشلّني التردد. وهكذا خرجت من السيارة واتجهت نحو الباب الأمامي.

هسهس مفتاحي في القفل، وكانت ردهة المدخل مظلمة. وتساءلت عمّا إذا كان القدر قد ابتسم لي لأول مرة منذ سنوات. كان ضوء صغير في قاعدة السلم فقط مضاءً، مع مصباح ليلي في ردهة الطابق العلوي. وقفت هناك في صمت تام لدقيقة كاملة. وكان المنزل غارقًا في الصمت. لا بدّ أن يكونا نائمين.

راح التوتر ينزف مني، ما جعلني أشعر بالدوار. فابتسمت في الظلام. لقد كان هذا *رائعًا*.

بعد ذلك، تناهى إلى سمعي صوت كحة.. كحتين. ثمّ صوت واضح لشخص يتقيأ. لم أكن أعرف إن كان الصوت أنثويًا، لكنّه بالتأكيد لم يكن صوت آلان.

تتبعت الصوت إلى الحمام الخلفي الموجود في غرفة الغسيل خلف المطبخ. كان الباب مواربًا، وكانت والدتي هناك، جاثية على الأرض، تتقيأ عشاءها في المرحاض. وكانت ترتدي أحد قمصان آلان وسروالًا ضيّقًا، وتمسك في يدها منديلًا.

«أمّي؟» قلت بصوت خائف، وقد كنت عاجزًا عن التحكم في هذا. وفي لمحةٍ، صرت فتى في العاشرة من العمر مرة أخرى،

أراقب والدي يفعل الشيء ذاته. لكنّ هذا كان مختلفًا. فهي لم تكن تنزلق من المرحاض، ولم يكن الهواء مثقلًا برائحة الخمر. «أمّي، هل أنت بخير؟»

أومأت برأسها وعيناها مغمضتان، ومسحت فمها. ثمّ ركعت على ركبتيها هناك وراحت تتنفس في المرحاض للحظة طويلة.

كانت شاحبة مثل خزف الحمام المحاذي لوجهها. اتجهت نحوها، لكنّني لم أكن متأكدًا مما ينبغي لي فعله. «هل تريدين منّي مناداة الآن؟»

«لا». كان صوتها خشنًا. «لا، لا بأس. أظنّ أن العشاء لم يناسبني».

«هل تريدين المزيد من المناديل؟»

في البداية هزت رأسها، ثم أومأت. أحضرت العلبة التي كانت بجوار حوض المطبخ ووضعتها بجانبها. ثم ملأت كوبًا بالماء وأحضرته لها.

شفطت المرحاض، ثم نهضت لتجلس على الغطاء.

«ماء؟» مددت الكوب لها.

تراجعتْ كأنّما عرضت عليها السم.

«لتمضمضي فمك؟»

«حسنًا». فعلت ذلك، ثم بصقت في الحوض. وبعد نفس طويل آخر، غسلت وجهها ويديها.

بقيت واقفًا عند مدخل الباب، أشعر بأنني غير مجدٍ تمامًا. «هل تريدين منّي أن أساعدك في الصعود إلى الطابق العلوي؟»

هـزت رأسـها، وقالـت: «أعتقـد أننـي سـأجلس علـى الأريكـة لفتـرة حتـى يمـر هـذا».

«حسـنًا». بـدا هـذا كأنّهـا تصرفنـي، لكنّنـي لـم أكـن متأكـدًا مـن أنّـه ينبغـي أن أتركهـا.

اعتدلـتْ ونظـرت إلـيّ بشـكل كامـل. ثـمّ اتسـعت عيناهـا، وقالـت: «تبـدو وسـيمًا جـدًّا، ديـكلان. لـم أكـن أدرك أن هـذه كانـت حفلـة متأنقـة». ثـمّ عدّلـت القميـص علـى كتفـي، وأصلحـت ربطـة عنقـي كمـا لـو كان ذلـك مهمًّـا.

تجمّدت من أثر لمستها.

ثمّ رفعت بصرها نحوي، وقالت: «هل علقت تحت المطر؟»

«اضطـررت إلـى مسـاعدة صديـق علـى تغييـر إطـار سـيارته». وتـردّدت قليـلًا، قبـل أن أضيـف: «لهـذا السـبب تأخـرت قليـلًا».

«هـل الوقـت متأخـر؟ لقـد غفـوت بينمـا كنـت أنتظـر، وبعـد ذلك..»، ثـمّ عبسـت ونظـرت تجـاه المرحـاض. «دعنـا نجلـس علـى الأريكـة. أنـا بحاجـة إلـى الجلـوس».

ذهبنـا وجلسـنا علـى الأريكـة. لـم ترغـب فـي إنـارة الأضـواء، لذلـك جلسـنا فـي العتمـة، أكثـر منّـا فـي الظـل.

«هل آلان نائم؟» سـألت.

«نعـم. ينبغـي أن يذهـب إلـى المكتـب فـي الصبـاح، وأنـت تعلـم أنّنـي لا أمانـع السـهر إلـى منتصـف الليـل».

كنـت سـعيدًا لأنّهـا كانـت الشـخص المسـتيقظ الآن، علـى الرغـم مـن أن العثـور عليهـا تتقيـأ فـي الجـزء الخلفـي مـن المنـزل يشـعرني بعـدم الاسـتقرار.

«هل أنت متأكدة من أنك بخير؟»

«نعم، بالتأكيد». ووضعت يدها على ذراعي وضغطت، وأضافت: «لقد أحضرنا بعض الروبيان المدخّن من السوق، وأنت تعلم ما يفعل بك ذلك حتى لو كان حامضًا بعض الشيء».

لا أتذكر آخر مرة لمستني فيها، والآن حدث هذا مرتين خلال ثلاث دقائق. شعرت كأنّني دخلت حلمًا. «قالت كريستين إنّك كنت مريضة الأسبوع الماضي أيضًا».

«أوه!» بدت أمي مندهشة. «كان ذلك زكامًا صيفيًا».

«إنّه أكتوبر».

رمقتني بنظرة غاضبة. «ديكلان».

«ماذا؟» بدا صوتي فظًا. «أنا أسألك فقط».

«حدّثني عن الحفلة. هل استمتعت بوقتك؟»

«لا».

تنهدت.

كان هناك الكثير من التاريخ بيني وبين أمّي لنتحدّث بالتفصيل عن حفل العودة. «لم أفعل».

وضعت يديها على وجهي، ودفعت شعري إلى الخلف عن جبهتي. توقعت منها أن تبدي ملاحظة ساخرة ما حول قصة شعري، لكن بدلاً من ذلك توقفت يدها هناك، وداعب إبهامها صدغي. كانت عيناها معلقتين بعيني.

لم أتحرك.

«أنت تخيفينني نوعًا ما»، همست.

لم تبتسم، وقالت: «أشعر كأنّك تكبر وأنا لست جزءًا من ذلك».

لم أصحح لها. فقد كنت أشعر بالشيء ذاته تمامًا.

أشحت بنظري عنها، وأبعدت يدها عن جبهتي. «سأغيّر هذه الملابس المبتلة».

سمحت لي بالذهاب دون اعتراض، وكانت أصغر ذرة في داخلي تريدها أن تتمسك بي. لكن بدل ذلك، كنت في منتصف طريقي إلى أعلى الدرج قبل حتى أن أتمكن من إلقاء نظرة إليها.

كنت أتوقع أنّها ستعبث بجهاز التحكم، لكنها راحت تراقبني بدل ذلك. فتنحنحت وأبقيت صوتي منخفضًا، لأنّ آخر شيء أريد القيام به هو إيقاظ آلان، وقلت: «هل تريدين أن أحضر لك بطانية؟»

ابتسمت، وكان هناك شيء غير مؤكد حيال ذلك. «سيكون ذلك لطيفًا جدًا. شكرًا لك».

وبحلول الوقت الذي عدت فيه إلى الطابق السفلي مع بطانية الصوف البيضاء من غرفة الضيوف، كانت ممدودة على الأريكة، تشاهد قناة HGTV.

قالت: «هل تتذكر هذا؟ لقد اعتدنا مشاهدة جميع برامج تزيين المنازل معًا خلال إجازتك الصيفية».

نعم أذكر ذلك. كنا نفعل ذلك دائمًا في أثناء طيّ الغسيل. وكان ذاك أسوأ أنواع التعذيب.

رحت أفكر في يدها على جبهتي. ربما لم يكن أسوأ أنواع التعذيب.

فردت البطانية عليها، وقلت: «هل تريدين شيئا آخر؟»

«لا. شكرا لك ديكلان».

تـردّدت قليـلًا، فنظـرت إلـيّ وقالـت: «سـأكون بخيـر». ثـمّ أمسـكت يـدي بيدهـا الصغيـرة، وهـزتهـا قليـلاً.

«لا تقلق علي».

الفصل الخامس والعشرون

من: الظلام <TheDark@freemail.com>

إلى: فتاة المقبرة <cemeterygirl@freemail.com>

التاريخ: السبت، 5 أكتوبر   الساعة: 01:06:47 صباحًا

الموضوع: الليلة

أنا آسف لأنّني تأخرت الليلة. كان عليّ أن أقلّ صديقًا أولاً. لقد كان قلقًا بشأن حظر التجول. وبحلول الوقت الذي وصلت فيه إلى سيارتك، رأيت شخصًا آخر قد توقف لمساعدتك. ولم أرغب في التسبب لك بالإحراج. أنا سعيد لأنك بخير. ولأكون صادقًا تمامًا، فأنا سعيد لأنّنا لم نلتق بعد.

بحلول الصباح، كان المطر قد توقف، مخلّفًا وراءه درجات حرارة منخفضة. بحثت عن سترة في خزانة ملابسي وارتديت جزمة تصل إلى الركبة فوق سروال الجينز. وقد اخترت ثيابًا مريحة، التي بدت ضرورية جدًّا بعد أمسيتي مع ديكلان مورفي. كنت لا أزال أشعر بقليل من الفراغ.

وجدني والدي آكل الحبوب في المطبخ، فتجمّد عند المدخل. «لقد. . . نهضت باكرًا».

دائمًا ما أستيقظ قبله، لكنّني لم أكن معتادة على أن أكون في المنزل صباح يوم السبت. ألقيت نظرة سريعة إلى المجلة التي كنت أقلبها. «هل كل شيء عل ما يرام؟»

«بالتأكيد». ثمّ تجاوز منضدة المطبخ وتوقف مرة أخرى. «لقد حضّرتِ القهوة أيضًا؟»

«كنت بحاجة إلى فنجان».

جلب كوبًا من الخزانة وسكب لنفسه بعضًا منها. قلّبت صفحة أخرى من المجلة.

ثمّ سألني: «كيف كان حفلك الراقص؟ كنت لأنتظرك لو علمت أنك ستعودين إلى هنا».

رفعت ملعقة من رقائق الذرة إلى فمي وهززت كتفي وقلت: «كان جيّدًا، كانت روان تقضي وقتًا ممتعًا مع براندون تشو، لذلك لم أرغب في أن أكون الشخص الدخيل».

كانت روان قد أرسلت لي موجة من الرسائل القلقة عند منتصف الليل تقريبًا، عندما أوصلت هاتفها ليُشحن. وأخبرتها بأن شخصًا ما قد توقف للمساعدة وأنّني قد عدت إلى المنزل دون مشكلات.

لم أذكر ديكلان مورفي بعد. ما زلت أحاول اكتشاف ذلك بنفسي.

جلس أبي على الكرسي المقابل لي. وكان قد استحم حديثًا وحلق ذقنه، وارتدى قميص بولو وسروال جينز. بدا أكثر تأهبًا ممّا رأيته منذ أسابيع.

«هل أنت ذاهب إلى مكان ما؟» سألت.

«كنت ذاهبًا إلى متجر «هوم ديبو» لشراء أغطية للأثاث الخارجي. ثمّ بعد ذلك سأزيل أوراق الأشجار». صمت لحظة، ثمّ قال: «هل ترغبين في مساعدتي؟»

«مساعدتك في كنس أوراق الشجر؟»

ابتسم، لكنّها بدت ابتسامة مؤقتة فقط. «أفهم من هذا رفضك».

هززت رأسي وأخذت ملعقة أخرى من رقائق الذرة. «سأساعدك، ليس عليك أن تفعل ذلك بمفردك».

«حسنًا».

«حسنًا».

جلسنا هناك في صمت وقتًا طويلًا. ثمّ فتح صحيفة الصباح وبدأ بقراءة قسم الأعمال. ورأيته يسترق نظرات عليّ عدّة مرات، دون أن ينبس ببنت شفة. كانت إعلانات العطور في المجلة تصيبني بالصداع، لكنّني إذا أغلقت المجلة، فسأكون مضطرة إلى التحدث معه، ولم تكن لدي أدنى فكرة عمّا سأقوله.

حين نهض ليحضّر فنجانًا آخر من القهوة، تنحنح، ثمّ قال بصوت حذرٍ: «ألا ترغبين في الذهاب إلى المقبرة هذا الصباح؟»

«لا أستطيع». وسكبت المزيد من الحبوب. «سيارتي بحاجة إلى بطارية جديدة». حينها استدار ونظر إليّ وقال: «منذ متى؟»

«منذ. . . لا أعرف، منذ أسابيع قليلة. لقد تعطلت الليلة الماضية».

بدا مرعوبًا وقال: «تعطلت بك؟ ولم تتصلي؟»

«بلى فعلت، لكنك كنت قد نمتَ وقتها».

«جولز، أنا آسف». ثمّ جلس مرة أخرى على الطاولة. «أتمنى لو كنتِ أخبرتني».

لم ينادِني باسم التحبّب منذ ما قبل وفاة أمي. وقد أربكني هذا للحظة، وتجمّد فمي حول كلماتي. كان لا بدّ أن أبتلع ريقي قبل أن أتلفظ بشيء. «لا عليك، لقد أوصلها لي صديق من المدرسة ورافقني إلى المنزل. أنا فقط لا أريد أن يتكرر الأمر في أي مكان آخر».

«سأتصل بالورشة وأرى إن كان بإمكانهم الاهتمام بها اليوم. هل أنت متأكدة من أنّها البطارية؟»

«أمم، لا». شعرت بوجهي يحمّر خجلاً. فأنا لا أعرف تمامًا ما المشكلة. «قال صديقي إنّ الإطارات متلفة أيضًا. وقد اضطر إلى تغيير أحدها».

«سأتصل الآن. يمكن لهوم ديبو أن ينتظر».

اتصل وحدّد موعدًا لوقت لاحق من هذا الصباح. وتململت في مقعدي. فقد كان الاتفاق حينما حصلت على السيارة أنّني سأسدّد بنفسي جميع أعمال الصيانة والوقود. وكان ذلك عندما كنت أخطط للحصول على وظيفة خلال الصيف، بدلاً من نسف مدخراتي المتواضعة ذهابًا وإيابًا إلى المقبرة والمدرسة.

«هل تعرف كم سيكلف كل هذا؟» سألته حين أغلق الخط.

تردّد للحظة، ثمّ قال: «بطارية جديدة وأربع إطارات جديدة؟ سيكلف الكثير».

ارتجف قلبي، وقلت: «ربّما يمكننا سؤالهم إن كانت الإطارات بهذا السوء حقًا».

«إذا كنت بحاجة إليها، فأنت بحاجة إليها. لا أريدك أن تقودي سيارتك إذا لم تكن آمنة».

«حسنًا». قمت ببعض الحسابات الذهنية، في محاولة لتذكر المبلغ المتبقي في حساب التوفير الخاص بي. لم يكن قد بقي لي الكثير.

«هل يمكن أن تعطيني تخمينًا حول التكاليف؟»

«ما لا يقل عن قضاء فترة ما بعد الظهر في كنس الأوراق وربما جزّ العشب أيضًا».

نظرت إليه لمعرفة إن كان جادًّا. «لكنك دفعت ثمن فستاني الليلة الماضية».

قال بهدوء: «لا بأس، باستطاعتي مساعدتك». ثمّ توقف قبل أن يردف: «هل هذا جيّد؟»

«نعم». تنهدت وملأت فمي بالحبوب قبل أن تنال مني العاطفة. «شكرًا».

«على الرحب والسعة». وراح يحرّك قهوته بإهمال، ثم قلب صفحة أخرى من الصحيفة، وقال: «اتصل بي إيان مرة أخرى».

إنّه رئيس تحرير أمي. تجمدت، وقلت: «لماذا؟»

«قال إنّ لديه شخصًا ما يبحث عن كاميرا Nikon F6 وأراد التحقق مرة أخرى إن كنّا مهتمين ببيعها».

كانت كاميرا F6 هي كاميرا أمي غير الرقمية. وتكلف الآلة وحدها بضعة آلاف من الدولارات، لذا فهو ليس عرضًا بسيطًا. في العادة، كانت أمي تستخدم كاميرتها الرقمية في العمل الميداني لأنّها تتيح تحميل كل شيء بسرعة حيثما كانت، ولم يكن عليها القلق بشأن تلف الفيلم. لكنّها كانت تحب الديمومة التي يوفرها الفيلم، وكيف أنّه ليس بالإمكان حذف صورة والمحاولة مرة أخرى.

كانت تقول: *«لقطة واحدة فقط. وفي بعض الأحيان يكون هذا كل ما تحصلين عليه»*.

«لا». خرج صوتي أجشّ، فحاولت مرة أخرى: «ليس بعد».

أومأ وقال: «هذا ما قلته له».

«شكرًا أبي»، وبعفوية، نهضت من مقعدي وعانقته. لا أستطيع تذكر آخر مرة قمت فيها بهذا، لكنني حينها شعرت بحاجة إلى الارتباط.

وإن كان قد تفاجأ، فهو لم يظهر ذلك. وعانقني في المقابل، كما لو كنا تلك الأسرة المتعانقة طوال الوقت.

ثمّ تمتم: «لا بأس بـ «أبدًا»، كما تعلمين».

تراجعت قليلًا، وقلت: «ماذا؟»

نظر إليّ وقال: «لقد قلتِ «ليس بعد». وسأترك الأمر لك. لكن لا بأس من قول «أبدًا» أيضًا، جولز. لا بأس من قول «أبدًا» دائمًا».

***

تمدّدت أنا وروان في الأرجوحتين على الطرفين المتقابلين من شرفة منزلها الأمامية. وقد أحال ضوء الشمس في وقت متأخر من بعد الظهر الشارع إلى اللون الذهبي، وكان النسيم شديدًا بما يكفي لأكون ممتنة على ارتداء السترة.

كانت أرجوحتي ثابتة، وقدماي مسندتان على مسند الذراع عند الطرف. كنت متعبة من كنس أوراق الأشجار مع أبي، لكنّني سعيدة ببطاريتي الجديدة والإطارات الأربعة الجديدة اللامعة.

كانـت روان تضـع قدمًـا علـى الأرض، وتدفـع نفسـها دفعـة قويـة كل بضـع ثـوان، فتحـدث أرجوحتهـا صريـرًا نتيجـة ذلـك.

كانـت القلـوب والزهـور تنضـح مـن كل مسـام جسـمها. ولـم تتوقـف عـن الحديـث عـن برانـدون منـذ وصولـي إلـى هنـا. ومـع ذلـك، كنـت سـعيدة لأجلهـا. إذ لـم أرَ روان مغرمـة بفتـى بهـذا القـدر. . . قـط. قلـت لهـا: «أخبرينـي مـرة أخـرى كيـف قبّلـك. لا شـكّ أنّـك قـد فوّتـي بعـض التفاصيـل».

ضحكت وضربتني بإحدى الوسائد.

«اخرسـي».

أمسـكت بالوسـادة وعانقتهـا علـى صـدري، مسـتمتعة بدفئهـا. وكنـت أرى روان كل يـوم تقريبًـا منـذ وفـاة والدتـي، لكـن يبـدو أنّ وفـاة والدتـي قـد خلقـت جـدارًا غيـر مرئـي بينـي وبيـن أعـز صديقاتـي. وظللنـا نكافـح لإيجـاد طريقـة لاختراقـه. صحيـح أن الليلـة الماضيـة لـم تهـدم الجـدار، لكنّهـا أطاحـت ببعـض الطـوب.

أتمنّـى أن أجـد السـبيل إلـى هـدم مـا تبقـى منـه. فهـذا الكسـر الصغيـر بالـكاد يتسـع لنمسـك بأيـدي بعضنـا بعـضٍ مـن خلالـه، ولكـن ربّمـا كان هـذا كافٍ.

فجأة، قلت: «أريد أن أخبرك بشيء».

لا بـدّ أن صوتـي قـد بـدا أكثـر جديـة ممـا كنـت أنـوي، لأنّهـا اعتدلـت فـي جلسـتها علـى الأرجوحـة، وقالـت: «أخبرينـي».

أدرت رأسي ونظرت إليها، وقلت: «ليس بالأمر المهم».

«بلى، إنّه أمر مهم. كنت أعلم أنّ هناك أمرًا ما. هيّا أخبريني».

عبست، وقلت: «علمتِ أنّ هناك أمرًا ما؟ أي أمر؟»

«جولز! يا إلهي! فقط أخبريني!»

شعرت بالإحراج الآن، وتلاشت كل ثقتي. «إنّه أمر سخيف.. أمر غبي».

«هل للأمر علاقة ببراندون؟»

ضحكت، وقلت: «أنتِ مهووسة». ثمّ صمتت قبل أن أردف: «لا، لا شيء يتعلق ببراندون. بل يتعلق الأمر بفتى آخر».

«كلّي آذان صاغية».

أخرجت هاتفي من جيبي وقلت: «أنا لا أعرف اسمه. لقد كنا نتراسل عبر البريد الإلكتروني». كان ينبغي أن أخطط لهذا بشكل أفضل. «سيبدو هذا سخيفًا».

ارتسم خطّ عبوس بين حاجبيها وقالت: «هل تعرّفت عليه عبر الإنترنت؟»

تردّدت قبل أن أرد: «لا، ليس كذلك. التقيت به في المقبرة نوعًا ما. لقد كتب ردًّا على إحدى رسائلي».

تعمّق خط العبوس، وقالت: «رسائلك؟»

شعرت بالحرارة تصعد إلى وجنتي، فأشحت عنها بنظري. «كنت أكتب رسائل إلى أمي. فكتب ردًّا على واحدة منها. في البداية أغضبني الأمر، لذا كتبت له مرة أخرى. لكن بعد ذلك. . . حصل شيء ما». هززت كتفي قليلاً، وتابعت: «لقد فقد شخصًا عزيزًا هو الآخر. أعتقد. . . أعتقد أنّنا نفهم بعضنا بعضًا نوعًا ما. وفي الليلة الماضية، عندما كنت عالقة على جانب الطريق، عرض عليّ المساعدة، لكنّ شخصًا آخر وصل إلى هناك أولاً».

«ما اسمه؟»

«لا أدري». قلت ونقرت على التطبيق في هاتفي لأفتح آخر رسالة وصلتني منه، اعتذر فيها عن تأخره في المجيء لمساعدتي. «في عنوان بريده الإلكتروني، يسمي نفسه الظلام. لذا أفكر به هكذا».

تفحصت الرسالة سريعًا، وقالت: «لا أستطيع تحديد إن كان هذا أكثر شيء رومانسي سمعت عنه على الإطلاق أو إن كان هذا مخيفًا جدًّا»

سحبت منها هاتفي وقلت: «هذا ليس مخيفًا!»

رمقتني بنظرة، وقالت: «هل تشعرين بخيبة الأمل أم بالارتياح لأنّه لم يحضر الليلة الماضية؟»

حسنًا، كان هذا سؤالًا مباشرًا. «الاثنان على حد سواء. على ما أعتقد». ثمّ سكتت، لأفكر في الأمر مليًّا. بعد ذلك قلت: «لكنّني مرتاحة أكثر، إذ ستدمّر معرفة شخصه بعض. . . الانفتاح». ورحت أعبث بالهاتف، وأفرك حوافه. ثمّ تابعت: «لقد أخبرته كثيرًا عن أمي، وأخبرني الكثير عن عائلته. لقد توفيت أخته قبل بضع سنوات. لسبب يتعلق بوالده. . . لا أعرف كل التفاصيل حتى الآن».

رمقتني رو بنظرة مرتابة وقالت: «عندما تقابلين هذا الفتى، تأكدي من أن يكون ذلك في مكان عام، مفهوم؟»

«أنا لست غبية، رو».

«لقد طلبت من شخص غريب تمامًا مساعدتك عندما تعطلت سيارتك على جانب الطريق يا جولز».

صحيح. لقد فعلت ذلك.

امتعضت، وقلت: «أنت على حق. لم أكن أفكر حينها».

«من *الذي* ساعدك؟ لم تخبريني بعد».

حينها تساءلت إن كانت إجابتي ستكون أفضل أم أسوأ من حقيقة أنني طلبت من شخص غريب تمامًا مساعدتي في طريق مظلم مهجور في منتصف الليل. «ديكلان مورفي».

«لا، حقًا!».

«أنا جادة».

تراجعت في الأرجوحة، لتجعلها تتأرجح بعنف، وقالت: «لن أتركك بمفردك أبدًا مرة أخرى».

تذكرت ديكلان، وكيف بدا كأنّه يكاد يشعر بالإهانة لأنّني كنت خائفة منه. وعادت الحرارة إلى وجنتي.

«لقد كان. . . جيّدًا».

«أنا سعيدة لأنّك هنا للتحدث عن ذلك، بدلاً من أن تكوني مُلقاة في حفرة ما على جانب الطريق». ثمّ التفتت نحو الشارع وتغيرت تعابير وجهها. «انظري هناك، إنّه صديقه الغريب».

اتبعت نظراتها، فرأيت ريف فليتشر يدفع عربة أطفال وردية وبيضاء فوق الرصيف على الطرف الآخر من الشارع. لقد عاد لارتداء سترته ذات القلنسوة تاركًا وجهه في الظل، ولكن تحت ضوء الشمس، لا يختفي طوله أو عرض منكبيه. إنّه لأمر مخزٍ أن يقضي الكثير من الوقت في الاختباء، فقد كان يمتلك بنية لاعب وسط ميدان. وإذا ما ألقيت على وجهه نظرة، فلن تجد قسوة في عينيه.

تذكرت ما قاله ديكلان عن الصورة، فقلت في همس: «إنّه ليس غريبًا».

«ماذا؟» قالت روان.

«قلت، إنّه ليس غريبًا. إنّه في الواقع فتى لطيف جدًا». وفي الوقت الذي كانت روان تستعيد فيه ملامحها بعد الدهشة، رفعت يدي وصحت: «مرحبًا ريف!»

نظر من حوله في دهشة، وبدا تقريبًا على وشك الانطواء على نفسه لولا أن رآني ألوّح له. ارتاحت هيئته بالكامل، وغيّر مساره دافعًا عربة الأطفال عبر الشارع باتجاه مدخل منزل روان.

قال: «مرحبًا».

كانت الطفلة في عربة الأطفال تصرخ وتؤرجح ساقيها. وكانت تحمل حبة كوكيز في يد واحدة، وتلعق القطع الصغيرة الملتصقة بأصابعها الممتلئة.

سألته: «هل تجالس الأطفال؟». فعلى نحو ما كان هذا غير متوقع ولكنه غير مفاجئ على حد سواء.

«نوعًا ما، كان لدى أمي مكالمة مع أحد العملاء ورفضت بَيبي دول أن تغفو، لذلك فكرت أنّه يمكنني إخراجها من المنزل مدة نصف ساعة».

«اسمها . . . بَيبي دول؟» قالت روان.

«أجل». ردّ ريف، كأنّ الأمر كان عاديًا.

ارتفع حاجباها، لكنّها لم تقل أيّ شيء آخر.

انتقلت عيني بين ريف والطفلة ذات البشرة السمراء. «أهذه.. . أختك؟»

ابتسم وقال: «ليس تمامًا. إنّها متبناة».

«ووالدتك لديها عميل؟» قالت روان. وقد جعلت نبرتها الأمر يبدو كأنّ والدته تفعل شيئًا بغيضًا، وتذكرت ما قاله ديكلان عن كيف يبدو أنّ بعض الناس يتصرفون بتساهل تجاه العداء.

طرفت عينا ريف وقال: «أجل، تعمل والدتي محاسبة».

«أوه». بدت روان مندهشة من هذا.

أردت أن أنكزها بمرفقي حتى تتوقف عن أن تكون وقحةً جدًا. لكن هل كانت هذه هي الطريقة التي تصرفتُ أنا بها قبل أسبوع؟

«هل يمكنني حملها؟» قلت لريف.

«بالتأكيد». كانت حركاته سريعة وفعالة، ورفع الطفلة من العربة بحركة خبير. راحت تتلوى في البداية، لكن يبدو أن ياقة قميصي قد أبهرتها، ثمّ قامت بلف القماش بين أصابع يدها الحرة، فيما أخذت تأكل الكوكيز باليد الأخرى. وكانت عيناها كبيرتين وداكنتين وبريئتين.

قلت له: «إنّها لطيفة جدًا».

قال: «لقد أحبّتك».

«إنّها لا تعرفني».

«لكنّها تجيد الحكم على الأشخاص». ثمّ سكت، قبل أن يضيف: «كيف حال سيارتك؟»

لا بدّ أن ديكلان قد أخبره. «حسنًا. لقد سمح لي والدي بتنظيف الساحة مقابل الحصول على إطارات جديدة وبطارية».

ارتفع حاجباه وقال: «يبدو كأنّ والدك رجل لطيف».

إنّه كذلك بالفعل، لقد أدركت هذا. ربما قد دُفن لبضعة أشهر، ولكن في جوهره كان أبي مراعيًا لمشاعر الآخرين وعطوفًا.

وبطريقـة مـا كنـت قـد نسـيت ذلـك.

قلـت: «أنـا سـعيدة لأنّنـي رأيتـك». وكانـت روان تقـف بجانبـي صامتـة لكنهـا قلقـة.

«حقًّا؟»

«نعم، لقد أردت أن أخبـرك..» ثمّ تـرددت، لكنّ ريـف كان صبـورًا. ولـم تبـدُ علـى وجهـه أي أمـارات اسـتعجال. فهـززت كتفـي قليـلًا وقلـت: «سـأحذف الصـورة يـوم الاثنيـن، تلـك التـي التقطتهـا فـي مهرجـان الخريـف».

اتخـذت تعابيـره سـكونًا مفاجئًـا، الـذي اسـتطعت فهمـه بشـكل جزئـي فقـط. لـم أشـأ أن أشـعره بعـدم الارتيـاح.

فقلـت بسـرعة: «هـل يمكنـك إخبـار ديـكلان؟ أعلـم أنّ الأمـر كان مهمًّـا بالنسـبة إليـه».

أومـأ برأسـه، لكنّـه تـردد بعـد ذلـك وقـال: «لا أعتقـد أنّـه يهتـم حقًّـا بهـذا القـدر. لسـت مضطـرة إلـى حذفهـا».

«حقًّا؟»

«نعم. لا .. بأس».

لا بـدّ أنّ الطفلـة قـد شـعرت حينهـا بالتوتـر الـذي سـاد فـي الهـواء، لأنّهـا بـدأت فـي التملمـل. رفعتهـا قليـلًا فهـدأت. «هـل أنـت واثـق؟»

«نعـم». ثـمّ مـدّ يـده ليأخـذ بَيبـي دول منّـي، وقـال: «ربّمـا يجـدر بـي التمشـي بهـا مجـدّدًا. لا أريدهـا أن تعـاود التملمـل».

راقبتـه وهـو يعيدهـا إلـى العربـة ويربطهـا. لـم تبـدِ أي احتجـاج ولـو قليـلًا. علـى الأرجـح أنّـه كان يقـوم بحـركات بوجهـه لهـا لأنّهـا أصـدرت بعـض الضحـكات.

قلت: «أنت حقًا جيدٌ في التعامل مع الأطفال».

ابتسم ريف، لكنّ تعابيره كانت فارغة بعض الشيء، كأنّه لا يزال محاصرًا في حديثنا منذ ثلاثين ثانية. «لقد تعاملت كثيرًا معهم».

قالت روان: «بجدٍّ، ما سرّ القلنسوات؟»

انتصب وقال: «ماذا؟»

«هل تحاول إيصال فكرة ما؟»

لم أستطع تمييز نبرتها. لكنّها لم تكن لئيمة، بل بدت فضولية حقًّا. وكذلك كنت أنا.

«أجل، فكرة أنّ الجو بارد». ثمّ شرع ريف في دفع عربة الأطفال أسفل الممشى. وبعد لحظة نظر خلفه نحونا، وقال: «أنا سعيد أنّك أصلحت سيارتك. قال ديك إنّها كانت في حالة سيئة جدًّا».

«بالفعل». وتردّدت قبل أن أضيف: «قل له شكرًا إذا رأيته. كما تعلم، لم يتوقف أي أحد غيره لمساعدتي».

تسرّب بعض التوتر من تعابير وجهه. ثمّ أومأ مجدّدًا.

«سأفعل».

لم يقل أيّ شيء آخر، ولم أكن متأكدة ممّا عليّ قوله أيضًا. فلدى كلّ واحد منّا مأساة سرية في ماضيه، ولم تكن هذه المرة الأولى التي يحتل فيها «الظلام» و«ريف» نفس المساحة في أفكاري.

قلت: «لم أقصد أن أجعلك تشعر بعدم الارتياح».

«لا، لم تفعلي». لكنّه تردد، كما لو كان يريد أن يقول المزيد.

حينها قالت روان: «هيّا، يا جولز. علينا العودة إلى الداخل لتناول العشاء».

قلت: «لحظة فقط».

لكن حين نظرت إلى الخلف، كان ريف قد ابتعد على الرصيف متجهًا نحو منزله.

الفصل السادس والعشرون

من: فتاة المقبرة <cemeterygirl@freemail.com>
إلى: الظلام <TheDark@freemail.com>
التاريخ: الأحد، 6 أكتوبر الساعة: 11:22:03 صباحًا
الموضوع: الفتى الذي توقف.

إذًا .. أتذكر حين حدّثتك عن الفتى الذي ضايقني في الحفل الراقص؟ ذلك الذي كان وغدًا معي حتى أنّني غادرت الحفل؟ لقد كان هو الشخص الذي ساعدني حين تعطلت سيارتي. ذاك الذي رأيته.

اسمه ديكلان مورفي. هل تعرفه؟ لا داعي للإجابة عن هذا؛ فقد يجعلنا هذا قريبين جدًا من اكتشاف بعضنا بعضًا. لكن حتى لو لم تكن تعرفه، فأنا متأكدة من أنّك قد سمعت عنه. لديه سمعة سيئة نوعًا ما.

عندما طرق على نافذتي تحت المطر الغزير، شعرت بالرعب. ظنّنت أنّه سيسرق سيارتي أو يقتلني أو يستخدمني لتهريب المخدرات أو شيئًا لا أريد حتى أن أتخيله.

حسنًا، كدت أحذف الجملة الأخيرة لأنني أشعر بالذنب الشديد حيال التفكير في هذه الأشياء. الآن، بالنظر إلى الماضي تبدو هذه الافتراضات سخيفة. هل تريد أن تعرف أي نوع من الجرائم

الشنيعة التي ارتكبها بعد أن طرق على نافذتي؟ لقد تركني أجلس في سيارته وأتدفأ، بينما ترجّل تحت المطر ليصلح سيارتي. ثم رافقني إلى المنزل للتأكد من وصولي إلى هناك بأمان.

لطالما أخبرتني أمي أنّ هدفها من التصوير الفوتوغرافي كان سرد قصة كاملة في صورة واحدة. ولست متأكدة إن شعرتُ بأنّها قد حققت ذلك. لقد اقتربت منه، أعلم أنّها شعرت بالفخر تجاه الكثير من أعمالها، وفي العديد من صورها يمكنك حقًا رؤية عدة طبقات مختلفة لما يحدث. كان كل شيء كامنًا في التفاصيل، كتلك الصورة التي التقطتها في سوريا. ذلك الفرح البادي على وجهي الطفلين، والخوف الذي كان يعتري الرجلين.. ذلك العرق والدم، وحركة الأرجوحتين. لقد حدث شيء فظيع هناك، لكن كان لا يزال بإمكان الأطفال العثور على الفرح. ومع ذلك، هل كانت هذه هي القصة بكاملها؟

بالطبع لا.

كلمّا فكرت في الأمر أكثر، تساءلت إن كان هذا هدفًا مجنونًا تمامًا. هل يمكن لصورة أن تحكي القصة كاملة؟

عندما كنت جالسة مع ديكلان، قال شيئًا ما فتئت أتمعن فيه طيلة نهاية الأسبوع، وهو كيف أنّ القواعد والمبادئ التوجيهية تحمي الأشخاص الضعفاء، في حين يمكن التهجم على الأشخاص أمثاله دون تردّد، لأنّ الناس يفترضون أنّهم يستحقون ذلك.

هل تعتقد أنّ هناك شيئًا من الحقيقة في هذا؟ إذا حدث وسخر فتى غني من فتى فقير لارتدائه ملابس قديمة، فمن الواضح أنّ هذا أمر قاس. لكن ماذا لو سخر فتى فقير من

فتى غني لفشله في اختبار ما، فهل يعدّ هذا أقل قسوة بسبب منزلتيهما في الحياة؟ هل كل شخص يشكّل هدفًا ذا بعد واحد بطريقة ما؟

وإذا كنا كذلك، فهل هناك طريقة لإظهار المزيد من أنفسنا؟ أم أنّنا جميعًا محاصرون في صورة واحدة لا تروي القصة كاملة؟

لديه سمعة سيّئة. طعنت كلماتها كبريائي وأثارت مشاعري في الوقت ذاته.

ليتني أخبرتها.

لكنّني سعيد أنّني لم أفعل، ربّما.

تشعرني هذه المساحة -حيث يعلم أحدنا فقط عن الآخر- بعدم الارتياح. ولا أحب أن أخفي عنها سرًّا. لقد بدا الأمر خاطئًا، وأنّني بهذا أخدعها. فمن قبل، كانت لدينا أرضية لعب متساوية. أمّا الآن فلم أعد أعرف ما لدينا.

لا أعرف ما لدي.

تذكرت كيف كانت جالسة وسط المطر، تبكي خلف عجلة القيادة داخل سيارتها المعطلة. في الحفل الراقص، كنت قد رأيت فتاة أخرى جميلة ومدللة ليس لديها شيء تفعله أفضل من السخرية منّي، أنا الوضيع الذي قد يلطخ بريقها وتألقها. أمّا في الرسائل، فأعرف فتاة تختلس النظر من تحت غطاء برّاق يخفي عذابها. ومن الصعب التوفيق بينهما. من الصعب أن أتأقلم مع هذا.

أعـرف جيّـدا مـا هـو شـعور الحاجـة إلـى أن تكـون أوّل مـن يضـرب. وودِدت لـو أنّنـي أبصـرت مـن خـلال ذلـك التبجـح حيـن كنـا نقـف بجانـب وعـاء البنش. تمنيـت لـو كنـت أعـرف أنّ كلّ ذلـك كان مجـرد واجهـة.

كان لـدى ريـف مقولـة يحبهـا، حـول كيـف يمكـن للسـان اللطيـف أن يكسـر العظـم. ولمـن يعـرف ريـف، فإنّـه يقتبسـها مـن الكتـاب المقـدس. وكانـت هـذه هـي المـرة الأولـى التـي بـدت فيهـا مقولتـه منطقيـة بالنسـبة إلـيّ.

مـا الـذي قالتـه لـي حيـن كنّـا فـي السـيارة الليلـة الماضيـة؟ أنـت مسـتفز جـدًّا.

ليتنـي كنـت أكثـر صبـرًا مـع جولييـت. كيـف أمكننـي إغفـال رؤيـة كل تلـك الفوضـى التـي كانـت تضطـرب تحـت سـطحها مباشـرة؟ كيـف أمكنهـا إغفـال الفوضـى التـي بداخلـي أنـا أيضًـا؟

كان آلان وحيـدًا فـي المطبـخ حيـن نزلـت وقـت الغـداء. وكان جالسًـا يقـرأ شـيئًا مـا علـى لوحـه الإلكترونـي بينمـا يتنـاول شـطيرة. كان ضـوء الشـمس يتدفـق عبـر النافـذة خلفـه، ولـو كان أيّ رجـل آخـر غيـره، لقلـت إنّـه يبـدو كأبٍ عـادي مـن الضواحـي.

توقـف كلانـا ونظـر بعضنـا إلـى بعـض. ولـو كنّـا ذئبيـن لكنّـا نقـوم بحـركات دائريـة وحـذرة فـي كل مـرة نتواجـه فيهـا، ولكـن كان علينـا فعـل الشـيء البشـري وهـو التحديـق بعضنـا إلـى بعـض.

أشـاح آلان بنظـره أولًا، وهـو الأمـر المعتـاد. إلّا أنّـه لـم يكـن يفعـل هـذا لأنّـه مرتعـب منـي. وكان الأمـر ليكـون أسـهل جـدًّا لـو كان كذلـك، لكنّـه كان يفعـل ذلـك كمـا لـو كنـت لا أسـتحق وقتـه.

في الواقع، لم يكن هذا هو حالنا دائمًا. ولا أستطيع أن أتخيّل أن تتزوج أمي منه لو كنا كذلك منذ البداية. لقد قام ببعض المحاولات للعب دور الأب في البداية، لكن لا بد أننا كنا على ترددات مختلفة، لأنّني فوتُّ الإشارات. وعلى الأرجح أنّني تجاهلتها. لقد كان يحاول فتح محادثات بين رجلين حول المدرسة والمسؤولية. حسنًا، ليس لدي أي فكرة حقًا، فقد كنت حينها أضع السماعات في أذني وأتجاهله. كنت أعتقد أساسًا أنّه كان مجرد صديق عابر آخر ستتخلص منه عاجلاً أم آجلاً، فلماذا أضيّع وقتي معه؟

أمّا في الوقت الحالي، فأشعر بأنّ آلان يتخطى دور زوج الأم، ليتجه مباشرة نحو دور الحارس.

حقًا، لا يمكنني تحديد أيّهما كان يزعجني أكثر: أنّه كان يلعب دور الصارم، أو أن تسمح له أمّي بفعل ذلك.

توجهت إلى الخزانة وبحثت عن حبوب الفطور. وبما أنّ أمي كانت تمر بهذه الوعكة الصحية، فقد كان كل شيء عضوي ومليء بالألياف أو ربّما البروتين. قد أقتل شخصًا ما من أجل حبوب فرووت لوبس، ولكن بدلاً من ذلك أخذت علبة من حبوب باور أوز بطعم الفراولة.

عندما فتحت الثلاجة لجلب بعض الحليب، أدركت أن آلان كان لا يزال يراقبني.

لا أحب أن يراقبني.

فكرت في سطر فتاة المقبرة -سطر *جولييت*- عليّ أن أذكر نفسي حول حصر الشيء في صورة واحدة. كان هذا ما أشعر

بـه الآن. فقـد كان آلان يـرى جانبًـا واحـدًا منـي، ولحظـة واحـدة مـن حياتـي، وهـذا كل مـا اختُزلـت فيـه الآن. كان هـذا كل مـا يـراه أي شـخص آخـر. ديـكلان مورفـي سـائق مخمـور ومدمـر عائلتـه. لقـد التُقطـت صورتـي فـي الوقـت المناسـب للأبـد.

كانت هذه فكرة مخيّبة، أحبطت معنوياتي. «أين أمي؟»

«إنّها تأخذ قيلولة».

تـردّدت بينمـا كنـت أهـمّ بسـكب الحليـب، وقلـت: «فـي منتصـف اليـوم؟»

«هـذا هـو الوقـت الـذي تُؤخـذ فيـه القيلولـة عـادة». كان صوتـه لاذعًـا وأكثـر حـدّة ممـا ينبغـي.

أثـار هـذا أعصابـي مجـدّدًا، لكـن صـورة والدتـي المريضـة فـي الحمـام الخلفـي كانـت لا تـزال حيّـة فـي ذهنـي. وتسـاءلت إن كانـت لديـه أيّ فكـرة عمّـا أصابهـا. كان ينبغـي أن يكـون هـو مـن يعتنـي بهـا. كان ينبغـي أن يكون هـو مـن يقلـق عليهـا الآن. «ليـس عليـك التصـرف مثـل وغـد، آلان».

«انتبه إلى كلامك». قال موجِّهًا إصبعه نحوي.

أعـدت الحليـب إلـى الثلاجـة، ثـم التفـت إليـه وأنـا علـى أهبـة الدخـول فـي شـجار معـه.

لكنّه لم يكن ينظر إليّ حتى. فقد عاد إلى لوحه الإلكتروني.

أردت أن أقلـب الطاولـة فيتطايـر كلّ شـي. أردت أن أقـف أمـام وجهـه وأصـرخ، *انظـر إلـيّ! الآن! انظـر إلـيّ!*

اهتـز هاتفـي الخلـوي علـى فخـذي، فأخرجتـه مـن جيبـي. ووضعتـه علـى أذنـي دون النظـر إلـى الشاشـة، فالشـخص الوحيـد الـذي يتصـل بـي دائمًـا هـو ريـف.

قلت: «مرحبًا».

«مرحبًا مورف».

كان الصوت يحمل لكنة ثقيلة، وقد استغرق الأمر مني ثانية لتحديده. إنّه ميلونهيد. ولم أستطع تغيير الاسم الذي أناديه به، لكنّني وجدت أنني أفضِّل اسم «مورف» على اسم «ديك- لين» الذي يبالغ في مدّه. لم يسبق له أن اتصل بي قطّ. وللحظة شعرت بالذعر معتقدًا أنني من المفترض أن أكون الآن في المقبرة أؤدي خدمتي، ولكن بعد ذلك تذكرت أنّ اليوم هو الأحد. فخفق قلبي للحظة ثمّ وجد إيقاعه الطبيعي.

لم أعرف بعد لماذا اتصل، فسألته: «ما الخطب؟»

«كنت أتساءل إن كنت متفرغًا بعد ظهر اليوم. فكرت أنّه ربما يمكنني طلب مساعدتك. حسنًا، جاري يحتاج إلى ذلك».

كنت في حيرة من أمري، ولم أكن أستطيع التفكير فيما وراء العمل الذي نقوم به كل ثلاثاء وخميس. «هل تريدني أن أجزّ العشب اليوم أو أيّ شيء من هذا القبيل؟» ضحك كأنني قلت شيئًا مضحكًا حقًا، وقال: «لا، بل صديق لي يحتاج إلى مساعدة في سيارته. وقد أخبرتني بأنك جيد فيما يتعلّق بالمحركات، أليس كذلك؟»

عبست، وقلت: «أحيانًا. أعني. إذا كان شيئًا حديثًا، فعلى الأرجح عليه أن يأخذه إلى الورشة. فالسيارات الأحدث تعمل بأجهزة إلكترونية..»

«ليست سيارة جديدة. إنّه بصدد تجديدها. إنّها. .» ثمّ توقف، لا بدّ أنّه قد وضع يده على السماعة للتحدث مع شخص آخر،

لكنّني سمعته يقول: «ما هذا؟» وكان هناك كلب ينبح في الخلفية.

بعد فترة صمت أخرى، عاد إلى الخط. «إنّها من طراز شوفيل 1972 A. وهو يعتقد أنّ المشكلة في المازج».

تنهدت بلا التزام وأخذت ملعقة من الحبوب.

يعتقد الناس دائمًا أنه *المازج*.

«هل تعرف شيئًا عن المازج؟» قال فرانك.

«القليل».

«إذًا هل تريد أن ترى إن كان يمكنك أن تأتي للمساعدة أم ماذا؟»

لقد مرّت أشهر منذ أن عملت على أي شيء أكثر تعقيدًا من سيارة جولييت هوندا قديمة الطراز، لكن يديّ كانتا متشوقتين للحصول على فرصة العمل على شيء أصعب. ألقيت نظرة سريعة عبر المطبخ إلى آلان. لأنّني إذا خرجت من هنا دون توضيح الأمر أولاً، فأجزم أنّه سيتصل بأحد رجال القانون، وسأكون مقيّدًا من يديّ بعد خمس عشرة دقيقة.

كان لا يزال جالسًا هناك يحدّق إلى لوحه الإلكتروني متجاهلًا إيّاي لكنه يصغي إلى كل كلمة أقولها. لم يغادر التوتر المطبخ، وتحول الجو بيني وبينه إلى ضباب.

أتمنى لو بإمكاني أن أسأل أمي.

إنّها تأخذ قيلولة.

راح الخوف يخزني من الداخل. لا أريد أن أفكر في الأمر كثيرًا، ولا أريد أن أزعجها إذا كانت بحاجة إلى الراحة. وضعت يدي على الهاتف وقلت: «اسمع، آلان. يريد مشرفي في الخدمة المجتمعية معرفة إن كان بإمكاني مساعدته في شيء ما اليوم».

رفـع عينيـه. وللحظـة بـدت أبديـة، راح ينظـر إلـيّ بتعابيـر تتعـذّر قراءتهـا، وكنـت علـى يقيـن مـن أنّـه سـيقول لا، فقـط ليشـد قيـدي.

راح يمـرر أصابعـه عبـر الشاشـة، ثمّ قـال: «اذهـب، واحـرص علـى أن تكـون فـي المنـزل قبـل العشـاء».

كدت أوقع ملعقتي.

***

لـم يكـن فرانـك ميلينديـز يسـكن بعيـدًا عنـا، لكنّنـي مندهـش مـن مقـدار الشـبه بيـن حيّـه وحيّنـا، فقـد كان ضاحيـة قديمـة أخـرى للطبقـة المتوسـطة بمداخـل قصيـرة خاصـة بالسـيارات وأرصفـة عرضيـة وأفنيـة مُسـيّجة. ولسـبب مـا كنـت أتوقـع أنّـه يقطـن المجمعـات السـكنية. لقـد حفـرت رسـالة جولييـت عميقًـا داخلـي، وذكرتنـي أنّنـي مذنـب بالقـدر ذاتـه فـي الحكـم علـى النـاس مـن لقطـة واحـدة مـن حياتهـم.

كان مـن السـهل تحديـد المـكان، فقـد اسـتطعت رؤيـة اللـون البرتقالـي اللامـع لسـيارة الشـوفيل أسـفل الحـي. لا بـد أنّ هـذا الرجـل قـد دفـع ثـروة مقابـل الطـلاء لأنّ الظـل البرتقالـي بـدا متطابقًـا. كان هنـاك رجـلان يقفـان عنـد المدخـل الخـاص بالسـيارة ويحدقـان إلـى المحـرك. وكان هنـاك كلـب ضخـم، مـن فصيلـة الراعـي الألمانـي، رابـضٌ علـى الرصيـف بينهمـا وأذنـاه مرتفعتـان ومتيقظتـان. وحيـن أوقفـت سـيارتي هـرول الكلـب ملوّحًـا بذيلـه.

مددت يدي وانتظرت على أمل ألا أفقدها.

«إنّها غير مؤذية». صاح الرجل الواقف بجانب ميلونهيد. «تحب سكاي أن تكون أول من يرحب بالزوار».

أكّدت الكلبة كلامه بالضغط بوجهها تحت يدي، ففركت خلف أذنيها وسرت عبر المدخل.

قال ميلونهيد: «مرحبًا مورف. هذا جاري، جون كينغ».

كان الرجل في منتصف العمر وذو شعر خالطه الشيب، وكان يرتدي قميص بولو أخضر ليمونيّ، وبدا مثل ذلك النوع من الرجال الذين قد يلعب معهم آلان الغولف. وشعرت برغبة في أن أكرهه لهذا السبب وحده، لكنّه استقبلني بابتسامة دافئة ومدّ يده، ولم يكن هذا من نوع ردود الأفعال التي قد أتلقاها من الناس عادةً.

«مورف، أليس كذلك؟ يقول فرانك إنّك خبير في المحركات».

«ديكلان مورفي». قلت وأنا أصافحه. لقد كانت قبضة قوية لكنّها لم تكن غالبة. ثمّ أردفت: «وأنا لست بخبير. كلّ ما في الأمر أنّ فرانك رآني أصلح جزازة العشب».

تعثرت ابتسامته بشكل طفيف جدًّا قبل أن يلقي نظرة إلى سيارتي.

«هل كانت لديك يد في إعادة تهيئة سيارة شارجور هذه؟»

«لقد فعلت معظمها بنفسي».

أطلق صفيرًا منخفضًا، وعادت الابتسامة كاملة إلى وجهه. «أنت فتى محظوظ. أنا أعرف رجالًا قد يقتلون من أجل واحدة كهذه».

وأنـا كذلـك. هـززت كتفـي وقلـت لـه: «لقـد حالـف الحـظ أبـي ووجـد الهيـكل ونصـف المحـرك فـي إحـدى سـاحات الخـردة. وكان قـد بـدأ العمل عليهـا حيـن كنـت صغيـرًا. وبعد ذلـك أكملتها بنفسـي». ثـمّ جفلـت حيـن تذكـرت الهيـكل المرشـوش بـرذاذ الهـواء، وأردفـت: «حسـنًا، ليـس الطـلاء. ليـس بعـد».

«هل تنوي طلاءها بشكل شخصي مميّز؟»

«نوعًـا مـا». فـي الواقـع، لقـد كنـت أفعـل ذلـك حقّـا، إلـى أن أخبـر آلان والدتـي أنّ كل بنـس فـي حسـابي التوفيـري لا بـدّ أن يسـتخدم فـي دفـع نفقـات المحامـي. ولـم أحـب المسـار الـذي قادنـي إليـه خـط الأسـئلة هـذا، لـذا أومـأت برأسـي نحـو سيارة شـوفيل، وقلـت: «سـيارة جميلـة. مـا خطبهـا؟»

فـرك قفـاه وتنهّـد. «لقـد وضعـت مـازج هولـي جديـدًا فيهـا، ولا يمكننـي تعديلـه علـى مـا يبـدو».

انحنيـت لإلقـاء نظـرة فاحصـة. كان المحـرك نظيفًـا. وأراهـن أنّ هـذا الرجـل كان يعتنـي بهـذه السـيارة أكثـر ممّـا يعتنـي بزوجتـه. «إذًا؟ مـا مشـكلتها؟»

«كان هنـاك خلـل فـي الخمـول، فظننـت أنّهـا السـرعة، ولكنّهـا أصبحـت بطيئـة الآن. وقـد ظللـت أرقعهـا مـدة أسـبوعين، وأخبـرت فرانـك أنّنـي مسـتعد للاستسـلام وأخذهـا إلـى ورشـة تصليـح، لكـن هـذا بـدا كأنّـه خيانـة». وضحـك الرجـلان ضحكـة مكتومـة.

كان بإمكانـي رؤيـة المشـكلة بالفعل، لكنّنـي احتجـت إلـى سـماعها للتأكد.

«هل تسمح لي بتشغيلها؟»

تـردّد، وبـدا جليًـا أنّـه يحـاول معرفـة إن كان السـماح لـي بتشـغيلها فكـرة جيـدة. «بالتـأكيـد، المفاتيـح بداخلهـا».

كان داخـل السـيارة مذهـلًا بقـدر خارجهـا، ويمكـن شـمّ رائحـة جلـد المقاعـد. حيـن أدرت مفتـاح التشـغيل زأر المحـرك، فأنصـتُّ للأصـوات المنبعثـة مـن تحـت الغطـاء. لقـد كان محقًّـا بشـأن الخمـول. وبعـد دقيقـة، كان بإمكانـي شـم رائحـة الوقـود المحتـرق، فأطفـأت المحـرّك.

كان جـون يتفحصنـي مترقّبًـا، وفـي عينيـه شـيء مـن التحـدّي، ثـمّ قـال: «مـا رأيـك؟»

«أعتقد أنّ مازج هولي الذي وضعته كبير جدًّا».

ضحـك مـرة أخـرى، لكـن بـدا هـذه المـرة متوتـرًا. «مـا الـذي تتحـدّث عنـه؟»

«هـذا مـازج 750، أليـس كذلـك؟ أعتقـد أنّـه كبيـر جـدًّا. عندمـا كنـت تتحـدث، خمّنـت أنّـه قـد يكون الخانـق، لكـن بعـد ذلـك أصغيـت جيّـدًا للصـوت. أراهـن أنّ مـازج 650 سـيكون أنسـب. ربمّـا يمكننـي جعلـه يعمـل بشـكل *أفضل* قليـلاً، لكـن. .».

اختفـت ابتسـامته تمامًـا وقـال: «انتظـر لحظـة. لقـد وضعـت هـذا المـازج للتـو. وكل مـا يحتـاج إليـه هـو بعـض الضبـط».

كان مـع كل دقيقـة تمـرّ يذكّرنـي أكثـر بـآلان: «أردت رأيـي، وأعطيتـك إيّـاه».

«هـل تخبرنـي أن أشـتري مازجًـا جديـدًا بالكامـل؟» بـدا كأنّنـي أخبرتـه بـأن يـأكل حفنـة مـن الرمـل.

«حسنًـا، نعـم. أنـت بهـذا تعطّـل محـرك سـيارتك. وكمـا قلـت لـك، يمكننـي محاولـة تعديلـه..»

«لا، لا عليك». قال وقد بدا غاضبًا، لكن لا يمكنني معرفة إن كان غاضبًا من نفسه أو منّي. ثمّ أضاف: «سآخذها للميكانيكي ليلقي إليها نظرة في الغد».

اقشعرّ جسمي، وكان بإمكاني أن أشعر بالتوتر المألوف يزحف على كتفي ليمر عبر عنقي ويستقر في فكي.

كان فرانك يراقب هذا التفاعل، وقد فقدت تعابيره روح الدعابة أيضًا، وقال: «لا بأس برأي ثانٍ، أليس كذلك يا مورف؟»

«بالتأكيد». هززت كتفي، لكنّني شعرت بأنّني مجبر على ذلك.

أتى صوت فتاة صغيرة تتكلم من مكان ما وبدا صغيرًا جدًّا.

«بابا.. بابا.. هل يمكنني النهوض؟»

سحب ميلونهيد جهاز مراقبة الأطفال من جيبه، وقال: «ينبغي أن أعود إلى الداخل، جون». ثمّ ربّت على كتف صديقه، وأردف: «على الأقل لديك بعض الأفكار عندما تتصل بالورشة غدًا، أليس كذلك؟»

«بلى، بالتأكيد». قال جون وقد بدا فكّه مشدودًا هو الآخر. «شكرًا على مساعدتك يا فتى».

كان بإمكانه أن يقول *شكرًا على لا شيء*.

وقبل أن أستطيع قول أيّ شيء لوّح لي ميلونهيد قائلًا: «تعال يا مورف إلى الداخل، لأقدّم لك كأس ليموناضة».

كان من الغريب أن أكون داخل منزله. وكانت الواجهة الحجرية القديمة والمنظر الجانبي ذو اللون البيج يجعلانه يبدو مثل أي منزل آخر في هذا الشارع، لكن الداخل كان مفتوحًا مع القليل من الجدران ومرتّبًا وأنيقًا.

وبعد أن دخلنا قال: «فقط دعني أحضر ماريسول». تاركًا إيّاي وحدي في غرفة المعيشة.

لم يكن هناك رُفّ فوق المدفأة، ولكنها كانت محاطة بدرجات متفاوتة من الحجر الرمادي مع مجموعة من الصور معلقة في إطارات فضية فوقها. وكانت معظم الصور لطفلة لا بدّ أن تكون ماريسول حين كانت أصغر سنًا، لكن كانت هناك صورة تظهر ميلونهيد الشاب مع امرأة جميلة تطوق عنقه بذراعيها.

ومن خلال تعابير وجهيهما في الصورة يمكن للمرء أن يدرك أنّ الوقت كان يتوقف حين ينظر بعضهما إلى بعض.

«ديكلان!» صرخت فتاة صغيرة بحماسة، ثمّ وبلا سابق إنذار تقريبًا أمسكت بساقي، وقالت: «جئت لتلعب معي!»

ليت ردّ فعل الفتيات في سني كان بمثل هذه الطريقة حين أدخل الحجرة.

قلت: «بالتأكيد، يمكنّنا أن نلعب لعبة الليموناضة».

جعدت أنفها وسألت: «لعبة الليموناضة؟»

«نعم، أشرب قليلًا، ثم تشربين قليلًا، ثمّ تفوزين».

ضحكت، وقالت: «أحبّ هذه اللعبة».

كان ميلونهيد يراقبنا، ثمّ قال: «أنت لطيف جدًّا معها».

«أعتقد أنّني لا أستطيع أن أكدّر صفوها بإخبارها بأنّها قد أنفقت خمسمائة دولار على تحسينٍ لعينٍ لا قيمة له».

«لعين؟» كررت الكلمة، «ما معنى لعين»؟

اكفهر وجه والدها، فجفلتُ وكلّي إحراج، وقلت: «أنا آسف».

«لا بأس، تعال واجلس».

حين استقرت ماريسول مع أقلام التلوين وجلسنا نحن مع كأسين متعرقين على الطاولة بيننا، ألقى ميلونهيد إليَّ نظرة ثابتة وقال: «هل تعتقد حقًا أنّه يحتاج إلى مازج جديد؟»

هززت كتفي وأخذت رشفة من الكوب، وقلت: «أنا متأكد من ذلك».

أومأ ميلونهيد. «قبل أن تصل إلى هنا، قال إنّه ربّما يكون قد ارتكب خطأ. أعتقد أنّه كان يأمل أن تخبره بالعكس».

ارتفع حاجباي، وقلت: «إذن فقد كان على دراية؟»

«لا أظن أنّه أراد أن يعترف بذلك لنفسه. فهو دائمًا ما يعبث بهذا الشيء نهاية كل أسبوع، لكنّه مجرد هاوٍ». ثمّ توقف، قبل أن يتابع: «هل كان بإمكانك حقًا سماع موضع الخلل؟»

رحت أخط بإصبعي خطوطًا على الضباب المتشكل على طول الكأس. «ليس هذا بالأمر الصعب حين تكون معتادًا على ذلك. صحيح أنّني ابتعدت لفترة عن الممارسة، لكنّ الخلل في سيارته كان واضحًا جدًا».

«قلت إنّ والدك كان ميكانيكيًا؟»

أومأت. «لقد كان ميكانيكيًا بارعًا. وكان يمتلك ورشة خاصة بأعمال تطوير السيارات حسب الرغبة وتعديل سيارات هوت رود ومثل هذه الأشياء. كنت معه في الورشة كل يوم تقريبًا. وكان بإمكاني عمليًا إعادة تركيب ناقل الحركة قبل أن أتمكن من المشي». لم أكن أرغب في أن أفكر في والدي، لكن عقلي كان سعيدًا بتزويدي بالذكريات. وتذكرت حين دخلت في جدال محتدم مع أحد الرجال في الورشة حول توقيت الإشعال الصحيح

في سيارة تشيفي إمبالا، وكيف أن أبي بالكاد استطاع أن يتوقف عن الضحك ليخبر الرجل بأنّني كنت على حق. كنت حينها في الثامنة من عمري. «لقد علمني أن أقود السيارة بمجرد أن أصبحت طويل القامة بما يكفي لأشتغل على القابض وأرى ما فوق عجلة القيادة في نفس الوقت. وكنت أقود السيارات داخل وخارج الورشة دون تفكير».

وتسللت الذكريات الأكثر قتامة أيضًا، عن تلك الأوقات التي اضطررت فيها إلى القيادة لمسافة أبعد بكثير من المسافة التي بين آخر المرأب ومدخله. وعن الأوقات التي كنت أرتدي فيها قبعة رياضية وأمدّ قامتي لأبدو أطول قدر الإمكان لأنّني كنت قلقًا من أن يلحظني رجال الشرطة ويكتشفون أنّ طفلاً هو من يقود السيارة.

حين أعيد النظر إلى الماضي، أتمنى لو أمسك بنا شرطي ما. ربّما كانت كيري لتكون هنا اليوم.

«أين والدك الآن؟» سألني ميلونهيد.

كان صوته حذرًا بعض الشيء، وفي العادة أتفادى هذا السؤال لأنّ هناك الكثير من الألم والشعور بالذنب يلتفان حول هذه الذكريات. لكنّ ميلونهيد لم يكن يحكم علي، ولو كان كذلك، لما طلب منّي مساعدة جاره. ولا كان ليسمح لي بالاقتراب من ابنته. كان هذا الشعور بالملاذ غريبًا تقريبًا، وهو شيء أشعر به عادة مع ريف فقط.

«إنّه في السجن»، قلت بهدوء وعيناي على الكأس. «لقد قاد سيارته وهو ثمل. فتعرّض لحادث وماتت أختي».

وضع ميلونهيد يده على يدي. «آوه، مورف. أنا آسف».

فاجأتني اللمسة، وهي غير مألوفة لدرجة أنّها تكاد تكون غير مريحة. سحبت يدي وفركت مؤخرة عنقي، ثمّ قلت: «لا بأس. لقد مضى على هذا وقت طويل».

«هل رأيته بعد ذلك؟»

هززت رأسي. «لم تذهب أمّي قط، لذا لم أفعل ذلك، أيضًا».

«تزوجت والدتك مرة أخرى، صحيح؟»

«نعم».

«كيف هو الحال؟»

نظرت إليه وابتسمت نصف ابتسامة وقلت: «ماذا، هل أنت المعالج النفسي الذي عيّنته المحكمة؟»

«لا، أنا فقط أحاول اكتشافك».

أخذت رشفة من الليموناضة. «ليس هناك الكثير لاكتشافه».

«أنت تعمل بجد. لا تضايقني كثيرًا، وذكي. لا يأتي فتيان مثلك للخدمة المجتمعية كثيرًا».

«أنا فقط لا أريد أن أتعرض للمضايقة».

«لا أعتقد أنّ هذا كل شيء». ثمّ توقف وأضاف: «لديك مشكلة في الشرب يا مورف؟»

«هذا واضح». تنهدت وتجرعت المزيد من الليموناضة. «أعني، لقد قرأت سجلي، أليس كذلك؟»

«نعم، فعلت. هل لديك مشكلة في الشرب؟»

هززت كتفي، ثم هززت رأسي. أستطيع أن أتذكر مذاق الويسكي الحارق كما لو أنّه حدث بالأمس. ولا أتذكر الكثير بعد

ذلـك، لكـن مـا زلـت أتذكـر الحـرق بوضـوح.

«لا».

«هل كانت لديك في السابق؟»

هـززت رأسـي مـرة أخـرى وأجبـت: «لقـد كان يومًـا واحـدًا فقـط.. يومًـا غبيًّـا».

كان ذلك ثاني أسوأ يوم في حياتي من عدة نواحٍ.

«هل تريد أن نتحدث عن ذلك؟»

كانت الغرفة قد بدأت بالانكماش تدريجيًا، وبدأ العرق يتجمع بين عظام كتفي. سيضغط عليّ أكثر، وسأنفجر هنا، تاركًا ثغرة بحجم ديكلان في الجدران الجافة.

«ليس تمامًا، لا».

«هوّن عليك». ثمّ وضع يده على كتفي وهزّني بلطف، وأردف: «خذ الأمر ببساطة. لم أقصد استعجالك». أخذت نَفَسًا وأفلتُّ الكأس. ولم أكن أدرك مدى إحكام قبضتي عليها حتى أفلتها من يدي.

«آسف».

هرعت ماريسول إلى المطبخ وفي يديها الأوراق. «ديكلان! أنا أرسمك!»

ثمّ دفعت رسمتها أمامي. كان رجل عصا ملونًا مع شعرٍ بني.

قلت لها: «هذا رائع». وبطريقة ما كان صوتي ثابتًا. «هل يمكنكِ رسم واحد آخر لي؟»

«نعم!» وركضت.

غرق المطبخ في الصمت مجدّدًا، وظلّت عيناي مثبتتين على كأسي.

أخيرًا قال ميلونهيد: «أيمكن أن أقول لك شيئًا واحدًا؟»

ابتلعت ريقي: «بالتأكيد».

«يوم واحد ليس حياتك كلّها يا مورف». ثمّ انتظر حتى نظرت إليه، وأضاف: «اليوم هو مجرد يوم».

أطلقت ضحكةً ساخرة، وتراجعت في مقعدي. «إذًا ماذا تقول؟ ينبغي للناس ألا أن يحكموا عليّ بسبب خطأ واحد؟ قل ذلك للقاضية أوروروس».

مال على الطاولة، وقال: «لا، يا فتى. أنا أقول أنّه يجب ألا تحكم أنت على نفسك بسبب ذلك». ثمّ صمت قبل أن يضيف: «هل عيّنت لك المحكمة معالجًا نفسيًّا؟»

رمقته بنظرة. سيضطرون إلى جرّي بيدين مكبلتين لذلك. «لا».

ارتفع حاجباه وقال: «هل تعتقد أنّ هناك خطأ ما في أن تتحدث إلى شخص ما؟»

«لست بحاجة إلى شخص أتحدث إليه. أنا بخير».

«كلّ شخص بحاجة إلى شخص ما للتحدث إليه، يا فتى». تردّد قليلًا قبل أن يتابع: «هل لديك أيّ شخص على الإطلاق؟»

مرّرت إصبعي مجدّدًا عبر كأسي، ثم رفعت عيني نحوه وأجبت: «نعم، لديّ أحدهم».

مكتبة
t.me/soramnqraa

الفصل السابع والعشرون

من: الظلام <TheDark@freemail.com>
إلى: فتاة المقبرة <cemeterygirl@freemail.com>
التاريخ: الأحد، 6 أكتوبر الساعة: 11:58:35 مساءً
الموضوع: القصة كاملة

فيما يتعلّق بوالدتك، هل شعرتِ يومًا بأنك قد دفنتِ كل أنواع الذكريات في صندوق، لكن بمجرّد أن يسحب أحدهم واحدة، تتحرر جميعها؟ لقد حدث لي هذا اليوم. حيث بدأ أحدهم بسؤالي عن والدي، والآن أجدني عاجزًا عن التوقف عن التفكير فيه.

لطالما اعتقدت أمي أن والدي هو الذي علّق النجوم في السماء. ولم تكن وحدها التي تعتقد ذلك؛ إذ لم يكن من الممكن أي يفعل أي شيء خاطئ في عيني، وفي أعين الكثير من الناس. لقد كان رجلاً ودودًا دائم التبسم متصالحًا مع الجميع. كان يجيد التحدث في الرياضة والسياسة، ويمكنه أن يجعل أختي تضحك على مائدة العشاء حتى عندما تكون في حالة مزاجية سيئة. كان يحملني أنا أو أختي على ظهره ويركض حول الفناء الخلفي، يطارد من لا يزال منّا على الأرض. وكان يدير عمله الخاص، وقد كسب مالًا جيّدًا. لقد ظنّ الجميع أننا الأسرة المثالية.

لكن ما لم يعرفوه هو أنّه كان يشرب الخمر كما لو كان ماءً. قد يضع كثير من الناس الشرب على الرف بجانب الغضب والعنف.

لكنهم لا يدركون أنّه يمكن للسكارى السعداء أن يكونوا بخطورة السكارى المجانين والعنيفين ذاتهم بل وأكثر خطورة حقًا، حين أفكّر في الأمر الآن. كان الناس يسألون أمي لماذا لم تتركيه سريعًا، كما لو أنّه كان يضربها في عطلة نهاية الأسبوع أو شيء من هذا القبيل، لكن لم يحدث أن مد يده عليها قط. فهو لم يكن من ذلك النوع من السكيرين. لقد أحب أمي. وأحبنا نحن أيضًا. ولم يكن ذلك بالمشكلة أبدًا.

لقد أحببناه جميعًا. وربّما كانت هذه هي المشكلة.

عندما كنت صغيرًا جدًّا، كنت أعتقد أنّه لأن أبي كان سعيدًا، فقد كنّا جميعًا سعداء. وقد استغرق الأمر منّي بعض الوقت لفهم التوتر البادي على وجه والدتي عندما كان يعود إلى المنزل ثملًا. وعندما بلغت التاسعة من عمري تقريبًا، بدأت باكتشاف ذلك. كان صوته يتغير. لقد كان متساهلًا جدًا شديد النسيان. ولم أعد أحصي عدد المرات التي نسي فيها اصطحابي من المدرسة، وبدأت بالمشي إلى المنزل فقط كي يتوقف المعلمون عن طرح الأسئلة. وكنت أذهب للعمل معه في عطلة نهاية الأسبوع، وفي بعض الأحيان كان ينسى اصطحابي إلى المنزل معه. فكانت أمي تأتي وتأخذني في وقت لاحق، وتهز رأسها للرجال الآخرين بشأن زوجها «مشتت الذهن».

كان جميعهم يعرف بأمره، أنا على يقين من ذلك، لكنهم لم يفعلوا شيئًا قط ولا فعلت هي أيضًا.

كما قلت، سكير سعيد أحبّه الجميع.

كان غير مؤذٍ، أليس كذلك؟

أنا متأكد من أنك تعرفين ما كان يقبع في نهاية هذه الطريق. فقد أخبرتك بأنّه قتل أختي.

كان عمري ثلاثة عشر عامًا، حين بدأت أقلّه إلى المنزل في عطلة نهاية الأسبوع. أعلم أن هذا قد يبدو جنونيًا، لكنّه علّمني القيادة في سن صغيرة. كان ذلك أشبه إلى حد ما بقدرة أطفال المزارع على حرث حقل بمجرّد بلوغهم السابعة من العمر، أو قدرة الأطفال الذين كبروا في بيئة صيد على إطلاق النار من بندقية بمجرد أن يصبحوا أقوياء بما يكفي لحمل واحدة. لقد كنا دائمًا آخر من يغادر الورشة ويغلقها، لذلك كان الأمر سهلاً.

كنت دائمًا خائفًا جدًا من أن يمسك بي أحد، لكن لم يكن أمامي أيّ خيار آخر. وقد أدركت أن ترنح أبي على الطريق لم يكن لعبة، بل كان تهديدًا. ففي إحدى المرات اصطدم بشيء لكنّه واصل طريقه. وما زلت إلى الآن لا أعرف ما كان ذلك الشيء، لكن أحيانًا تراودني كوابيس أنّنا قد اصطدمنا بأحدهم. أتذكر أنني سألته مرارًا وتكرارًا إن كان ينبغي لنا العودة والتحقق، لكنّه لم يكن يدرك حتى أنّنا قد اصطدمنا بشيء. وأخبرت أمي عن ذلك، فهزت رأسها وأخبرتني بأنّني أبالغ في ردة فعلي.

ذات ظهيرة من أحد أيام السبت، اتخذت قرارًا بإخفاء مفاتيحه.

يومها، راح يدور حول مكتبه متعثّرًا، ويغلق الأبواب ويتفحص الجيوب في انفعال. وظللت منكمشًا في الزاوية والمفاتيح في جيبي، تكاد تهتز من شدّة التوتر خشية ممّا قد يحدث.

قلت له حينها: «ربّما يجب علينا الاتصال بأمّي؟»

أطلق زفرة وقال: «والدتك تعمل».

«ماذا ستفعل إذا لم تتمكن من العثور على مفاتيحك؟»

كنت آمل أن يقول إنّه سيستدعي سيارة أجرة، أو أنّه سيتصل بأحد الرجال ليقلّنا.

لكنه لم يفعل، بل جرف كل شيء عن مكتبه.. كل شيء.. مخلّفًا فوضى في المكان، وراح يصرخ: «اللعنة عليكم أيّها الناس. سأمزّق أحدكم لسرقته مفاتيحي».

كانت هذه هي المرة الأولى التي أرى فيها الوجه الآخر لكون المرء مخمورًا.

عندها، بدأت بـ «مساعدته»، و«عثرت» سريعًا على مفاتيحه. لقد كنت أرتجف، ولم أكن أريده أن يقود، لا سيما في تلك الحال. أبقيت صوتي خفيفًا، كما لو كنت أمزح، وقلت: «ربما يمكنني القيادة إلى المنزل. خشية أن يمسك بنا شخص ما».

ولمدة نصف ثانية، ظننت أنّه سيأخذ المفاتيح من يدي. لكنّه لم يفعل، بل ضحك وربّت على ظهري وقال: «فتى طيب».

وكانت تلك البداية.

لم أخبر أحدًا بذلك حينها، ولا حتى أعز أصدقائي. لقد أحببت والدي، وعرفت أنّ هذه هي الطريقة الوحيدة لإبعاده عن المشكلات. كنت حينها طويل القامة مقارنة بسنّي، وكنت أرتدي قبعة بيسبول، لذلك لم ينتبه إليّ أحد. لقد كان من المدهش ملاحظة عدد الأشخاص الذين كانوا يشيحون أنظارهم حين لا ينتبهون إلى أنّ شيئًا ما قد يشكّل خطرًا كبيرًا.

لم تكن أختي مدركة للأمر، وأبقينا الوضع على هذا النحو.

ولـم تكـن لتكتشـف ذلـك علـى أي حـال. وكان أبـي قـد تخلـى منـذ فتـرة طويلـة عـن محاولـة تعليـم أيّ شـيء ميكانيكـي لكيـري، فقـد كانـت فتـاة أنثويـة بـكل معنـى الكلمـة. لقـد كانـت طفلـة، وكنـت أراهـا فـي عينـي رضيعـة. حينهـا كنـت فـي الصـف الثامـن، وظننـت بغبـاء أنّنـي كنـت مميـزًا. لـم أكـن أخـرق القانـون! بـل كنـت رجـلاً يعتنـي بأسـرته. لقـد كنـت أقـدّم المسـاعدة.

أعتقد أن أمي بدأت تعتمد فيما بعد على قيادتي.

أعلم أنها فعلت.

وكانـت قـد طلبـت منـي الاعتنـاء بوالـدي فـي اليـوم ذاتـه الـذي ماتـت فيـه أختـي. وكانـت هـذه هـي الشيفرة بيننـا. فعبـارة «اعتـنِ بـه» كانـت تعنـي: «أقـلّ والـدك إلـى أي مـكان يريـده».

نهاية ذلـك الأسـبوع، كان مـن المفتـرض أن أذهـب إلـى رحلـة ليلية خاصـة بالكشـافة. وكنـت أتطلـع إلـى تلـك الرحلـة منـذ أسـابيع، ولكـن يومهـا اسـتُدعيت أمـي للعمـل. وكان أبـي قـد احتسـى نصـف دزينـة مـن الخمـر بحلـول السـاعة التاسـعة صباحًـا. ولـم تكـن أمّـي ترغـب فـي أن يـرى أي شـخص فـي المخيـم أبـي معـي ورائحـة مصنـع الجعـة تفـوح منـه. لذلـك أُلغيـت رحلتـي.

ظللـت يومهـا أتجـول فـي المنـزل لسـاعات، أصفـق الأبـواب وأتنهـد مـن خيبـة الأمـل. أنـا متأكـد مـن أنّـك تسـتطيعين أن تتخيلـي ذلـك. وعندمـا طلـب منّـي أبـي أن أقلّـه إلـى الورشـة، أغلقـت بابـي فـي وجهـه وأخبرتـه أن يذهـب إلـى هنـاك بنفسـه إذا كان يريـد الذهـاب بشـدة.

اعتقـدت أنـه سـيبقى فـي المنـزل. ففـي تلـك الفتـرة القصيـرة كنـت قـد اعتـدت أن أكـون سـائقه، وافترضـت أنّـه إذا لـم أقلّـه أنـا

فسيبقى في المنزل.

لكنني كنت مخطئًا. فقد غادر المنزل.

أخذ كيري معه، وواحد منهما فقط عاد إلى المنزل.

عاد الطقس العاصف من ليلة الجمعة، ما اضطر الجميع إلى البقاء في الكافتيريا قبل بدء الدراسة. وكانت وجبة الإفطار الخاصة لهذا اليوم هي الفطائر والهاش براونز لذا فإن المكان كان مزدحمًا جدًّا. تجاوزت روان الفطائر لأخذ كوب من الفواكه. ولست أتذكر آخر مرة سنحت لنا الفرصة للجلوس وتناول الطعام قبل بدء المدرسة. وليس الإفطار بأمر ينجز في عجالة حين يكون لدى مئات الأشخاص الآخرين الفكرة ذاتها.

منعني المطر هذا الصباح من الذهاب إلى المقبرة، وشعرت بالحاجة إلى بعض الطعام المريح. وقد ظلت كومة من الفطائر تستقر على صحني دون أن ألمسها.

فبعد أن وضعت الفطائر أمامي، لم أتمكن من أخذ قضمة واحدة منها.

«ما خطبك هذا الصباح؟» قالت روان، وهي تقذف بحبة توت في فمها.

لم أستطع التوقف عن التفكير في رسالة «الظلام». ولا أستطيع أن أذكر كلمة واحدة منها لروان. صحيح أنّه لم يطلب منّي الحفاظ على سرية كلماته، لكنّه لم يكن بحاجة إلى ذلك.

قلّبت الفطائر، لكنها بدت كركام كبير ولزج.

«فقط أفكر».

«تفكرين في فتاك الغامض؟»

ضيّقت عينيّ وأنا أنظر إليها، وقلت: «لا تسخري من الأمر».

فهزّت كتفيها بهدوء وقالت: «أنا لا أسخر من ذلك. لماذا لا تحاولين معرفة من هو؟»

«لقد فكرت في الأمر». ثمّ ترددت، حين تذكرت رسالته، قبل أن أردف: «لا أعتقد أنّ لدينا هذا النوع من العلاقات. أعتقد أنّها ناجحة فقط لأنّ لا أحد منّا يعرف الآخر».

«ما الذي تتحدثين عنه؟»

أشحت بنظري وأبعدت الفطائر مرة أخرى. سأكون كاذبة إذا قلت إنّني لم أكن أشعر بالفضول الشديد بشأنه. وتساءلت ماذا كان سيحدث لو لم يظهر ديكلان مورفي ليلتها. لن يكون بإمكاني أبدًا التحدث بانفتاح مع أي أحد. فمع الظلام، لم أكن مجرّد فتاة متّزنة قبل أن تحيد بها السكة. بل كنت فقط. . . أنا. وكان هو فقط. . . هو.

كانت روان لا تزال تنتظر إجابة. فدفعت قطعة من الفطيرة في فمي، وقلت: «لا شيء. مجرد. . . أمور».

«يا إلهي، جولز. لقد تضرّجت وجنتاك خجلًا!»

هذا مروّع. لقد كانت محقة. فبإمكاني أن أشعر بذلك. «لا، هذا غير صحيح!»

مالت على الطاولة وراحت تغيظني: «هل تحتاجين إلى مرآة؟ لونك أحمر فاتح».

«توقفي عن هذا. الأمر ليس كذلك. إننا نتكلم في. . . مواضيع جادّة».

لم أرغب في أن أقول «الموت». فحتى هذا القدر من الإفصاح يبدو كسرًا للثقة. «نحن لا نتغازل».

فجأةً، تعلّقت عينا روان بشخص خلفي، وقالت: «أعتقد أنّ السيد جيراردي يبحث عنك مرة أخرى».

انتظرت أن تجتازني الحاجة الغريزية إلى الاختباء، لكنّها كانت مفقودة هذا الصباح. وبدل ذلك، أدرت المقعد وبحثت عن مدرسي القديم في التصوير الفوتوغرافي. وحين رآني تهلّل وجهه، وراح يشق طريقه عبر الكافتيريا إلى حيث كنّا نجلس.

ثمّ قال: «جولييت، أنا سعيد لأنني وجدتك هذا الصباح. لقد سنحت لي الفرصة لتنزيل الصور التي التقطتها ظهيرة الخميس، وقد حصلت على بعض اللقطات المذهلة. استخدامٌ لطيف للضوء حقًا».

قالت روان: «ربّما كانت معظمها من اللقطات التي التقطتها أنا».

قطّب حاجبيه، وقال «ماذا؟»

«إنّها تتصرف بسخافة». ثمّ ترددت قليلًا. فمن الغريب أن أحظى بالثناء على صور التقطتها بعد فترة طويلة من عدم الممارسة. «شكرًا».

«كنت أتساءل إن كان لديك الوقت لمساعدتي في تعديل بعضها لأجل الكتاب السنوي».

تجمّدت.

كان يتكلم وسط الصمت، وكان صوته رقيقًا ومريحًا. «فقط إذا كان لديك الوقت. لم أكن لأرغب في التدخل في عملك لو لم أضطر إلى ذلك».

بدأت أشعر بذلك الضيق المألوف يلتف حول صدري، فأشحت بنظري عنه. صحيح أنني كنت سعيدة لأنني التقطت الصور، لكنّ العودة إلى ورشة التصوير يعني أنّني أدنو قاب قوسين من الانضمام إلى هذا العالم. ثمّ نظرت إليه وقلت: «لا أدري.. هل يمكنني التفكير في الأمر؟»

«بالتأكيد». قال وقد بدأ بالابتعاد، لكنّه توقف بعد ذلك. «هناك صورة واحدة على وجه الخصوص أودّ منك أن تعديلها بنفسك، إذا كنت لا تمانعين. أعتقد أنها ستكون صورة مثالية لتلتف حول الغلاف».

توقف نبض قلبي وعاد إلى الحياة. ففي كل عام، يضعون صورة تلتف حول غلاف الكتاب السنوي، من الجزء الخلفي إلى الجزء الأمامي. وكان هذا يُعدّ أمرًا مهمًّا، وعادة ما يُخطّط لها بعناية. ولا أدري إن كانت صورة ما التقطها أحد الطلاب. «حقًا؟»

أومأ قائلًا: «أجل». حينها دق الجرس الأول، فنظر إلى الساعة، وقال: «عليّ العودة إلى صفي. أعلميني، اتفقنا؟»

«اتفقنا». وانجرّ صوتي خلفه وهو يشق طريقه عبر حشد الطلاب.

ضربتني روان على ذراعي، وقالت: «جولز! هذا رائع!»

قبل عام كان هذا ليكون حلمًا يتحقق، أمّا الآن، فلست متأكدة من شعوري حيال ذلك. لقد ابتعدت عن التصوير لسبب ما. فأنا لن أمتلك أبدًا موهبة كموهبتها. وبدت نشوتي بمدح السيد جيراردي طفيفة جدًّا مقارنة بما كان يمكن لأمي أن تلتقطه بالكاميرا.

قلت: «لا بد لي من الذهاب إلى الصف. أنا في غنى عن أن أحتجز مجدّدًا».

لا بدّ أنّها قد التقطت تغيّر مزاجي. «هل أنت بخير؟»

«نعم، أنا بخير». ثمّ اجتزتها لألقي بما تبقى من فطائر في القمامة، وهرعت إلى الفصل.

انتهى بي المطاف في طريق ديكلان مورفي. وكان يحمل بين يديه وعاءً فارغًا، لذلك لا بد أنّه كان متّجهًا إلى القمامة أيضًا. وفكرت في الاختباء والاستسلام لتدفق الطلاب، لكنّني أدركت أنّه على ما يبدو قد فكّر في الشيء ذاته.

وللحظة تجمّد كلانا، لكنّه تابع حركته بعد ذلك، ورمى بالوعاء في القمامة قبل أن يتوقف أمامي. بدا طويل القامة ومهيبًا أكثر من أي وقت مضى، ولكن بعد الطريقة التي ساعدني بها في المطر، لم يكن مخيفًا تقريبًا. لقد ظللت أفكر في الحديث الذي دار بيننا ليلتها، وكيف يُحكم على الناس من خلال لقطة واحدة من حياتهم، وسأنظر إليه بدوري.

قلت: «مرحبًا».

«مرحبًا». كان صوته أهدأ ممّا توقعت، وقد خلق حضوره فجوة بيننا. كنت سأتأخر عن صفي، ولكن للحظة، لم أرد أن أبرح مكاني.

ثمّ قلت: «لقد حصلت على إطارات جديدة، وبطارية جديدة».

طرف بعينه، وقال: «لقد لاحظت ذلك».

«لاحظت؟»

«حسنًا، لقد لاحظت الإطارات». ثمّ رفع كتفًا واحدة، وأضاف: «من الصعب تفويت سيارتك».

«أوه». هل يقصد إهانتي بهذا؟ لم أعرف ما أقول ولم أستطع قراءة تعابيره.

اقترب قليلاً، وللمرة الأولى بدا أقل تحفظًا ومترددًا تقريبًا: «حسنًا، أردت أن أسألك شيئًا».

نظرت إلى عينيه. لقد كان هذا مختلفًا تمامًا عمّا كنّا عليه حين كنّا في السيارة، وكنت على وشك الالتصاق بالباب لأبقى بعيدة عنه. وقد جعلني اندفاع الطلاب أقترب منه أكثر، مبتعدة عن طريقهم. لم يسبق أن فكرت على الإطلاق في أنّني سأكون قريبة منه بهذا الشكل، نتبادل الكلمات كأنّنا لا نقبع على طرفي الطيف.

أمسكت روان ذراعي وهي تلهث، وقالت: «جولز، ماذا تفعلين؟» ونظرت إلى ديكلان بازدراء. «اعتقدت أنّك لا تريدين أن تتأخري».

قلت لها بينما دق الجرس الثاني: «لحظة واحدة فقط». كانت لا تزال أمامنا ثلاث دقائق لنكون في مقاعدنا، لكنّ عقلي الباطن كان يحثني على أن أستمر في هذا. ألقيت نظرة إلي ديكلان لكن كان بإمكاني أن أرى تعابيره قد تغيَّرت وانغلقت. «ماذا تريد أن تسألني؟»

نظر إلى كلينا، وقال: «لا شيء، لا تشغلي بالك». ثمّ ابتعد، وانساب وسط حشد الطلاب في طريقهم إلى البوابة.

«انتظر!» ناديته، لكنّه كان قد ذهب.

الفصل الثامن والعشرون

من: فتاة المقبرة <cemeterygirl@freemail.com>
إلى: الظلام <TheDark@freemail.com>
التاريخ: الاثنين، 7 أكتوبر الساعة: 09:12:53 صباحًا
الموضوع: أفكار حانقة

ظللت أفكر في رسالتك الأخيرة منذ أن استيقظت.

لقد أمضينا الكثير من الوقت نتحدث عن الشعور بالذنب واللوم، وعن المسارات المتقاطعة واللحظات الحاسمة الفردية، لكنّني الآن أشعر برغبة في أن أوجّه لكمة لأحدهم. يبدو واضحًا أنّك تحمّل نفسك مسؤولية ما حدث لأختك، وهذا ما يزيد من شدّة حنقي. أريد أن أعثر على والديك وأضربهما حتى يفقدا الوعي. أتمنى ألّا تكرهني لقولي هذا، لكنني سعيدة لأنّ والدك في السجن. وأعتقد أن والدتك يجب أن تكون هناك كذلك. من ذا يسمح لطفل يبلغ من العمر ثلاثة عشر عامًا بالقيادة في أرجاء المدينة لحماية شخص مخمور؟ من يفعل ذلك؟

لقد صرخت للتو على المدرس الذي طلب منّي أن أضع هاتفي.

أنا غاضبة جدًا حتّى أنّه سينتهي بي الأمر في الحجز.

لا أصدق أنّ والديك قد وضعاك في هذا الموقف.

لا أصدق أن والدتك قد سمحت باستمرار الأمر.

لا أستطيع أن أصدق أنّني لا أعرف من أنت، لأن ما أريده الآن هو أن أتجول في قاعات هذه المدرسة إلى أن أعثر عليك، وأمسك بك وأهزك وأخبرك بأنّ هذا لم يكن خطأك. هل تفهمني؟ هذا لم يكن خطأك.

هل يعرف أيّ أحد آخر عن هذا؟

إنّك تعرفين من أنا. اعثري عليّ.. أمسكيني.. هزيني.. أرجوك.

أردت أن أكتب هذه الكلمات بشدة. لقد كنت أرتعش حرفيًا من الداخل. حتّى ريف لا يعرف الحقيقة كاملة. والآن، ها قد ألقيت بكل حملي على فتاة لا تزال تعتقد على الأرجح أنّ أنا الحقيقي هو مجرد هدر للمساحة لا قيمة له. لقد كدت أخبرها بذلك هذا الصباح، لكنّني الآن سعيد لأنّني لم أفعل ذلك. هل كانت ستظل تشعر بهذه الطريقة إذا عرفت أنّه أنا؟

ومع ذلك، ظلّ شعورها بالألم لأجل أنا الآخر يحتل المشهد، فيتضخم صدري من الضغط. لا أتذكر آخر مرة دافع فيها شخص آخر غير ريف عنّي. وتجمّع بخار العاطفة في رأسي، فشعرت بالحرارة في عيني.

حسنًا، أنا بحاجة إلى إغلاق هذا. وأغلقت التطبيق ودسست الهاتف عميقًا في حقيبتي.

لكن سرعان ما شعرت بالرغبة في سحبه من جديد وقراءة كلماتها مجدّدًا. أعلم أنّ والديّ كانا مخطئين عندما سمحا لي بمواصلة القيادة. أنا أعلم ذلك.

لكن كانت لديّ بدائل أيضًا. كان بإمكاني إخبار شخص ما. كان بإمكاني استدعاء سيارة أجرة في المرة الأولى لكن لم يكن عليّ قط التطوع في المقام الأول.

كان بإمكاني قيادة السيارة في يوم وفاة كيري، لكنّني كنت أنانيًا وغبيًا، وكان في وسعي إيقافه. لقد تصرّفت بأنانية وغباء في مايو الماضي أيضًا، عندما قدت سيّارة والدي صوب ذلك المبنى. ولم يدفعني أحد لفعل ذلك أيضًا.

أتساءل كيف ستشعر فتاة المقبرة إذا جمعت هذين الحدثين معًا.

«ديكلان، هل تمانع في قراءة أول سطرين؟»

كان الجو مثقلًا بالتوقعات. رفعت بصري وأدركت أنّ أمام كل شخص آخر كتابًا مدرسيًا مفتوحً ودفاتر وأقلامًا جاهزة. وأنا لا أزال جالسًا هنا مع كتاب مغلق، بلا قلم أو ورقة أمامي.

كانت السيدة هيلارد تراقبني. ودون أن يتغيّر صوتها، أو أستشف فيه ذرة من نفاد الصبر، قالت: «الصفحة الرابعة والسبعون. السطران الأولان».

كان بإمكاني النهوض بتثاقل والتنهد والتصرف كما لو كان طلبها عبئًا ثقيلًا، لكنّها لم تضايقني، لذا يمكنني رد الجميل. قلّبت الغلاف ووجدت الصفحة، ثم رحت أقرأ دون أنّ أهتم حقًا بالكلمات. فقد كان عقلي لا يزال عالقًا في تلك الرسالة، وفي أعصاب جولييت التي ثارت لأجلي.

«لا يمكن للعالم أن يهب بهجةً كتلك التي يسلبها، حين يخفت وهج الفكرة الأولى مع تحلّل المشاعر الباهت».

راحت الكلمات تنقر في رأسي، كأنّ عقلي كان في انتظارها. وانبعث حفيف الأوراق في مكان ما من خلفي، لكن على خلاف ذلك كانت الغرفة هادئة.

سألتني السيدة هيلارد: «برأيك ما معنى هذا؟»

ظلّ صدى كلمات القصيدة يتردّد في رأسي مرارًا وتكرارًا، رغم أنّها قد أصبحت الآن ذكرى. أتذكر هذه القصيدة ذاتها وهي تُقرأ في مناسبة مختلفة. وراح رأسي يرن بصوت أمي، وهو تقرأ هذا البيت بالضبط.

تفحصتني السيدة هيلارد، في انتظار سماع ما سأقوله، ثمّ اقترحت: «اقرأها مجدّدًا لنفسك. هيّا جميعًا أعيدوا قراءتها. امنحوها لحظة من وقتكم، ودعوها تتغلغل داخلكم».

راحت عيناي تقرأان البيت مرة أخرى كما لو أنّ الحبر على الصفحة قد سحبهما إليه.

توقف الوقت، للحظة فقط. وكان عقلي متشابكًا بين فكرة الموت والشعور بالذنب، وعجزت عن قراءة كلمة أخرى من هذه القصيدة. شعرت بأنّ صدري سينفجر أو ربّما رأسي. كان الدم يزمجر في أذني ويصم أذنيّ.

أغلقت الكتاب ودفعته في حقيبتي. لم يسبق أن غادرت الفصل، لكنّني اتجهت الآن نحو الخارج. فلحقت بي السيدة هيلارد وهي تصيح: «ديكلان!»

قلت: «سأذهب إلى المكتب». وخرج صوتي خشنًا ومنكسرًا، لكنّني لم أهتم حتى.

«انتظر. أخبرني ما الذي حدث للتو».

قلت بصوت عالٍ وغاضب: «أكره هذا!». ثمّ التفت إليها في الردهة، وأضفت: «هلّا تركتني وشأني؟»

لم تتفاعل مع غضبي ولم تحاول تهدئتي. «لماذا؟»

انفتح باب أسفل الرواق، وأطلّ مدرس آخر برأسه. فرآني في الردهة، أقف بقبضتين مشدودتين وكتفاي نحو الأعلى، ثمّ نظر إلى السيدة هيلارد.

قال: «هل تريدين مني الاتصال بالأمن؟». بالتأكيد.

«لا، لا أحد يحتاج إلى الأمن». ثم خطت السيدة هيلارد خطوة من بابها لتقف أمامي مباشرة. لم يتحرك المدرس الآخر من مكانه، لكنّها تتجاهله. وقالت: «اذهب إلى المكتب. هلّا انتظرتني هناك؟»

بدا جسدي كأنّه على وشك الانهيار، لا يشدّ بعضه إلى بعض سوى الطريقة التي تنغرز بها أصابعي في راحتي، لكنّني مع ذلك استطعت أن أومئ.

قالت: «جيّد، سأكون هناك بعد الصف».

***

بنيت مدرسة هاميلتون الثانوية منذ أكثر من ثلاثين عامًا، وبإمكان المرء رؤية مرور الزمن في الأماكن التي لم تشهد الكثير من التحسينات، وكان المكتب الرئيسي أحدها. كانت أسطح مناضد المكتب ذات لون برتقالي زاهٍ مع بقع تقشر طلاؤها. وكانت الجدران المؤطّرة ذات لون أبيض لامع، أعيد طلاؤها عدّة

مـرات حتـى بـدت كأنّها لا تـزال رطبـة. وقـد قامـت الإدارة بعمـل لائق فـي محاولـة اسـتقطاب الطـلاب، بتخصيـص مسـاحة صغيـرة علـى الجانـب وُضعـت بهـا مقاعـد فخمـة وطاولـة مسـتديرة وأرفـف مـن كتيبـات الكليـة وكتيبـات التوجيـه.

عندمـا اجتـزت الأبـواب الرئيسـية، أردت أن أسـأل عـن غرفـة المرضـى، لكـن الشـيء الوحيـد الأسـوأ مـن انتظـار المدرسـة كان انتظـار والدتـي. نظـرت إلـيّ إحـدى السـكرتيرات، واسـمها بيفرلـي سـاندرز. كانـت قـد صبغـت شـعرها أشـقر فاتحًـا هـذا العـام، وكان لديهـا ولـع تجـاه أطقـم السـترات المزركشـة. كانـت تخـوض إجـراءات طـلاق.

يمكن القول إنّني تردّدت كثيرًا على مكتب المدير.

لقـد تعطّلـت التدفئـة هنـا هـذا الصبـاح، وكنـت أتجمّـد، وشـعرت كأنّ جسـدي ينكمـش علـى نفسـه. لقـد بـدا كل شـيء مـن حولـي ضخمًـا، حتـى صـوت أنفاسـي فـي أذنـي.

لـم تتوقـف السـيدة سـاندرز عـن الرقـن، وقالـت: «سـأخبر السـيد ديفيجليـو أنّـك هنـا».

كان السـيد ديفيجليـو هـو نائـب المديـر، وهـو المسـؤول عـن التعامـل مـع مشـكلات الطـلاب. وقـد كنـا صديقيـن رائعيـن.

وأقصـد بهـذا أنّنـي أفضـل أن أغلـق البـاب علـى يـدي علـى أن أجلـس معـه فـي مكتـب واحـد. لا سـيما فـي هـذا الوقـت.

تنحنحـت، لكـنّ صوتـي خـرج خشـنًا: «لسـت بحاجـة إلـى رؤيتـه. لقـد طلبـت منـي السـيدة هيـلارد أن أنتظرهـا هنـا».

توقفـت أصابعهـا عـن الرقـن، ونظـرت إلـيّ مـن رأسـي إلـى أخمـص قدمـي، ثـم نظـرت إلـى السـاعة فـوق البـاب، وقالـت: «لـن يـرن الجـرس قبـل عشـرين دقيقـة أخـرى».

«أعلم».

«تفضلّ بالجلوس».

ارتميت على أحد المقاعد وحاولت أن أجعل أفكاري تستقر، لكنّها أبت ذلك، فرحت أقرأ رسالة جولييت مجدّدًا. وتساءلت كيف سأشعر إذا ما سمعتها تقول هذا الكلام أمامي.

ليت بإمكاني التحدّث معها الآن.

أرغب في أن أقول لها أرجوك، *أرجوك اعثري علي*.

كانت لتقول *أهذا أنت؟ يا للقرف. أيّها المهووس الكبير*.

قالت السيدة ساندرز: «ليس من المفترض أن تستخدم الهاتف في أثناء وقت الدراسة».

طرفت عيني، وقلت: «أنا لست في الصف».

زمّت شفتيها، وردّت: «من فضلك ضعه جانبًا».

تنهدت وأعدته إلى حقيبتي.

بحلول الوقت الذي دق فيه الجرس، كان غضبي قد تسرّب تاركًا مكانه للقلق والاضطراب. كان هذا جرس الغداء الأول، وقد بدأ الطلاب يفدون إلى المكتب لأسباب مختلفة. لكن لا أحد منهم كان ينظر إليّ. وانتظرت، مسندًا مرفقيَّ على ركبتيَّ.

رحت أحصي الدقائق، حتى بدأت أتساءل إن كانت قد نسيت. وفي غضون خمس دقائق بعد الجرس جاءت السيدة هيلارد تلهث، حاملة حقيبتها على كتفها وقد اعترى وجهها شيء من التوتر. وبمجرّد أن وجدتني جالسًا على أحد المقاعد ذات الذراعين، تنفست الصعداء. «لقد انتظرتني».

«لقد طلبتِ منّي هذا». لكنّني شعرت بعد ذلك بالغباء لجلوسي هنا والانتظار.

«أنا سعيدة أنّك فعلت». ثمّ أومأت نحو اليسار في اتجاه أحد الأبواب.

«لنذهب إلى إحدى قاعات الاجتماعات».

كانت قاعة الاجتماعات هي المكان الذي تذهب إليه حين لا يرغبون في الاتصال بوالديك، أو يريد شخص ما إجراء محادثة *جادة* معك، وهو ما يعني عمومًا شيئًا سيُدوّن في سجلك. لكنّها لم تستدعِ أي مشرف، لذلك تبعتها وجلسنا.

كان صوتها هادئًا، لكنّها لم تكن تعبث. «ما الذي حدث في الفصل؟»

ثبّتُّ نظري على بؤرة في الطاولة. وكانت القاعة شديدة الإضاءة تذكرني بزنزانة الحجز في مركز الشرطة. والآن بعد أن ابتعدت عن تلك الأجواء، لا يمكنني إعادة خلق الغضب الذي دفعني إلى الخروج من الفصل. «لا أدري».

«ما الذي كان مزعجًا كثيرًا؟»

كل شيء. «لا شيء».

«هل ضايقك اللورد بايرون؟»

قالت ذلك بصوت جاف، ما أثار دهشتي. لكن لحسن الحظ، كنت أتقن السخرية. «شيء من هذا القبيل، نعم».

جلست على كرسيها، ثم سحبت كتابًا من حقيبتها.

«هلّا قرأت القصيدة الآن؟ قل لي ما رأيك؟»

تجمّع العرق بين عظمي كتفي مرة أخرى. «إنّها قصيدة غبية».

رفعت حاجبيها دهشةً وقالت: «إذن، ينبغي ألا تشكل مشكلة كبيرة بالنسبة إليك».

كانت محقّة. هذه مجرد كلمات، ينبغي ألا تكون لها أي سطوة عليّ.

أستطيع فعل ذلك. اقتربت من الكتاب، ثم قرأت السطر الأول مرة أخرى.

لا يمكن للعالم أن يهب بهجةً كتلك التي يسلبها.

أغلقت الكتاب. وراحت أنفاسي تتسارع داخل رئتي كأنّني فزت في سباق.

لم تتفوّه السيدة هيلارد بأيّ كلمة. لقد كانت صبورة ولا تتفاعل.

جلست دون أن أتحرك وقتًا طويلًا، ثمّ انزلقت يداي على حافة الطاولة.

ظلّت تنتظر.

وفي الأخير، بدأت أنفاسي تتباطأ، لكنّني لم أستطع النظر إليها. ثمّ خرج صوتي منخفضًا جدًا، وكانت معجزة أنها تمكّنت من سماعي. «لقد قرأت أمي القصيدة في جنازة أختي. أنا لا.. لا أريد قراءتها مرة أخرى».

«حسنًا». ثمّ ظلت صامتة للحظة، وأبعدت الكتاب عني. بعدها قربت كرسيها منّي ووضعت يدها على يدي، وقالت: «أنت فتى ذكي، ديكلان، لذلك سأخبرك بشيء قد يبدو واضحًا جدًّا».

تجمّدت في مكاني، محاصرًا بكلماتها. *أنت فتى ذكي، ديكلان.*

ودون أن تطلب منّي الحديث عن كيري، تابعت: «في المرة القادمة، إذا كنت تواجه مشكلة، يمكنك فقط إخباري».

أطلقت زفرة وسحبت يدي بعيدًا. كنت أظن أن لديها شيئًا ذا مغزى لتقوله. «نعم، حسنًا».

«هل تعتقد أنّك لا تستطيع؟» كان في تعابير وجهها تحدّ، وأردفت: «لقد نجحت في هذا للتو، أليس كذلك؟»

حسنًا. هذا صحيح.

فكّرت في جولييت في السيارة، حين أخبرتني كيف كان بإمكاني أن أطلب منها فقط حذف تلك الصورة.

لا تزال السيدة هيلارد جالسة بصبر، لكن الكثافة في الغرفة تكاد تكون ملموسة. ولم تكن لتدعَ هذا يمر ببساطة. «لست بحاجة إلى إعطائي التفاصيل، لكنّك لست بحاجة أيضًا إلى الهروب من الفصل. وإذا كانت هناك مشكلة، يمكنك فقط إخباري».

لم أقل شيئًا ردًّا على كلامها، إذ لم أكن أدري بما أرد.

«هل تثق بي؟»

لا، نعم، ربّما. «لا أدري».

«هذا منصف بما يكفي». ثمّ التفتت نحو حقيبتها مرة أخرى وراحت تبحث في مجلد مليء بأوراق العمل ومواضيع الطلاب، وقالت: «إذا كنت تريد الابتعاد عن اللورد بايرون، فسأعطيك شيئًا آخر للعمل عليه».

حافظت على ثباتي. لكن إذا أخرجت قصيدة أخرى عن الموت من حقيبتها، فسأخرج من هنا.

وضعت ورقة مصورة على الطاولة أمامي.

كتب عليها *إنفيكتوس. بقلم ويليام إرنست هينلي.*

«يقرؤها طلابي في برنامج التعيين المتقدم، لكنّني أعتقد أنّه يمكنك التعامل معها».

شعرت بالخوف من قراءة المقطع الأول. ورغبت في أن أجعّد الورقة وأخرج من هنا.

يا لي من جبان. ألقيت نظرة إلى زاوية الصفحة حتى لا أضطر إلى قراءة المزيد، وقلت: «هل تريدين منّي أن أقرأها الآن؟»

«لا، بل خذها إلى المنزل. واكتب لي فقرتين حول ما تتناوله القصيدة». ثمّ توقفتْ، قبل أن تتابع: «أعتقد أنّك ستتماهى معها».

دفعت الورقة في حقيبتي وقلت: «بالتأكيد.. أيّا كان».

«ديكلان».

كان اسمي مثقلًا على لسانها، ولكن دون نبرة تحذير؛ ما جعلني أتردّد.

«ماذا؟»

«امنحني فرصة. اتفقنا؟»

«بالتأكيد». ثمّ أغلقت سحاب حقيبتي، وألقيتها على كتفي، وخرجت من الغرفة.

الفصل التاسع والعشرون

من: الظلام <TheDark@freemail.com>

إلى: فتاة المقبرة <cemeterygirl@freemail.com>

التاريخ: الاثنين 7، أكتوبر   الساعة: 2:15:44 مساءً

الموضوع: الشعر

هل سبق لكِ أن قرأتِ قصيدة «الشباب والعمر» للورد بايرون؟ إنّها أسوأ قصيدة في العالم. إذ تدور كلّها حول تلاشي الموت.

لقد قرأتها أمي في جنازة أختي.

كنت أرغب يومها في أن أنتزعها من يديها. أقصد، من يقرأ شيئًا كهذا في جنازة؟ كنت أفضل مقطعًا من الكتاب المقدس، وإذا كنت تعرفينني فهذا يعني شيئًا ما.

قرأنا القصيدة في صف اللغة الإنجليزية هذا الصباح. حسنًا، أنا لم أقرأها وغادرت الفصل.

لذا يمكنني فهم حادثك الوشيك مع الحجز.

سألتِني إن كان أيّ شخص آخر يعرف الحقيقة كاملة حول ما حدث مع عائلتي. حسنًا، يعرف صديقي الحميم معظمها. لكن لا أعتقد أنّه يعرف كم من الوقت استمر كل ذلك. وهذا لا يهم الآن، أليس كذلك؟

أقدّر كل الزخم الذي اجتاحكِ نيابة عنّي، لكنّكِ مخطئة. ربّما لم يكن ذلك كلّه خطئي، لكن بعضه كان كذلك.

كـم يقتلنـي أنّني لا أعـرف مـن هـو. كنـت فـي برنامـج التعييـن المتقـدم، لكنّنـا لـم نكـن نقـرأ لبايـرون، وبالتالـي، يسـتبعد هـذا قرابـة خمسـة عشـر فتًـى فقـط.

حاولـت أن أفكـر فـي مـن فـي صـف التخـرج بإمكانـه اسـتخدام كلمـة مثـل «زخـم»، ويمتلـك فـي الوقـت ذاتـه، مـن التحـدّي مـا يكفـي لمغـادرة الفصـل. وكان الجـواب الواضـح أمامـي هـو: يمكننـي أن أسـأله فقـط. لكـنّ هـذا يعنـي إنهـاء الأمـر. ولسـت متأكـدة إن كنـت مستعدة لذلـك. ربّمـا يكون هـذا الغمـوض جـزءًا مـن جاذبيتـه. ربّمـا سـألتقي بـه وسـيكون مروّعًـا.

لن يكون كذلك، أعلم هذا.

لكنّني ما زلت متوجسة.

قـال لـي ذات مـرة إنّ أمـي ربّمـا لـن تحبـه كثيـرًا، لكنّـه مخطـئ فـي هـذا. أعتقـد أنّهـا كانـت لتحبـه كثيـرًا. كانـت لتجـده رائعًـا.

أنا أجده رائعًا.

وجـدت لـدى السـيد جيـراردي مجموعـة مـن الطـلاب فـي مكتبـه عندمـا ذهبـت إليـه بعـد الجـرس الأخيـر. فبقيـت فـي الجـزء الخلفـي مـن الفصـل، أنظـر إلـى الصـور المثبتـة علـى الحائـط. لا بـدّ أن تكـون صـورًا للطلبـة المبتدئيـن فـي مـادة التصويـر الفوتوغرافـي الاختيـاري، لأنّنـي أتذكـر مـا كان مطلوبًـا منّـا وقتهـا. لقـد كانـت الصـور كلّهـا لقطـات بسـيطة للطبيعـة، لكـنّ بعضهـا كان يتميّـز بالاسـتخدام الإبداعـي للضـوء. ولفتـت انتباهـي واحـدة بالأخـص كانـت تظهـر لقطـة لنملـة تزحـف عبـر حبيبـات سـكر فـوق الخشـب. أحببـت التركيـب، مـع علبـة سـكر ممزقـة غيـر واضحـة فـي الخلفيـة.

جاء صوت السيد جيراردي من خلفي: «أنا أحب هذه، أيضًا. آمل أن تظّل على هذا المنوال».

«هي طالبة جديدة؟»

«لا، بل طالبة من الصف الثالث. كانت تحاول ملء استمارة المواد الاختيارية، واكتشفت أنّ لديها موهبة في التصوير». ثمّ صمتَ، وأبقيت عيني على معرض الصور الفوتوغرافية. لم أكن أرغب في النظر إليه، لأنّني لم أكن متأكدة ممّا أفعله هنا. وظلّ يتحدث عبر كتفي: «هل أردتِ رؤية الصورة التي كانت في ذهني لغلاف الكتاب السنوي؟»

بدا وجودي هنا بعد فترة ابتعاد طويلة كأنّني أخون ذاكرة أمي بطريقة ما، لكنّ الفضول كان يدفعني. بللت شفتي، وقلت: «بالتأكيد».

استدار، تاركًا لي أن أتبعه، ففعلت. وأدار الشاشة على مكتبه حتّى أتمكن من رؤية الصورة.

توقفت عن التنفس. فقد ظهرت على الشاشة أول صورة كنت قد التقطتها يوم الخميس. صورة ديكلان وريف يجلسان في ساحة المدرسة على طرف، وعلى الطرف الآخر تُؤدي قائدات المشجعات رقصةً.

لقد عرفت هذا. في مكان ما بداخلي، علمت أنّها ستكون هذه الصورة.

قال السيد جيراردي في عجلة: «لقد أحببتها، أعتقد أنها ستكون غلافًا مثاليًا بسبب المساحة السالبة بينهما. فالمشجعات يرمزن إلى روح المدرسة والعمل الجماعي، ويمكن أن يكون نصف

الصـورة هـذا فـي المقدمـة، بينمـا يمكـن أن يكـون الولـدان فـي الخلـف، ويرمـزان للصداقـة والعزلـة التـي يشـعر بهـا الجميـع أحيانـًا فـي المدرسـة الثانويـة..»

خرج صوتي أجشَّ وقلت: «لست متأكدة».

«لستِ متأكدة؟»

«يجب أن أطلب الإذن أولًا».

«مـن الفتيـات؟ هـل تعرفينهـن؟ فـي بدايـة كل عـام دراسـي يوقـع الآبـاء علـى وثيقـة إخـلاء المسـؤولية. لـذا لسـنا بحاجـة إلـى إذن فـردي مـن أجـل صـور للكتـاب السـنوي. . .»

«لا». وانكسـر صوتـي مجـدّدًا. صحيـح أنّ ريـف قـال إنّنـي لسـت بحاجـة إلـى حـذف الصـورة، لكنّ هـذا لا يعنـي أنّـه سيكون على ما يـرام مـع نشـرها علـى غـلاف الكتـاب السـنوي لعـام تخرجنـا. ولـم تكن لـدي فكـرة عـن عـدد الكتـب السـنوية التـي تصـدر كلّ سـنة، ولكـن هنـاك أكثـر مـن ثمانمائـة طالـب فـي صـف التخـرج فقـط.

«لا، بل أقصد الفتيين».

اعتـرت وجهـه أمـارات الحيـرة، وقـال: «حسـنًا، هـل تعتقديـن أنّ الأمـر قـد يسـبّب مشـكلة؟»

مـا زلـت أفكـر فـي محادثاتـي مـع «الظـلام» حـول طرقنـا فـي الحيـاة إن كانـت مقـدّرة. وبـدا أنّ القـدر عـازم علـى توجيهـي نحـو مسـارات ديـكلان مورفـي وريـف فليتشـر.

«ليست.. لديّ أي فكرة».

تـردّد السيد جيراردي، ثمّ قال: «هل هنـاك شيء تخفينه عنّي؟»

كانت كلماته حذرة، وقد أبعدت انتباهي عن الشاشة. «ماذا؟»

«يبدو كأنّ الأمر مهم جدًا. وأنا أحاول معرفة السبب».

«أنا فقط .. أريد أن أتأكد من أنه لا بأس من ذلك».

تفحصني ثمّ قال: «هل تريدين أن أسألهما؟»

أدرت هذا السيناريو في ذهني. مدرس غريب يسألهما إن كان يسمحان باستخدام صورة لم يرغبا في التقاطها كغلاف للكتاب السنوي.

تخيّلت ردّ فعل ديكلان بعد الطريقة التي تصرف بها بعد ظهر الخميس.

حينها قلت بسرعة: «لا، سأطلب منهما أنا ذلك».

رمقني بنظرة مشجعة، وقال: «وبعد ذلك يمكنك تعديل الصورة بنفسك؟»

فجأة شعرت بالحاجة إلى الخروج من هنا: «نعم، بالتأكيد. في وقت لاحق من هذا الأسبوع، حسنًا؟»

لم أنتظر حتّى إجابة، وهرعت من الحجرة كأنّ بها قنبلة ستنفجر بعد العد التنازلي.

كان موقف السيارات شبه خالٍ حين خرجت من المدرسة. وكانت السيارات الوحيدة المتبقية هي للطلاب الذين لديهم التزامات رياضية أو نوادٍ، فيما لم يكن لدي أي التزامات.

أوه، وهناك ريف وديكلان.

كانا يقفان خلف سيارة ديكلان، التي كانت بالضبط كما أتذكرها، لكنها بدت فقط بحاجة إلى طلاء أكثر بعد أن رأيتها في ضوء الشمس. وكانا يتكئان على الباب الخلفي، وديكلان يحمل سيجارة بين أصابعه.

توقفت تحت أيكة صغيرة من الأشجار في منتصف موقف السيارات. ومع أنّني لم أكن أتوقع رؤيتهما الآن، لم أتفاجأ من أنهّما لا يزالان هنا، تمامًا كما كانا يوم الخميس الماضي، حين التقطت تلك الصورة. وكان عليّ أن أتجاوزهما للوصول إلى سيارتي، لكنّ النظرة في عيني ديكلان ذكرتني بمزاجه المختلف تمامًا عن موقفه حين اقترب منّي في الكافتيريا هذا الصباح.

مرحبًا، أردت أن أسألك شيئًا.

ماذا؟

«هل تتعقبين الآخرين دائمًا؟» صاح ديكلان.

لكن صوته لم يكن قاسيًا. هل كان يمازحني؟

تقدّمت بخجل من تحت الشجرة لكنّني توقفت في منتصف موقف السيارات، على بعد نحو خمسة عشر قدمًا منهما.

«لم أشأ أن أتطفّل على.. أيا كان».

ردّ ديكلان: «أيّا كان؟» ثمّ سحب نفسًا من سيجارته، وأضاف: «إنّنا نقتل الوقت».

«أنت تعلم أنه لا يُسمح لك بالتدخين داخل حيّز المدرسة».

أخذ نفسًا آخر ونفث حلقات الدخان، وقال: «تبدين مهتمة جدًّا بشأن عادة التدخين الخاصة بي».

«أكره التدخين، إنّه مقرف».

خرجت الكلمات من فمي قبل أن أفكر فيها حقًا، وهيّأت نفسي لتلقي وقاحته، أو أن ينفض السيجارة في وجهي.

لكنّه لم يفعل أيًا من ذلك. وإن كانت قد بدت منه ردة فعل ما فهي الذهول. ثمّ قذف بالسيجارة على الأرض وداسها. «آسف، لم أكن أعرف».

لـو نبتـت لـه أجنحـة لكنـتُ أقـلّ صدمـة منّـي فـي هـذه اللحظـة. فقلت لـه سـاخرةً في محاولـة لإخفـاء دهشتـي: «لكن هـل ستبقي مـع ذلـك علـى مظهـرك صعـب المـراس؟»

«سـأتدبر أمري».

صفق ريف ببطء، ثم أحنى رأسه في اتجاهي وقال:

«شكرًا جزيلاً، أنا أكرهها أيضًا».

رمقـه ديـكلان بنظـرة سـاخرة، وقـال: «اخـرس، ريـف». ثـمّ عـاد بنظـره إلـيّ، وتفحصنـي مـن الأعلـى إلـى الأسـفل، وقـال: «أمـا زلـت خائفـة منّـي؟»

«لا».

«إذن لماذا تقفين هناك؟»

لا أعـرف إن كانـت هـذه دعـوة للانضمـام إليهمـا أم مـاذا، لكنّنـي اقتربـت بضـع خطـوات، وسـألته: «لمـاذا تقتـل الوقـت؟» هـز كتفيـه واتـكأ علـى سيارته، وقـال: «ربّمـا هنـاك ثلاثـة أماكن مسـموح لـي أن أكـون فيهـا. وهـذا المـكان ليـس قريبًـا مـن زوج أمّـي».

لـم أسـتطع التوقـف عـن النظـر إليـه، وقـد وصـل الأمـر تقريبًـا إلـى النقطـة التـي أعجـز فيهـا حتـى عـن الاسـتماع إلـى مـا يقولـه. بـدا رائعًـا فـي ضـوء الشـمس الـذي أبـرز اللـون الأحمـر فـي شـعره وأضـاء وجهـه بغـض النظـر عـن تعابيـره. كان بإمكانـي أن أتأملـه طـوال اليـوم دون أن أشـعر بالملـل. «ظننـت أنـك تلتقـط صـورًا مـع سـيارتك ماسـتانغ القديمـة».

اتخذ وجه ديكلان ثباتًا فلم أدرِ إن كنت قلت شيئًا خاطئًا.

حينها أطلق ريف صفيرًا منخفضًا، وقال: «هذه كلمات قتالية».

ردّ ديكلان: «هذه ليست سيارة ماستانغ». وبدا منزعجًا بشأن السيارة أكثر مما كان بخصوص السيجارة.

«حسنًا، ما هي إذن؟»

«إنّها دودج تشارجر. .»، ثمّ أطلق زفرة وأضاف: «لا أدري لمَ أنا متفاجئ».

«تبدو كلّها متشابهة بالنسبة إليّ».

حينها أشار عبر موقف السيارات إلى سيارتي هوندا من طراز قديم، وقال: «تلك لا تبدو مثل *هذه*»، ورفع إبهامه نحو سيارته، «تمامًا كما لا تتشابه هاتان السيارتان». وأشار إلى سيارتين في الطرف المقابل إحداهما شاحنة صغيرة والأخرى سيارة سيدان بأربعة أبواب.

«إذا كان هذا رأيك».

حينها سحب هاتفه من جيبه وفتحه، وقال: «انظري، سأريكِ كيف تبدو سيارة ماستانغ».

أمسك ريف الهاتف، وقال: «لا، لن نبدأ في هذا مجدّدًا». ثمّ نظر إلى الشّاشة ولا بدّ أنّه قد لاحظ الوقت، لأنّه قال: «علينا الذهاب على كل حال».

تقدّمت خطوة أخرى إلى الأمام، وسألته: «إلى أين تذهبان؟»

لا أدري ما الذي جعلني أسأله، لكن ما كنت متأكدة منه أنّني لا أريده أن يغادر. وكما هو الحال في كل مرة تجمعنا فيها الحياة معًا، بدا أن هذه اللحظة محكوم عليها بالانتهاء قبل أن أكون مستعدة لذلك.

تبادل ريف نظرة مع ديكلان ثم ابتسم من تحت قلنسوته، وقال: «لمجالسة الأطفال، هل ترغبين في أن تأتي معنا؟»

«بَيبي دول؟»

أومأ.

حينها قال ديكلان متهكمًا، وفي عينيه شيء من التحدي: «خائفة؟»

«لا على الإطلاق، لنذهب». وكنت أكذب.

***

كان منزل ريف صورةً طبق الأصل عن منزل روان: حيث يتكوّن من طابقين معدّلين مع نصف سفلي مفتوح، ومساحة طويلة من العشب المؤدي إلى الشارع. ويتميز منزله بواجهة جانبية زرقاء مع زخارف بيضاء بدلاً من واجهة بيج مع زخارف بنية، لكنّه كان حيًّا عامًّا من أحياء الطبقة الوسطى. وكان بإمكاني دخول نصف منازل هذا الشارع وأعرف طريقي داخلها. وعلى غرارها، لم يكن في منزله ما يثير الدهشة.

هذا غير صحيح، فما صدمني كان رؤية والدته، وحينها أدركت أنّ ريف مُتبنّى.

راحت كل الحقائق التي أعرفها حول ريف تتخذ مكانها الصحيح في تتابع سريع، كما لو أنّ عقلي في حاجة إلى ربط جميع النقاط قبل أن أتماسك. أذكر أنّ ديكلان قال شيئًا عن إبعاد ريف عن والده، لكنّني لم أنتبه لذلك.

قال ريف إنّ والدته ستعمل في فترة ما بعد الظهر، بالإضافة إلى معرفة أنّها محاسبة، جعلني أتخيّل امرأة متوترة ترتدي تنورة كلاسيكية ضيّقة، وليس امرأة ذات شعر قصير ومنحنيات مثيرة ترتدي قميصًا أحمرَ مرقطًا وبنطلون جينز. كانت لديها ابتسامة مشرقة ومرحبة، تبث الكثير من الدفء حتّى شعرت بأنّني محظوظة لدعوتي إلى منزلها.

همست لنا مرحِّبة وعانقت كلّ واحد منّا كما لو كنّا جميعًا نأتي إلى هنا بعد المدرسة منذ سنوات. وكان هذا أمرًا غريبًا، لكنّه كان لطيفًا أيضًا أن تلقي الترحيب بمثل هذا الانفتاح. وكان ينبعث منها مزيج من رائحة الفانيليا والسكر وبودرة الأطفال. وحين وصلت إليّ همست: «سعيدة جدًّا بلقائك. ناديني كريستين»، ودعتني إلى المنزل.

كنت مرتبكة من كل هذا الهمس، لكنّني همست أيضًا، وأنا أشعر بالغباء: «مرحبًا، أنا جولييت».

اقترب ديكلان بما يكفي للتحدث بصوت منخفض، وقال: «لا بدّ أنّ الطفلة نائمة».

لامست أنفاسه أذني فبعثت حرارة على خديّ، وقلتُ: «أوه، سأكون هادئةً».

همست كريستين: «لا عليك، فقط اذهبوا إلى الطابق السفلي إذا كنتم ستحدثون أيّ ضوضاء». ثمّ وضعت جهاز مراقبة الأطفال في يد ريف وقالت: «سأحضر بعض الكوكيز، ولكن بعد ذلك عليّ الذهاب إلى مكتبي».

«شكرًا أمّي». ثمّ نظر إليّ وقال بصوت جافٍّ: «هل تريدين النزول إلى الطابق السفلي وإحداث بعض الضوضاء؟»

كنت أعلم أنّه يمزح، لكنّ وجنتيّ اشتعلتا حقًّا لأنّ هذا بدا إيحائيًا.

قرّعته كريستين وقالت: «فلتذهبوا إلى الطابق السفلي. وأنا لدي عمل للقيام به».

كان الأمر طبيعيًا جدًا وبسيطًا جدًا. لم تكن والدتي هكذا قط، لم تكن موجودة بما يكفي لرؤية أصدقائي يأتون إلى المنزل كثيرًا. وراح الندم يتسرّب إلى صدري، لكنّهما نزلا الدرج وكان عليّ اتباعهما.

كان الطابق السفلي مغطى بأرضيات خشبية، وكانت المساحة برمتها مفتوحة على بعضها. وفي إحدى الزوايا، كان هناك تلفاز مثبّتٌ على الحائط مع أريكة. وفي الزاوية الأخرى كان هناك بابان يؤديان على الأرجح إلى غرفة الغسيل والحمام. فيما ضمّت الزاوية الثالثة حصائر ملونة ولوح لعب وصناديق من الألعاب مكدّسة بعناية على طول الجدار. أمّا الزاوية الأخيرة فكان نصفها محاطًا بالدرج وبها حصائر سوداء سميكة وضعت على الأرض مع مقعد للرياضة وما يشبه كيس ملاكمة معلّق في السقف. وكانت الأوزان الحرة مثبتة على طول الجدار أسفلَ صفٍّ من المرايا.

ألقى ريف نظرة إلى ديكلان، وتبادلا رسالة ما دون إفصاح، لكنّني لم أستطع فهمها قبل أن ينظر إليّ. «هل ترغبين في شرب شيء ما؟»

سحبت نفسًا لأجيبه، لكنّ حلقي كان ضيّقًا. فقد كان وجودي في حضور أمّ مُحبة يذكرني بمقدار ما فقدته. وقد انغلق عقلي بينما شبك الحزن التروس داخل رأسي.

كان ينبغي أن أكون في المقبرة، فأنا لم أزرها منذ أيام. منذ أن هربت من الحفل الراقص. والآن أنا.. ماذا؟ أختبئ؟

نعم، أنا أختبئ.. أختبئ خلف حياتهما الطبيعية وافتقارهما إلى الحزن.

إنّهما ليسا حتى *صديقيّ.*

وأخذ الشعور بالذنب ينخر صدري بشدّة، وشعرت أنّني أرضخ لقوته.

ما عساي أقول لها؟ *آسفة يا أمي. لقد كنت مفتونة بصبي.*

ما إن نزلت كريستين الدرج، حتّى عاد الضغط على صدري. فأخذت لحظة استدرت فيها، واستنشقت نَفسًا بعمق، وأغمضت عيني لأحجب دموعي. وضعتُ طبقًا على طاولة خلف الأريكة، وصعدت الدرج على رؤوس أصابعها تقريبًا.

«أنتِ بخير». كان ديكلان بجانبي، وكان صوته منخفضًا وليّنًا كما كان في الردهة. لقد كان شديدًا جدًّا طوال الوقت، لكنّ هذه النعومة تفاجئني. فطرفت له بعيني.

ثمّ قال مجدّدًا: «أنتِ بخير».

أعجبني هذا، كيف كان واثقًا جدًّا. فهو لم يقل «هل أنت بخير؟» لم يسأل عن الأمر.

أنت بخير.

ثمّ هزّ كتفيه ورفع إحداهما أعلى قليلًا، وأضاف: «لكن إذا كنتِ على وشك أن تفقدي أعصابك، فهذا مكان آمن جدًّا للانهيار». وأخذ قطعتين من البسكويت من الطبق، ومدّ لي واحدة وقال: «خذي، كُلي إحساسك».

كنت على وشك الرفض، لكن بعد ذلك ألقيت نظرة إلى البسكويت. كنت أتوقع شيئًا معتادًا كبسكويت السكر أو رقائق الشوكولاتة. لكنّه بدا كفطيرة مصغرة يتلألأ السكر أعلاها، فسألته «ما.. هذا؟»

فردّ ريف: «بسكويت فطيرة البقان». وقد أخذ نحو خمس حبّات منه، وربّما يكون قد دفع اثنين في فمه دفعةً واحدة. «يمكنني العيش عليها لأيام».

أخذت القطعة التي قدمها لي ديكلان، وقضمت قليلاً من الجانب. إنّها رائعة.

نظرت إليه بشكل جانبي وقلت: «كيف عرفت؟»

تردّد، لكنّه لم يسألني ما الذي أقصده، وردّ: «إنّني أعرف الأمارات».

قال ريف ببطء وتروٍّ: «سأحضر بعض المشروبات الغازية».

«سأحضر لكِ واحدة، اطرفي بعينك مرة إذا كنت موافقة».

ابتسمت، لكنّني شعرت بالبلل حول حواف عينيَّ. لقد كان يمازحني لكنّه مزاح لطيف وودود. فطرفت مرة واحدة.

هذا جيّد. أنا بخير. كان ديكلان على حق.

صاح ريف: «أخرجيه في كيس الملاكمة، هذا ما أفعله».

اتسعت عيناي، وقلت: «حقًّا؟»

ردّ ديكلان: «افعلي ما تشائين. فبمجرد أن نفعل شيئًا ذا معنى، ستستيقظ الطفلة».

عاد ريف حاملًا ثلاث عبوات مشروبات غازية، وقال: «إنّنا نفعل شيئًا ذا معنى الآن».

سألته: «هل نفعل حقًّا؟»

نظر إليّ مباشرة وقال: «كل لحظة لها معنى».

قد تكون هذه الكلمات تافهة بل لا بدّ أن تكون تافهة في الواقع، لكنّه قالها بما يكفي من الثقل لأدرك أنّه كان يقصدها. حينها فكّرت في «الظلام» وفي كل حديثنا عن المسارات والخسارة والشعور بالذنب.

أطلق ديكلان تنهيدةً وفرقع غطاء الصودا، وقال: «وهنا حيث يبدأ ريف بإخافة الناس».

قلت وأنا أشعر كأنّ هذه الظهيرة لا يمكن أن تكون أكثر سريالية من هذا: «لا، أبدًا». هناك شيء ما في كلام ريف يسرق بعضًا من شعوري السابق بالذنب، لاعتقادي أنّ وجودي هنا يمكن أن يحمل نفس القدر من الأهمية التي تحملها زيارة قبر أمي. ليتني كنت أدرك كيف أعرف إن كان هذا مسارًا من المفترض أن أسلكه. «لا، أعجبني كلامه. هل يمكنني حقًا لكم الكيس؟»

هزّ ريف كتفيه وأخذ رشفة من الصودا. «إمّا هذا أو يمكننا إحضار عجينة بلاي دو».

اتجهنا إلى تلك الزاوية من القبو. وجلس ريف على مقعد رفع الأثقال مباعدًا ساقيه، بينما جلس ديكلان على كرة يوغا واتكأ على الزاوية. وقد اتخذا هاتين الوضعيتين بسهولة جعلتني أتساءل إن كانت هذه هي *مساحتهما* الخاصة، تمامًا كالطريقة التي نحتل بها أنا وروان غرفتها أو الأريكة الفخمة في الطابق السفلي من منزلي.

لم أكن بالشخص العنيف، لكن ضرب شيء ما بدا جيّدًا حقًا. فسحبت يدي إلى الخلف وسدّدت، ثمّ ألقيت بجسدي كله نحوها.

آو. *آو*. تأرجح الكيس قليلاً، لكنّ الضربة ارتدّت على ذراعي.

وظننت أنني قد خلعت كل مفصل في كل إصبع من أصابعي، لكن كان يمكنني الشعور بذلك، وهذا أول شيء شعرت به حقًا منذ أسابيع. لقد كان شعورًا رائعًا. أحتاج إلى واحدة مثل هذه في قبو منزلنا.

ضغطت على أسناني وسحبت ذراعي لفعل ذلك مرة أخرى.

«على رسلك». وأمسكت يدٌ ذراعي في منتصف التسديدة.

وقفت هناك لاهثة، وقد أمسك ديكلان بمرفقي، وحاجباه مرتفعان من الدهشة.

قال: «إذًا.. حسنًا، لا أريد أن أكون متحيّزًا ضد النساء، ولكن بعد الطريقة التي تحدثتِ بها عن السيارات، لم أتوقع منك أن تسددي ضربة كهذه».

تراجعت واعتدلت في وقفتي، وأنا أشعر بالحماقة. «آسفة».

نظر إليّ كأنّني مجنونة، وقال: «ما الذي تعتذرين عنه؟ أنا فقط لا أريد أن أشاهدك تكسرين معصمك».

«خذي». وقف ريف نصف وقفة، ومدّ إليّ بزوج من القفازات المبطنة السوداء. ثمّ أزاح قلنسوة قميصه، فتساءلت إن كان يشعر براحة أكبر في حضوري أو أنه شعر بالدفء فقط. «إذا كنت تريدين حقًا ضربه، فارتدي قفازات».

انطلق صوت حاد من جهاز مراقبة الطفلة، فنهض ريف قائلًا: «إنّها في الأعلى، سأعود بعد قليل». وبمجرد مغادرته، غرق القبو في صمت تام، وبقيت أنا وديكلان وحدنا. وقد تركني ريف وأنا أحمل زوجين من القفازات، فشعرت بشيء من السخافة والقليل من الإحراج وبعض الحقارة.

حينها قال ديكلان بصوت حادّ يحمل من التحدي أكثر من أي وقت مضى: «هل سترتدينها أم ماذا؟»

استغرق الأمر منّي ثانية لملاحظة أربطة الفيلكرو عند الرسغين، لكنني سرعان ما مررتها على أصابعي. لقد كانت مزيجًا من قفازات الملاكمة والقفازات بلا أصابع مع حشوة سميكة حول اليد.

لو استمررت في التفكير في هذا الأمر بشدّة، فسأخرج من الباب الأمامي، لذلك أغمضت عيني وسدّدت.

ارتدّت الضربة مرة أخرى، لكنّني سُعدت بالقفازات، إذ لم أشعر أنّ عظام إصبعي تتشقق داخل جلدي، وقد حافظت الأربطة على ثبات معصمي. ضربت بقوة مرة أخرى.. ومرة أخرى.. وارتدّت الضربة عبر جسدي، فاستقر نوع من الدفء في بطني، وفقدت العدّ بعدها.

«افتحي عينيك».

فتحتهما، ووجدته هناك ممسكًا بالكيس من الخلف ولهذا لم يكن يتأرجح. فتساءلت منذ كم من الوقت كان يقف هناك.

حينها قال: «اقتربي أكثر».

فاقتربت محدّقة إلى عينيه الزرقاوين.

قال مرة أخرى: «اقتربي».

اقتربت بما يكفي لأحتضن الكيس. وشعرت بضيق لكنني لا أعتقد أنّ هذا كان بسبب الجهد المبذول، ثمّ قلت بهدوء: «قريبة بما فيه الكفاية؟»

تفحصتْ عيناه عينيّ، وقال: «لا تريدين الوصول إليه».

أردت أن أكون خجولةً، لكنّ صوتي خرج جادًا: «هل وجدتني أقوى مما كنت تعتقد؟»

«أنت قويّة تمامًا كما اعتقدت».

حملت الكلمات أكثر مما ينبغي، ولم أكن متأكدة تمامًا من السبب. قد تكون كل لحظة ذات معنى، لكن هذه اللحظة كانت أكثر.

وثبتُّ على مشط قدمي وضربت الكيس، كأنني محمد علي أو شيء من هذا القبيل. على الأرجح أنّني بدوت سخيفة.

أمال رأسه، وقال: «هيّا، اضربيه».

سدّدت لكمة أخرى، ولكن الآن كانت عيناي مثبّتتين على عينيه، ولم أعد أشعر بأنّني أضرب بتلك القوة. شعرت بتمزق شديد كأنّ الانجذاب إليه هو نوع من الخيانة لـ «الظلام». والآن.. أنا عاجزة عن كبح نفسي. صحيح أنّ ديكلان كان شائكًا وسريع الانفعال وحادًا، لكن تحت كلّ هذا دُفن بعمق فتىً مهتمّ وحامٍ ومخلص.

وكنت أريد أن أرى المزيد من هذا الجانب منه.

رن هاتفه فأخرجه من جيبه. وبعد إلقاء نظرة إلى الشاشة اكفهرّ وجهه، فدسّه مرة أخرى في جيبه.

ثمّ قال حين رأى نظرة التساؤل على وجهي: «إنّه زوج أمي».

«ألست مضطرًا إلى الإجابة؟»

«سأخبره بأن هاتفي كان على الوضع الصامت».

ثمّ رنّ هاتفه مرة أخرى على الفور تقريبًا، لكنّه لم يكلف نفسه عناء إخراجه من جيبه هذه المرة. وقال: «سوف يستسلم في النهاية».

تذكرت أنّني التقيت بزوج أمّه في الشارع، والطريقة التي استفز بها الرجل ديكلان، مع أنّ ديكلان استفزه في المقابل. «لستُما على وفاق».

أطلق زفرة وردّ: «هل سبق وسمعتِ عن ذكور حيوانات في البرية كيف تقتل النسل السابق للإناث التي تتزاوج معها؟ على الأرجح أن يكون آلان متفقًا مع ذلك».

رنّ هاتفه مرة أخرى، وبدا مصرًا.

قلت: «لا بد أنّه يريد التحدث إليك حقًا».

بدل الرد، وضع ديكلان هاتفه على الوضع الصامت.

وقفنا هناك في صمت للحظة، وأنفاسنا قريبة بعضنا من بعض. ثمّ قال: «هل كنت تبحثين عنّي؟ حين خرجت من المدرسة؟»

كان صوته الهادئ عميقًا ومفعمًا ولطيفًا لا يكشف شيئًا عن مزاجه. كان هناك شيء ما متعلّق به مطمئنٌ جدًّا، ربّما لأنّني رأيت الضراوة في الجانب الآخر منه، وأردت أن أضع جبهتي على الكيس وأغلق عيني وأتوسل إليه أن يتكلّم لخمس دقائق أخرى.

نظرت إلى الكيس وسددت لكمة قوية، فقط لأمنح نفسي لحظة لمعرفة كيفية الرد. «هل تتذكر تلك الصورة التي التقطتها لك أنت وريف؟»

«الصورة التي كان ينبغي أن أطلب منك حذفها؟»

توقفت ونظرت إليه. «هل تسخر مني؟»

حملت تعابيره ندمًا وقال: «لا، لقد كنتِ على حق. كان ينبغي أن أسأل أولاً».

أوه. ذكّرت نفسي أن أتنفس، ثمّ سدّدت لكمة أخرى. «قال ريف إنّني لست مضطرة إلى حذفها».

«أوه، هل فعل؟»

تـردّدت ونظـرت إليـه مـن فـوق القفـازات، وقـد انفلـت بعـض شـعري، وعلـق بعينـي. «نعـم، لقـد فعـل».

«إذن ماذا فعلت بها؟»

كان لا بـد لـي مـن ضـرب الكيـس مـرة أخـرى. «يريـد السـيد جيـراردي اسـتخدامها لغـلاف الكتـاب السـنوي».

«لا، هل أنت جادّة؟»

تـردّدت: «أنـا جـادة، لقـد بـدا متحمّسًـا جدًّا حيـال ذلـك. أخبرتـه بأننـي أريـد أن أسـألك إن لـم يكـن فـي الأمـر بـأس».

بـدا ديكلان متشـككًا لكـن ليـس بطريقـة جيـدة. لقـد تلاشـى ذلـك الهـدوء واللطـف. «يريـد أن يضـع صـورة لـي مـع ريـف علـى غـلاف الكتـاب السـنوي».

«حسـنًا، نوعًـا مـا. سـتكون فـي ظهـر الكتـاب». اكفهـرت ملامحـه وأنـا أثرثـر، لكنّنـي لـم أسـتطع التوقـف. كنـت مشـتتة، أحـاول الوقـوف فـي وجـه مـزاج ديكلان قبـل أن يغـادر القطـار المحطـة. «إنّـه غـلاف ملفـوف، لذلـك سـتكون المشـجعات فـي المقدمـة، وسـتمتد الصـورة إلـى ظهـر الكتـاب لإظهـار الصداقـة والعزلـة فـي نفس الوقـت..»

«هـل أنـت مجنونـة؟» خرجـت الكلمـات منـه كالهديـر. وكانـت عينـاه شـرسـتين، وكان علـيّ أن أجبـر نفسـي علـى تجنـب الانكمـاش. «لا أدري لـمَ تشـعر بهـذا الاسـتياء تجـاه..»

«أنـا لا أنتمـي إلـى ذلـك الغـلاف. لا أحتـاج إلـى تذكيـر أبـدي بهـذا العـام، ومـن المؤكـد أنّنـي لا أحتـاج إلـى أن يُلـفّ هـذا حـول الكتـاب السـنوي لأي شـخص آخـر». وضـرب الكيـس بقـوة لدرجـة أنـه

ارتد على قفازي، لكنّني رفضت الابتعاد. «هذا هو أسوأ عام في حياتي، هل تفهمين؟»

راح الكيس يتأرجح، فاستخدمت اندفاعه لردّه نحوه مباشرة. «ما ظنك بشعوري أنا؟» وانكسر صوتي، لكنّني لم أهتم. «أنا من التقط الصورة».

تجمّد وهو يلتقط الكيس.

كانت أنفاسي عالية وسط هذا الصمت المفاجئ، وعجزت عن فهم تعابيره. كان لا يزال غاضبًا، ولكن كان هناك شيء آخر. صدمة، عار؟ أو ندم، ربّما.

لم أستطع فهمه. ثمّ خرجت منّي الكلمات متصدعة، وانهمرت دموع حارّة على وجنتي: «ماذا؟ هل تعتقد أنّك الوحيد الذي مر بسنة مروعة؟ أنت لا تعرف أيّ شيء عني، ديكلان مورفي. تجاوز ذاتيتك».

«ديك». ركض ريف أسفل درجات الطابق السفلي حاملاً الطفلة وهاتفًا لاسلكيًا، وبدا صوته مُستعجلًا، أكثر من كونه مجرّد حجة لوقف الجدال. «إنّه آلان».

رحت أمسح الدموع من خدي، فيما أخذ ديكلان الهاتف ووضعه على أذنه. «ماذا؟».

بعد لحظة، تجمدت ملامحه، وقال: «ماذا حدث؟» ثمّ صمت مرة أخرى، قبل أن يضيف: «سأكون هناك». صمتَ مجدّدًا ولكن لفترة أقصر هذه المرة، ثمّ قال: «أنا لا أهتم، آلان. أنا قادم». بعد ذلك ضغط على الزر لإغلاق الهاتف.

عـادت عينـاه إلـيّ، واختفـى أيّ أثـر للطـف أو التعاطـف. «افعلـي مـا تشـائين، جوليـت. أنـا لا أهتـم». ثـمّ التقـط مفاتيحـه مـن جيبـه وهـمّ بالمغـادرة.

سـأله ريـف: «ما الذي حدث؟ ديك، توقف. إلى أين أنت ذاهب؟»

«إلـى المستشـفى. لقـد أصيبـت أمـي بهبـوط فـي الضغـط الدمـوي بينمـا كانـت تتنـاول العشـاء. واتصـل آلان بسـيارة إسـعاف». لـم ينتظـر، وراح يصعـد الدرج.

حينهـا قـال ريـف: «انتظـر.. ديـك، انتظـر.. دعنـي أسـتدعي أمـي. سـآتي معـك».

«لا يمكنني الانتظار».

الآن، أمكنني سماع الخوف في صوته.

أتذكر هذا جيّدًا.

اجتاز الباب.

قلت لريف: «أعطني الطفلة، واذهب.. اذهب معه».

الفصل الثلاثون

البريد الوارد: الظلام

لا توجد رسائل جديدة.

لا أدري لماذا واصلت تحديث التطبيق. كنت قد غادرت جولييت منذ ساعة وتركها ريف مع الطفلة. ولا أتصور أنّ جولييت ستجلس وترسل لي رسالة بينما تعبث طفلة صغيرة في المكان، لا سيما وأنّها لا تعرف أن ديكلان مورفي والظلام هما الشخص ذاته.

لكن في الوقت ذاته، تمنّيت لو أنّها تفعل.

فركتُ قفاي. لقد كانت قاعة الانتظار في قسم الطوارئ مزدحمة وخانقة. فلم أستطع رؤية آلان ولم يكن يردّ على رسائلي أو مكالماتي.

ظللت أفكر في المرات الثلاث التي اتصل فيها بي في منزل ريف، وكيف تجاهلت ذلك.

كان الجانب اللامبالي منّي يعتقد أنّه يفعل هذا فقط لإثارة غضبي. أمّا الجانب المرتعب منّي فقد كان يخشى أن تكون أمّي في حالة سيئة جدًّا حتى أنّه لم يستطع حتى النظر إلى هاتفه.

هل أخبرَتْه عن مدى مرضها ليلة الجمعة؟ ربّما لم يكن يعلم. ربّما كان عليّ أن أقول شيئًا. لقد أصيبت بهبوط في الضغط الدموي. ماذا يعني هذا؟ نوبة قلبية؟ لو كان كذلك لقال آلان إنّها أصيبت بنوبة قلبية؟ ربّما فقدت وعيها فقط.

لكن لماذا أصيبت في قلب المطبخ؟

هـل كانت تحضّـر العشـاء. هـل جرحـت نفسـها؟ مـا الـذي حـدث بالضبـط؟

فركـت ذقنــي وتنهـدت. كانــت الموسـيقى تتدفـق مــن مكبــرات صــوت علويـة، لكنّهـا كانـت مضبوطـة علـى محطـة لـن يسـتمع إليهـا أي شـخصٍ سـويّ. لقـد كانـت مـن ذلـك النـوع مـن الموسـيقى التـي تصدرهـا أجهـزة العـزف القديمـة، وفـي كل مـرة يضغـط فيهـا المغنـي علـى نغمـة طويلـة، يخشـخش متحـدثٌ عبـر الميكروفـون ببعـض الإحصائيـات. واصلـت هـز رجلـي، إذ لـم أعـد أتمالـك أعصابـي.

حيـن نظـرت إلـى الأعلـى، توقفـت عينـي علـى ملصـق عبـر القاعـة حـول العلامـات المحـذِّرة مـن سـرطان الثـدي.

هـل سيجعل هـذا المـرء يصـاب بهبـوط فـي الضغـط الدمـوي؟ لـم تكـن لـديّ أيّ فكـرة. ثـمّ أشـحت بنظـري عـن الملصـق، لتتوقـف عينـي علـى ملصـق آخـر يتحـدث عـن أمـراض القلـب.

سـحبت نفسـي مـن الكرسـي، وقلـت: «سـأذهب لأسـأل مـرة أخـرى».

حينهـا جـاء صـوت ريـف ثابتًـا ومسـتقرًا: «ديـك، لقـد سـألت قبـل عشـر دقائـق».

كان علـى حق. إذ مـا فتئـت أسـأل كل عشـر دقائـق. وفـي كل مـرّة كانـوا يخبروننـي بأنّـه لا يُسـمح إلّا لفـرد واحـد مـن العائلـة، لـذا كان علـيّ انتظـار خـروج آلان. لكنّـه لـم يفعـل.

ظلّـت المـرأة التــي تقـف خلـف الشـباك تنظـر إلـيّ باسـتمرار، وبإمكانـي القـول إنّنـي قـد بـدأت أثيـر أعصابهـا، أيضًـا. وإذا حـدث وطـردت مـن هنـا، فـلا أدري مـا الـذي سـأفعله حينهـا.

ارتميت على المقعد. وكنت أسمع خفق نبضات قلبي في أذني، ما جعلني واعيًا تمامًا بكل خفقة. مرّرت يدي عبر شعري. وكنت أشعر بانقباض شديد في كتفيّ وشعرت بالحاجة إلى ضرب شيء ما لأتخلص من الضغط.

وضع ريف يده على كتفي، فتجمّدت. وللحظة، كنت قلقًا من أنّه سيقول شيئًا من الإنجيل عن إرادة الله، وسيدفعني إلى لكمه. أو أنّه سيقول شيئًا فارغًا ولا معنى له من قبيل *ستكون بخير أو أنا متأكد من أنّه مجرد انخفاض في نسبة السكر في الدم. ربّما يعطونها مشروبًا غازيًا الآن.*

لكنّه ريف وهو أعز أصدقائي ولم يقل أيًا من هذه الأشياء. بل جلس هناك في صمت ويده على كتفي.

وبطريقة ما، كان من المطمئن أن أعرف أنّني لست هنا وحدي. لكننا جلسنا هناك فترة طويلة حتى بدأ الخوف يضغط عليّ.

أرسلت رسالة نصية إلى آلان مرة أخرى.

لا رد.

اتصلت به وحُوّل اتصالي مباشرة إلى البريد الصوتي.

لقد أغلق هاتفه.

ضاق صدري. وصرت أكافح لسحبي كلّ نفس، ويأبى حلقي العمل بشكل صحيح. لم يعد بإمكاني الجلوس هنا في صمت.

«أعتقد أنّها تعاني من مرض ما».

مال ريف نحوي، وكانت نبرته منخفضة، كنبرتي: «لماذا؟»

«لقد وجدتها تتقيأ بعد عودتي من حفل العودة». صار صوتي مضطربًا تقريبًا وشعرت بالرطوبة في عينيّ، لذا أبقيتهما مثبتتين على السجاد.

ظل هادئًا للحظة، ثمّ قال: «كان ذلك يوم الجمعة فقط. يمكن أن تكون الأنفلونـزا».

هـززت رأسـي. «لـم يكـن الأمـر كذلـك. لقـد كانـت بخيـر أمـس». ثمّ تجمّـدت، وانزلقـت دمعـة علـى خـدي. فمسـحتها سـريعًا. «لا، لـم تكـن بخيـر أمـس. كانـت تأخـذ قيلولـة فـي منتصـف اليـوم».

ثـم تذكّـرت أمـرًا آخـر، كلام كريسـتين علـى العشـاء قبـل حفـل العـودة، حيـن سـألت إن كانـت أمـي تشـعر بتحسـن. «قالـت كريسـتين إنّهـا كانـت مريضـة نهايـة الأسـبوع الماضـي أيضًـا».

لم يعقِّب ريف بأي شيء، فقد تذكر كلامها هو الآخر.

ربّما كانت أمي مريضة منذ فترة.

كل لحظة لها معنـى. أحيانًـا تبـدو كلمـات ريـف كأنّهـا إرهاصـات حيـن أعيدهـا فـي رأسـي.

فكل لحظة أجلس فيها هنا، أنا لست بجانبها.

اهتـز هاتـف ريـف، وكنـت أجلـس قريبًـا بمـا يكفـي لأسـمعه. أخرجـه مـن جيبـه وتفحـص الشاشـة، ثـمّ قـال: «سـتكون أمّـي هنـا خـلال دقيقـة. وسـتبقى جولييـت مـع بيبـي دول حتـى يعـود أبـي إلـى المنـزل».

كانـت كريسـتين قادمـة. ولـم أدرِ لمـاذا، لكـن هـذا جعـل الأمـر أكثـر جدّيـة.

لـم أسـتطع إيقـاف الدمـوع التاليـة التـي تدحرجـت علـى وجهـي. فسـحبت كمـي علـى خـدي واستنشـقت نفسًـا عميقًـا.

ربّمـا كانـت تحتضـر طـوال هـذه الفتـرة. ربّمـا هـي تفـارق الحيـاة الآن، وأنـا لا أعـرف ذلـك حتـى لأن آلان قـد أغلـق هاتفـه.

أخـذ الغضـب يشـكّل ضغطـا جديـدًا علـى صـدري لكنّنـي كنـت أفضله علـى الخـوف. فقـد كنـت أفهـم الغضـب وأرحـب بـه حتـى وهـو يزحـف علـى ظهـري ليتوغـل بيـن كتفـي.

أريد أن أقتله.

وبهـذه الطريقـة، كمـا لـو أنّ أفـكاري القاتلـة قـد اسـتدعته، اجتـاز آلان الأبـواب المزدوجـة وظهـر فـي قاعـة الانتظـار، وقـد بـدا متوتـرًا ومرهقـًا وخائفـًا.

تمامًـا مثلـي، حقًـا. كان ينبغـي لهـذا أن يسـتدعي غضبـي مجـدّدًا، لكنـه لـم يفعـل.

أردت أن أدفعه عبـر الحائـط.

صحـت: «آلان». وكان بإمـكان صوتـي أن يقطـع الفـولاذ، وأنـا فـي منتصـف طريقـي عبـر القاعـة قبـل أن يلاحـظ أنّنـي أتجـه نحـوه. «أيـن هـي؟ مـا الـذي يحـدث هنـا؟»

«حافـظ علـى صوتـك منخفضـا». وراح يمـرر نظـره بينـي وبيـن ريـف وقـد بـدا مندهشًـا مـن أنّنـا هنـا.

«أيـن هـي؟» كانـت قبضتـاي مشـدودتين بشـدة لدرجـة أن أظافـري قـد خلفـت أنصـاف أقمـار صغيـرة علـى راحتـي.

«أريد رؤيتها».

«تمالك نفسك»، همهم ريف بجانبي.

التفت آلان نحوي بعينين مرهقتين: «لا يمكنك ذلك. إنّها..»

قاطعته في تذمر: «لقد كنت معها مدة ساعتين. أريد رؤيتها».

خيّـم الإحبـاط علـى تعابيـره. «قلـت لـك ألّا تأتـي إلى هنـا، ديكلان. هـذا شـخصي جدًّا، وهـو بينـي وبيـن والدتـك أفهمـت..»

دفعته.

لكن لا، لم تأتِ حركتي بالنتيجة المطلوبة. فقد كان آلان محظوظًا بوجود جدار خلفه، واصطدم به بدل أن يقع على الأرض.

أمسك ريف بي، حتى لا ألحق به.

جمع آلان قبضتيه، وهمّ بالرد. كنت جاهزًا لذلك، بل مرحّبًا به. اتّقدت النار في عينيه، وكنت أعلم أنّه كان يريد ضربي منذ *أشهر.*

لكنّه مع ذلك لم يتحرك. بل وقف هناك يتنفس بصعوبة ويحدق في وجهي. وفجأة بدت الطريقة التي وضع بها ريف كتفه لاعتراضي مبالغًا فيها.

اتجهت صوبنا كل الأعين في غرفة الانتظار. وأخذت الممرضة خلف المكتب تتحدث على الهاتف، وكان بإمكاني سماعها تتحدث بسرعة. «.. قد يكون هناك حادث في قاعة الانتظار في قسم الطوارئ».

وفجأة ضربتني كلمات جولييت في الوجه. *أنت مستفز جدًّا.*

«ريف»، قلت وقد بدا صوتي كأنّني كنت أمضغ الحصى، وعيناي مثبتتين على آلان. «دعني».

لكنّه لم يفعل. «لا تزال تحت المراقبة».

«أعلم»، صررت أسناني. «أنا بخير».

حينها قال آلان: «اِنضج، فوالدتك لا تحتاج إلى مثل هذا التصرّف لا سيما الآن».

وبطريقة ما استُنزفت منّي كل رغبة في الشجار، وتحرّرتُ من قبضة ريف. لقد كنت على وشك اختراق الأبواب المزدوجة،

وليذهب الأمن للجحيم، أو ربّما على وشك التكوّر على الأرض. «ريف». وفجأة ظهرت كريستين بجانبنا، وعيناها القلقتان تنتقلان بيني وبين آلان. «ما الذي يحدث؟»

ردّ ريف: «لا ندري». ثمّ حدّق إلى آلان وأضاف: «لم يرغب أحد في إخبارنا بأي شيء».

نظر آلان إلى كريستين، وبدا مرتاحًا لوجود شخص بالغ آخر هنا ليساعده في التعامل مع هذين الجانحين. «هل يمكنك اصطحابهما إلى المنزل؟ سأقضي الليلة مع أبي».

«بالتأكيد»، قالت ونظراتها تنتقل بيني وبين ريف، ثم عادت بنظرها إليه، وسألت: «هل كل شيء على ما يرام؟»

كافحت بشدة لأبقى ثابتًا. وظهر بجانب المكتب الآن حارس أمن، وعلى الرغم من أنّه لم يقترب منا كان من الواضح أنّه جاء للتأكد من عدم تعرض أيّ شخص للمشكلات. «لن أذهب إلى المنزل حتى تخبرني بما يحدث، آلان».

في تلك الأثناء اتجهت نحونا ممرضة عبر الأبواب المزدوجة ومعها لوح رقمي في علبة سميكة، وقالت: «سيد برادفورد، سنأخذها إلى الطابق العلوي الآن. ستوافيك ممرضة توليد إلى الطابق السابع».

حينها شهقت كريستين، ووضعت يدها على فمها. «آلان».

نظرت وريف إليها دون أن أعرف ما تعنيه هذه الشهقة، لكن من الواضح أنّه أمر جلل. حينها شعرت بالأرض تتهاوى من تحتي. فسألتها ولم أعد أستطيع إبقاء الخوف بعيدًا عن صوتي.

«ماذا؟ ما هي ممرضة التوليد؟ هل هو سرطان؟». انكسر صوتي. «هل هي مريضة؟ هل يمكنني رؤيتها؟»

«لا، يا عزيزي ديكلان». وأخذت كريستين يدي وربتت عليها كأنّني أبلغ من العمر ست سنوات. «ممرضة التوليد هي للحمل». لم تترك يدي، لكنّها استدارت إلى آلان، وقالت: «هل أبي بخير؟»

لم أستطع التحرك. لم أستطع التنفس. راحت يدي تتحرك برفق في يد كريستين.

حمل.

أومأ آلان برأسه. «إنّها تعاني من جفاف شديد. لقد وضعوا لها أنبوبًا وريديًا. لكنّ الجنين بخير».

الجنين.

الجنين.

والدتي ستنجب طفلاً.

الفصل الواحد والثلاثون

من: الظلام <TheDark@freemail.com>

إلى: فتاة المقبرة <cemeterygirl@freemail.com>

التاريخ: الاثنين، 7 أكتوبر الساعة: 10:22:44 مساءً

الموضوع: القصة كاملة، الجزء الثاني

إنّ قوانين الزواج مضحكة. إذا كان المرء يرغب في الزواج، فيمكنه الذهاب إلى المحكمة وتوقيع بعض الأوراق والزواج في أقل من خمس عشرة دقيقة.

أمّا إذا كان المرء يرغب في الطلاق فعليه الانتظار مدة عام. حتى لو كان الزوج في السجن.

حُكم على والدي بالسجن عشر سنوات، واعتقد جزء ساذج منّي أن والدتي ستنتظره. كما لو أنه سيخرج من السجن يومًا ما، وسنخرج جميعًا لنحتسي مشروبًا معًا، وسيكمل جيم القديم الطيب وآبي من حيث توقفا كأنّه لم يقتل أختي وألقى بنا جميعًا في الجحيم.

على حد علمي، لم تزر والدتي والدي في السجن قط ولم أفعل أنا طبعًا. ذات مرّة طلبت من أمي رؤيته، حين كانت الصدمة قد خفت وزال الخدر، وبدأت حياتنا تتخذ وتيرة منتظمة، لكنّ الأمر كان كأنّني قد طلبت منها أقذر وأشرس شيء يمكن أن يخرج من فم شخص ما. وكانت على وشك أن تصفعني.

ثمّ قالت: «لن نراه مرة ثانية». ودخلت المطبخ ودخنت سيجارة وهي تقف عند الحوض.

حينها شعرت كأنّني أنتمي إلى السجن معه.

بعد عام، بدأت أمي في المواعدة. كنت قد دخلت لتوي السنة الثانية، لذلك لم أكن واع تمامًا في البداية. ولم تكن جامحة أو شيئًا من هذا القبيل. ولم أكن أعرف حقًا أنّها كانت تواعد حتى بدأت بجلبهم معها إلى المنزل.

في البداية، بدت هذه فكرة رائعة. فبعد وفاة كيري، كانت أمي دائمًا في وجهي، وترغب في معرفة إلى أين كنت أذهب ومع من كنت وماذا يحدث في المدرسة. ويمكنكِ أن تتخيلي كيف تفاعلت مع هذا النوع من المعاملة. وكان وجود صديق جديد يعني أنّها تستطيع أن تصب اهتمامها على شخص آخر غيري.

لكن المفاجأة هي أن ذوق والدتي في الرجال كان مقرفًا.

ربّما كان عليّ أن أدرك هذا، بعد أن تبين أنّ والدي كان بمنزلة الفائز من بين الرجال.

لم يستمر الأول طويلًا بعد أن قابلني.

ربما كان على ما يرام مع فكرة ربيب من الناحية النظرية، أو ربّما كان يعتقد أنّ الأطفال يجب أن يكونوا مثل الكلاب، يحبسون في قفص حين لا ترغب في التعامل معهم. وفي كلتا الحالتين، لم تعجبه حقيقة أنني لم أكن كلب بودل مدربًا. فكان يأتي لتناول العشاء معنا، وكان دائمًا يشعر بالضيق لأنّني تجرأت على تناول الطعام على الطاولة.

في النهاية، انتبهت أمي لذلك، وأصبح الرجل من الماضي.

استمر الثاني لفترة أطول بقليل، ولكن ليس كثيرًا . وهذا فقط لأنّه لم يكن يأتي إلى المنزل كثيرًا . لقد كان صارمًا ومتدينًا جدًّا، وجعلتني الطريقة التي كان يراقبني بها دائمًا أشعر بالتوتر. ولم يكن صديقي الحميم يأتي إلى المنزل حين يكون هو هناك. لا أعرف ما الذي حدث ليفترقا، لكنّني سمعت أمي تتحدث عنه عبر الهاتف مع صديقة، ووصفته بأنّه أشبه بـ «حادث وشيك».

كان الثالث مثليًا، وهو شيء لاحظته عندما قابلته لأول مرة، لكن لسبب ما استغرق الأمر بضعة أسابيع من أمي لتكتشف ذلك. أمّا الرابع فقد أخفى أنّه كان عاطلًا عن العمل. وانتهى الأمر حين طلب اقتراض بطاقة ائتمان أمّي لفترة قصيرة. ولم يكن لأنّه طلب ذلك، بل لأنها أعطته إيّاها، فأنفق سبعة آلاف دولار كرسوم قبل مغادرة المدينة.

وقد تلاحظين وجود نزعة ما.

كان الخامس لا يزال متزوجًا. واكتشفت أمّي ذلك حين حاولت مفاجأته في المنزل فاصطدمت بزوجته. بكت لعدة أيام وأخبرتني بأنّها شعرت كأنّها حمقاء.

لكنّها استمرت في جلب هؤلاء الرجال إلى حياتنا، وكانوا جميعهم غير مناسبين.

كان بإمكان أيّ شخص ملاحظة ذلك. وفي بعض الأحيان تساءلت إن كان هناك شيء مكسور في رأسها جرّاء الطريقة التي تثق بها بالأشخاص المقدّر أنّهم سيخيبون أملها.

ثمّ مرة أخرى وثقت بي، وانظري إلى أين وصل بنا الأمر.

بحلول الوقت الذي عرفتني فيه بالرجل السادس، كنت مهيّأً لأن أكرههم جميعًا.

لكن لسوء الحظ، كانت أمّي متهورة كالعادة. فقد كان رجل أعمال بعيدًا كل البعد عن الأظافر المتسخة وراحة اليد المتقرحة لرجل يعمل في السيارات طوال اليوم. لقد كان الرجل السادس يحظى بالفعل بجلسات العناية بالأظافر، لو بإمكانك تصديق ذلك. وقد سخرت منه في وجهه، على أمل التسريع في الانفصال المحتوم. لكنّ أمي أحبته. فقد كان يأخذها إلى المطاعم الفاخرة، ويرتدي أحذيةً لامعة، وأوقعها في غرامه.

في البداية، حاول كسب ودي. فكان يربّت على كتفي ويقول شيئًا من قبيل: «مرحبًا، يا صديقي، لقد حصلت على تذاكر في المقصورة العليا لمباراة فريق أوريولز الليلة. اعتقدت أنّه ربما يمكنني أنت وأنا مشاهدتها معًا».

نعم، كأنّ كل شيء فيّ كان يدلّ على أنّني «مشجع بيسبول».

لقد رفضته. ولطالما رفضته.

وعندما لم ينجح ذلك، حاول أن يلعب دور الأب. فكان حين يتصل مدرس ما بالمنزل، يحاول هو التعامل مع الأمر. وكان يتهمني بالتمثيل وإيذاء والدتي عمدًا لجعلها تكرهه. ثمّ بدأ يكرهني. وكان بإمكاني أن أشعر بذلك.

لم يكن بالأمر المهم، فقد كانت مسألة وقت فقط قبل أن تظهر حقيقته، فقد يكون هذا الرجل مدمن مخدّرات أو أيًا يكن، لكنّني كنت أعلم أنه لن يستمر.

لكن لسوء الحظ، كنت مخطئًا. فقد خُطبا وحدّدا موعدًا للزواج.

وطلب منّي أن أكون إشبينه، فرفضت.

قال: «يا لك من فاسقٍ جاحد. هذا متوقّع منك».

هذا متوقّع منك.

أشعر بغضب شديدٍ الآن، عند تذكر ذلك. لقد كان في نبرته ازدراء وعدم احترام بالكامل. ولحسن الحظ أنّ الهاتف يقوم بالتصحيح التلقائي لأنّ أصابعي تنقر في كل مكان. فاسق جاحد. هذا متوقّع منك.

أكان من المفترض أن أكون ممتنًا لأن رجلاً آخر قد اقتحم حياة أمي ليدمرها؟ على ما يبدو نعم.

لم أتودّد إليه كما فعلت هي، لذلك شطبني. لقد شكّل تلك الصورة عني في رأسه، وهكذا كان الأمر. وهكذا رآني. وهكذا يراني الآن.

بعد ذلك، لم أعد قادرًا على فعل أيّ شيء بشكل صحيح. اعتدت جز العشب، لكنّه بدأ بفعل ذلك حين أكون أنا في المدرسة، وكان يجزّه بأشكال ماسية غبيّة ما يجعلها ولِهةً. وكان يُخرج القمامة دون أن يُطلب منه ذلك، وكانت تدلي بتعليقات حول مدى روعة وجود رجل في الجوار للعناية بالمنزل. اعتادت أمّي أن تأخذني معها إلى بعض الأماكن، لكنّها الآن تذهب إلى كل مكان معه. وبعد حادثة الإشبين، لم أرغب في الذهاب إلى أيّ مكان معه لكنهما لم يطلبا منّي ذلك على أي حال.

في بعض الأحيان أتمنى لو أنّني مِتُّ في تلك السيارة مع كيري. أعتقد أن الأمر كان سيكون أسهل على والدتي، فحينها ستكون لديها فرصة لبدايةٍ جديدة. لكنني لا أزال هناك أقف حجر عثرة في طريقها.

لقد تزوجا في مايو الماضي.

وكان احتفائي بذلك من خلال الإقدام على محاولة انتحار بعد الحفل.

ومن الواضح أنّني لم أنجح.

لكن في الوقت الحالي، وبعد ما اكتشفته للتو بشأن والدتي، أتمنى لو أنّ محاولة انتحاري أفلحت.

جلست في العتمة، أحدّق إلى رسالته. قبل خمس دقائق، كنت مستلقية في العتمة، أنتظر النوم لأبدّد أفكاري حول ديكلان وريف وما قد يحدث لهما الليلة حتّى أضاء هاتفي.

والآن، صار قلبي يخفق وأنا في كامل يقظتي.

لا تزال النقطة الخضراء تظهر بجانب اسمه. لقد سبق أن راسلني في غرفة الدردشة مرّة واحدة. فهل بإمكاني فعل الشيء ذاته؟

ف م: هل تريد التحدث عن ذلك؟

انتظرت لكنه لم يرد.

كان الأدرينالين يندفع في عروقي. ولم أدرِ ما ينبغي لي القيام به.

همست: «هيّا».

تمنّيت لو كانت لدي طريقة للاتصال به. تمنيت لو عرفت طريقة أخرى للتواصل معه.

ف م: أعلم أنك لا تزال متصلاً. أرجوك أخبرني إن كنت بخير.

لا شيء.

ف م: أنت تقلقني حقًا. لسنا مضطرين إلى التحدث، ولكن أرجوك أخبرني بأنّك هنا.

أنّك هنا. لأنّني لم أستطع أن أكتب *أرجوك أخبرني بأنّك على قيد الحياة*.

لا شيء.

ألقيت نظرة إلى ساعتي. كانت الساعة العاشرة والنصف، وكان أبي نائمًا، لكنّني لا أعرف ما عليّ فعله. ربّما سأضطر إلى إيقاظه.

رميت بطانياتي إلى الخلف، وحينها أضاء الهاتف.

ظ: أنا هنا. آسف. كنت أغسل أسناني.

ف م: أريد أن ألكمك.

ف م: كنت قلقةً حقًا.

ظ: لا أمر بليلة جيّدة.

ف م: هل تريد التحدث عن ذلك؟

ظ: لا.

حسنًا. لا أعرف ماذا أردّ على هذا.

أضاء هاتفي مرة أخرى.

ظ: أمّي حامل.

ف م: أشعر بأنّ «تهانينا» ليست الكلمة المناسبة لقولها.

ظ: إنّها حامل في شهرها الرابع. لقد كانا يعرفان ذلك منذ أربعة أشهر ولم يخبراني بالأمر.

ف م: ربما ليس كل هذا الوقت. لا يمكنك معرفة ذلك على الفور.

ظ: حسنًا. لكنّهما لم يكتشفا ذلك اليوم.

ف م: هل هي سعيدة؟

ظ: ليس لدي فكرة. لقد اكتشفت الأمر بالصدفة، ولم يخبراني به.

ف م: كان عليهما إخبارك في النهاية.

ظ: هل من المفترض أن يجعلني هذا أشعر بتحسن؟

ف م: أنا آسفة. لقد قضيت ليلة غريبة، أيضًا.

ظ: لماذا؟ ماذا حدث معك؟

ف م: ليس علينا التحدث عنّي. أردت التأكد من أنّك بخير.

ظ: أنا بخير. لا أريد التكلم عن الأمر. لماذا كانت ليلتك غريبة؟

ف م: لا أعرف إن كنتُ أريد التحدث عنها أيضًا.

ظ: لم لا؟

لأنّـه كان مـن الغريـب التحـدث معـه عـن ديـكلان، وكان أمـرًا سـخيفًا. لكن فـي الوقـت ذاتـه لـم يكـن كذلـك. لقـد بـدا الأمـر كأنّـك تتحـدث إلـى شـخص معجـب بـه عـن شـخص آخـر معجـب بـه، الـذي يبـدو كأنّـه تخـطٍّ لحـدود الخيانـة. وفـي الوقـت ذاتـه، كان الظـلام مجهـولًا بالنسـبة إلـيّ، وأشـعر أنّـه يفهمنـي بطريقـة لـم يفهمنـي بهـا أيّ شـخص آخـر. كمـا بـدا مـن الغريـب عـدم التحـدّث عـن ديـكلان. لقـد كان الأمـر برمّتـه غريبًـا.

غريبًا ومسبّبًا للإدمان، ثمّ عضضت على شفتي ورحت أكتب ببطء.

ف م: أتتذكر عندما حدثتك عن ديكلان مورفي؟

ظ: نعم.

تـردّدت، وأنـا أحـدق إلـى الشاشـة. كنـت أفكـر فـي أنّ ريـف قـد يكـون هـو الظـلام، لكـن حيـن قابلـت أبويـه، أدركـت أنّ هـذا غيـر ممكـن علـى الإطـلاق. لكـن ديـكلان. . .

أومض هاتفي.

ظ: هل ما زلتِ هنا؟

ف م: لـم تخبرنـي قـط إذا كنـت تعـرف ديكلان أم لا. أدركـت الآن للتـو أن لديكمـا الكثيـر مـن أوجـه التشـابه.

ظ: أي نوع من أوجه التشابه؟

ف م: كلاكمـا لديـه زوج أم لا يتفـق معـه. لديـك معرفـة بالسـيارات، وهـو كذلـك.

ظ: يا لها من طريقة لحل القضية، يا شيرلوك. لعلمك، نصف الفتيان في مدرستنا لديهم أزواج أمهات لا يتفقون معهم، وهناك ما لا يقل عن ستين فتى في الصف الأول وحده يعملون في العديد من ورش السيارات.

ف م: لديكما السلوك نفسه، كما أرى.

ظ: توقفي عن اللف والدوران. هل تريدين أن أخبرك من أنا؟

توقفت عن التنفس. *هل أرغب في هذا حقًّا؟*

حاولت إعادة النظر في كل مواجهة كانت لي مع ديكلان من خلال هذه الرؤية الجديدة. لا شيء منها كان يتناسب بالضبط. وقد بدا الأمر كاختلاط الماء والزيت. لكنّه ظهر بعد حفل العودة لمساعدتي، لذا ربّما يكون هو، لكن لم لا يعترف بمن يكون؟ لماذا يواصل هذه التمثيلية؟

من جانب آخر، كان الظلام يدرك إلى أيّ مدى كان من الصعب عليّ العودة إلى التصوير الفوتوغرافي. لكن هذا المساء في قبو ريف بدا ديكلان مصدومًا حقًّا حين أخبرته أنّ التقاط صورة الكتاب السنوي قد أثّرت عليّ بالقدر ذاته. ضِف إلى ذلك، أنّه لم يسبق أن ذكر الظلام أيّ مشكلات قانونية لديه أو خضوعه لفترة مراقبة أو أيّ نوع من الخدمة المجتمعية، في حين أعلم أن ديكلان خاضعٌ لأمر من المحكمة بفعل *شيء ما* قام به الربيع الماضي. لم أكن أعلم كلّ تفاصيل قضيته، فما أعرفه ليس أكثر ممّا قاله لي في السيارة. كما أنّه لم يسبق لديكلان أن أتى على ذكر أختٍ له ولم يذكر ريف هذا أيضًا. فيما كانت كلمات الظلام

تحمل ما يكفي من الألم الذي جعلني أدرك كم كانت أخته تعني له.

بالإضافة إلى ذلك، لا أعتقد أنّني ذكرت والدتي لديكلان.

وبغض النظر عن كل ذلك، هل أرغب حقًّا في أن أعرف من هو الظلام؟ وإذا كان هو نفسه ديكلان مورفي، فهل هذا أمر جيّد؟ لا يمكنني أن أنكر ومضات انجذابي في قبو ريف هذا المساء لكن تلتها ومضات الغضب والتهيج والسخط والقلق.

ما زلت أسمع صوته الأجش. *أنت بخير.*

وضعت رأسي على وسادتي. أوه، إذا كان هو ديكلان مورفي، فماذا يعني ذلك؟ وانتفض قلبي بشدة لكنّني لم أكلّف نفسي حتى عناء تهدئته.

ثمّ هدّأته فكرة أخرى.

إذا لم يكن هو ديكلان مورفي، فماذا يعني ذلك؟

حينها أضاء هاتفي.

ظ: أشعر بترددك.

قهقهت. لقد مرت خمس دقائق تقريبًا منذ آخر رسالة.

ف م: لا بد أنّك وسيط روحي. ربّما يمكننا الاستغناء عن الهواتف.

ظ: في الواقع اعتقدت أنّكِ قد نمت.

ف م: ما زلت هنا.

ظ: لم تجيبي عن سؤالي.

ف م: لا أدري. لا أدري إن كنت أريد أن أعرف من تكون.

ظ: هذا منصف.

ف م: هل تريد التحدث عن والدتك؟

ظ: لا.

ف م: هل تريدني أن أتركك لتنام؟

ظ: لا.

ف م: هل تريد الاستمرار في الحديث؟

ظ: نعم.

ابتسمت واحمرّ وجهي خجلًا واختبأت تحت بطانياتي.

فأرسل رسالة أخرى.

ظ: أخبريني عن ليلتك مع ديكلان مورفي.

ترددت. هل أنا أتحدّث *إلى* ديكلان عن ديكلان؟ شعرت برأسي يؤلمني، ورحت أكتب.

ف م: ليس هناك الكثير لأقوله. لقد طلب منّي السيد جيراردي تصوير مهرجان الخريف الأسبوع الماضي، ففعلت. ومن بين الصور التي التقطت كانت هناك واحدة تُظهر ديكلان وصديقه على أحد طرفي صورة، وعلى الطرف الثاني بعض المشجعات يرقصن.

ظ: واصلي.

ف م: يريد السيد جيراردي استخدام الصورة كغلاف للكتاب السنوي. وحين أخبرت ديكلان وصديقه ريف بذلك جنّ جنون ديكلان.

ظ: لماذا؟

ف م: لا أدري. لقد صرخ في وجهي وقال إنّه لا يريد أي ذكرى عن هذا العام.

ظ: يبدو كأنّه حقير حقيقي. أتساءل إن كان يجب أن أشعر بالإهانة لأنك تعتقدين أنّني هو.

ف م: أحيانًا يكون حقيرًا حقيقيًا. لكنّني لم أتعامل مع الأمر بشكل جيّد أيضًا.

ظ: بسبب والدتك.

ف م: نعم.

ظ: ألا تعتقدين أنّها ستكون فخورة، لأنّ الصورة التي التقطتها ستكون على غلاف الكتاب السنوي؟

ف م: لا. ستكون فخورة بي إذا التقطت صورة لأعمال الشغب في بالتيمور، وانتهى بها الأمر في جريدة التايمز أو شيء من هذا القبيل. كانت تقول إنّ التصوير الفوتوغرافي هو وسيلة لإظهار كيف يبدو العالم حقًا.

ظ: نعم، لكن في لقطات فقط، أليس كذلك؟

ف م: بلى..؟

ظ: الصورة هي لحظة واحدة فقط. حين كنت أبحث عن صور والدتك، نقرت وألقيت نظرة إلى بعض الصور الأخرى. كانت صورة من حرب فيتنام، حيث يقوم رجل بإطلاق النار على

رأس سجين. هل تعرفينها؟

ف م: نعم. إنّها صورة شهيرة.

ظ: أيّهما في اعتقادك الرجل الشرير؟

طرفت وجلست مرة أخرى. أعرف بالضبط الصورة التي يتحدث عنها لأنّها شهيرة إلى حد ما. لقد التُقط موت الرجل في الصورة. وشعرت بالخجل من الاعتراف بأنّني لا أعرف التاريخ المحيط بالصورة، باستثناء أنّها كانت محورية في قلب الرأي العام ضد حرب فيتنام. ولطالما افترضت أنّ «الرجل الشرّير» هو الرجل الذي يحمل البندقية، لأنّه.. حسنًا، لأنّه كان يقتل شخصًا آخر. لكنّني لا أعرف أيّ شيء خلف تلك اللحظة من الزمن.

ف م: لطالما فكرت في الرجل الذي يحمل البندقية، لكنّني الآن لست متأكدة.

ظ: لقد كان الرجل الذي يحمل البندقية هو قائد الشرطة. وكان بصدد إعدام الرجل الآخر لقتله أكثر من ثلاثين شخصًا في الشارع بعضُهم أطفال.

ف م: لا أعرف حتّى ما أقوله. أشعر بأنّه كان ينبغي لي أن أعرف ذلك.

ظ: لا تشعري بالسوء، فأنا أقرأ هذا من ويكيبيديا الآن.

ف م: لا أفهم ما علاقة أيٍّ من هذا بصورة غبية في الكتاب السنوي.

ظ: أعني أنّ الصورة هي مجرد لحظة من الزمن. لكنّنا لا

نعرف حقيقة ما يحدث للأشخاص الموجودين في الصورة. ولا نعرف ما الذي يحدث مع المصور. وما يجعل الأمر مهمًا هو ما نقدّمه للصورة: افتراضنا من هو الشرّير ومن هو الخيّر. وما يجعلها مهمة هو ما نشعر به حين ننظر إليها. ويجب ألا تكون الصورة عن أعمال شغب أو موت أو مجاعة أو أطفال يلعبون في منطقة حرب لإحداث تأثير.مكتبة سُر مَن قرأ

ف م: إذن أنت تقول إنّه ينبغي ألا يزعجني أنّها ستكون على الكتاب السنوي.

ظ: نعم.

ف م: حسنًا، إذن.

ظ: وأنا أقول إنّه ينبغي أن تكوني فخورة بذلك.

ف م: أنت لم ترها حتّى.

ظ: أرسليها إليّ.

ف م: لا أستطيع. إنّها في المدرسة.

ظ: حسنًا، أعتقد أنّه سيكون من الأفضل أن يختاروا الصورة التي التقطتها بدلاً من جعل طلاب التخرج يقفون في طوابير مشكّلين الأحرف الأولى من المدرسة.

ف م: شكرًا لك.

ظ: لا بأس أن تنجحي في شيء فعلته والدتك، وإن كان ذلك بطريقة مختلفة.

صدمتني تلك الكلمات بشدة لدرجة أنّني ألقيت بنفسي على الوسادة، وشعرت بالألم في صدري من الضغط، واجتاحتني

الرغبة في البكاء. لقد كنت أبكي.

أنتِ بخير.

استنشقت واستجمعت أنفاسي.

ف م: لا بأس أن تغضب لأنّ والدتك حامل.

ظ: أنا لست غاضبًا. أنا.. دخيل.

ف م: أنت لست دخيلًا.

ظ: بلى، أنا كذلك. لقد أخذتْ اسم ذلك الحقير حين تزوجته. والآن لم يعد هناك شيء يربطني بها، هناك فقط شيء يربطني برجل عالق في السجن.

ف م: لا يوجد اسم يربطني بأمي أيضًا، لكنّني ما زلت متصلة بها. أشعر بذلك كل يوم.

لم يقل أي شيء لذلك انتظرت قليلًا، حتى بدأ الانتظار يقتلني.

ف م: هل قلت شيئًا خاطئًا؟

ظ: لا.

ف م: هل أنتَ بخير؟

ظ: لا أدري.

ف م: هل تعرف ما تشعرُ به؟

ظ: تقصدين أمّي؟

ف م: نعم.

ظ: لا.

ف م: ربّما يجب أن تخبرها.

ظ: لا أعتقد ذلك.

ف م: خذها من شخص لا يستطيع إخبار والدته بأيّ شيء بعد الآن. يجب أن تخبرها بكل شيء يمكنك قوله.

الفصل الثاني والثلاثون

من: فتاة المقبرة <cemeterygirl@freemail.com>
إلى: الظلام <TheDark@freemail.com>
التاريخ: الثلاثاء، 8 أكتوبر   الساعة: 06:22:23 صباحًا
الموضوع: الأمهات

كانت أمّي دائمًا في مهمة، لذلك لم يكن لدينا قط الكثير من الفرص لتبادل «أحاديث البنات». فيما كنت أرى صديقتي الحميمة مقرّبة جدًا من والدتها، وهما تتحدثان طوال الوقت. كنت أحسد ذلك.

كان بإمكاننا أنا وأمي التحدّث من خلال البريد الإلكتروني وكنّا نفعل ذلك أحيانًا، لكن حين كنت صغيرة وتعلمت الكتابة، شجعتني على كتابة الرسائل لها. وقد فعلت، وكانت ترد. وحين كنت في التاسعة من عمري، كان تلقي رسالة تحمل مجموعة من الطوابع الأجنبية هو أهم حدثٍ في أسبوعي. وحين صرت في الصف الخامس أنجزت مشروع جمع الطوابع من أكبر عدد ممكن من البلدان، فقط لأنّني كنت أمتلك أكثر من عشرين طابعًا في مكتبي في المنزل.

وحتّى بعد أن صار لدي حساب بريد إلكتروني وهاتف، لم نتخلَّ عن كتابة الرسائل. وبدأت بالكتابة لها عدّة مرات في الأسبوع. وأخبرتها بكلّ شيء.

الآن سوف أخبرك بشيء لم أخبر به أحدًا قط.

من الصعب جدًّا كتابة هذا، حتّى أنّني أرغب في حذف هذه الرسالة بالكامل.

في رسائلي، كنت أكذب أحيانًا.

أعلم أنّك لن تفهم التأثير الكامل لهذا، لكنّني حذفت هذا السطر وأعدت كتابته سبع مرات.

وهذه المرة الثامنة.

مكتبة
t.me/soramnqraa

إنّني أجبر نفسي على الاستمرار.

لقد كذبت على والدتي.

كانت رسائلها مليئة بتلك المغامرات الكبرى.

فقد كانت تخبرني عن لوردات الحرب أو معاهدات السلام أو الصواريخ الباليستية أو لقاءاتها مع الموت. ولم يكن هناك شيء مزيف في رسائلها، إذ كانت لديها الصور التي تثبت ذلك. وكانت تقول: «لقد أرسلني إيان إلى ماليزيا هذا الأسبوع»، أو «سأقضي بضعة أيام أخرى في إيران. إيان يريدني أن أرى إن كان بإمكاني الحصول على بعض الصور للمحتجين».

كان إيان رئيس التحرير، وأحيانًا كنت أرغب في الرد عليها وسؤالها إن كان بإمكان إيان تكليفها بقضاء بضعة أسابيع في المنزل.

لذلك كنت أكذب. كنت أخبرها بأنّ صورة لي قد رُشحت لجائزة من مجلس المدينة. أو أخبرها بأنّني كتبت مقالًا في جريدة المدرسة كان سببًا في فتح تحقيق من نوع ما. كنت أخبرها بأيّ شيء لإثارة انتباهها.

كانت تقول الأشياء الصحيحة، لكن كان بإمكاني القراءة بين السطور.

كان كل شيء بلا معنى.

حتى الآن، وبالنظر إلى الوراء، يبدو الأمر بلا معنى. إذ لم تكن حتى الأكاذيب مثيرةً للاهتمام.

أتمنى لو أخبرتها بالأمر في وقته بدل كتابة الرسائل التي قد تستغرق أسابيع للوصول.

أتمنى لو أخبرتها بما كنت أشعر وكم كنت أفتقدها وكيف أن وجودها في المنزل ولو لقليل من الوقت فقط كان سيعني لي أكثر من أي جائزة بوليتزر في العالم. أعتقد أنّ هذا هو السبب في أنّني كتبت لها العديد من الرسائل بعد وفاتها. وسأهب أيّ شيء لأخبرها بشيء حقيقي واحد فقط.. أيّ شيء حقيقي.. الآن.

ولذا، تحدّث إلى والدتك. أخبرها كيف تشعر.

أبلغها.

ليتني أستطيع. كانت أمي لا تزال في المستشفى حين غادرت إلى المدرسة.

وقد اضطررت إلى قضاء الليلة في منزل ريف. صحيحٌ أنّه لم يكن في الأمر عناء، لكنّني أبلغ من العمر سبعة عشر عامًا. كان بإمكاني قضاء الليلة وحدي في المنزل دون الحاجة إلى التكوُّر على أريكته، فقط لأن لا أحد يثق بأنّي سأبقى بعيدًا عن المشكلات.

ثمّ، بالنظر إلى حالتي النفسية حين غادرنا المستشفى ربّما كان البقاء مع ريف أمرًا جيدًا.

لكنّ النعاس لم يداعب أجفاني طوال الليل لأسباب مختلفة، منها:

الدردشة مع جولييت: كان الأمر يستحق العناء.

التآمر مع ريف النعسان حول كيف أنني أريد فصل أنبوب وقود سيارة آلان: كان هذا يستحق العناء.

الاستماع إلى صراخ بَيبي دول حتى الساعة الرابعة صباحًا: لم يكن هذا يستحق العناء.

القلق بشأن كيفية قيام والدتي بإعادة تكوين أسرة دوني: لم يكن هذا يستحق العناء.

كنت أزحف حرفيًا بين الفصول هذا الصباح.

حين دخلت فصل اللغة الإنجليزية، كانت السيدة هيلارد تأخذ الأوراق من الطلاب في أثناء دخولهم الفصل. لم أنجز واجب الفصل، لأنّني لم أكن هنا حين سلّمتهم إيّاه، لكنّني لم ألقِ نظرة إلى القصيدة الأخرى التي سلّمتني إيّاها في قاعة الاجتماعات أيضًا.

اجتزتها دون النظر إليها، وارتميت في مقعدي.

بادرتني: «ديكلان، ما رأيك في قصيدة إنفكتوس»؟

لست بحاجة إلى هذه المضايقات. لا أحتاج إليها.

غرزت قلمي في دفتر ملاحظاتي، وقلت: «لم أقرأها».

واصل الطلاب تخطيها وواصلت أخذ أوراقهم، لكن عينيها ظلّتا مثبّتتين عليّ.

«لمَ لا؟»

لأنني دخيل. لست بحاجة إلى أن أكون هنا.

لا أستطيع أن أقول ذلك. لا أستطيع قول أيّ شيء من هذا القبيل.

ألقيت نظرة إلى دفتر ملاحظاتي وبدأت أخربش خطًّا في الهامش. كانت الحركة عفوية، لكنّني شعرت بالتوتر وقد بدأ يتحرك في بطني، وأنا أعلم أنّها مسألة وقت فقط قبل أن ينفجر ويقذف بي خارجًا في الرواق تاركًا الغضب في أثري.

ألصقت ورقة فارغةً على دفتر ملاحظاتي فقفزت. لم أنتبه لها وهي تمشي نحوي.

قالت: «قل لي لماذا».

التقطت قلمي لكنّني توقفت عند ملامسته الورقة.

لم أستطع إخبارها. بالكاد استطعت أن أخبر جولييت، وكان ذلك دون أن أكون محطّ أنظار فصل دراسي مزدحم.

لم تتحرك السيدة هيلارد. وددت لو تتركني وشأني. كأنّ قصيدة غبية ستحدث بعض الفرق في حياتي.

لم تقل كلمة واحدة بعد لكن بإمكاني أن أستشعر انتظارها. اللعنة، فعند هذه المرحلة أصبح الفصل برمته ينتظر.

كانت قد طلبت منّي أن أمنحها فرصة. ماذا سيكلفني هذا؟

خربشت في عجالة، وطويتها إلى نصفين، وسلمتها إيّاها.

سيطر الذعر عليّ للحظة لأنّني لم أفكر في احتمال أن تقرأها بصوت عالٍ.

لكنّها لم تفعل. قرأت ما كتبته - *كانت أمي في المستشفى الليلة الماضية*- ثمّ نقرت بأصابعها على دفتر ملاحظاتي. «أتفهّم

هذا، شكرًا لك. سننتقل إلى قصيدة جديدة في الفصل، لكنّني أعتقد أنّني أود منك أن تكمل مهمة الليلة الماضية بشكل مستقل، إذا كان هذا مقبولاً بالنسبة إليك».

انفكّت خيوط لفّة التوتر قليلاً تاركة إيّاي غير متوازن. لا بدّ لي من التنحنح أوّلًا: «بالتأكيد».

قالت: «جيّد». ثمّ ابتعدت وطلبت من الفصل الانتظام.

سحبت الورقة من حقيبتي. «إنفكتوس». كانت مجعّدة قليلاً عند الحواف، لكن لا يزال بإمكاني قراءة القصيدة. تنهدت. يمكنني كتابة فقرتين عنها، بسهولة. على الأقل كانت قصيدة قصيرة.

بعد عشر دقائق، كنت قد قرأتها ثلاث مرات.

شعرت بأنّني عاجز عن التوقف عن قراءتها. بدت الكلمات كما لو كانت مكتوبة لأجلي فقط. وظلّ بيتٌ واحد على وجه الخصوص يجذبني.

«وحين كان الدهر بالعصا يقرعني، كان رأسي مضرّجًا لكنّه لم ينحنِ».

بعبارة أخرى، قد تسدّد الحياة لي لكمة متينة، لكنّها لن توقعني أرضًا.

ومع ذلك، كانت الأسطر الأخيرة هي ما أثّر فيّ حقًا.

«أنا سيّد قدري، أنا قائد روحي».

لا أستطيع أن أتذكر آخر مرة شعرت فيها بأنّني سيد قدري.

أجل، لقد كنت كذلك. في مايو الماضي، حين جلست خلف عجلة قيادة شاحنة أبي، وحين تغلغلت زجاجة الويسكي داخل حلقي.

لم أهتم قط بواجب ما من قبل، لكن فجأة شعرت بالحاجة إلى الكتابة.

بحثت في حقيبتي وعثرت على قلمي، وشرعت في الكتابة. كان ذلك أشبه بالكتابة إلى جولييت. وراحت الأفكار تتدفق مني.

وانتهى بي الأمر بأكثر من فقرتين.

الفصل الثالث والثلاثون

من: الظلام <TheDark@freemail.com>

إلى: فتاة المقبرة <cemeterygirl@freemail.com>

التاريخ: الثلاثاء، 8 أكتوبر الساعة: 11:42:44 صباحًا

الموضوع: رد على: الأمهات

أعتقد أنّ علاقتك بوالدتك مختلفة كثيرًا عن علاقتي بوالدتي. لكنني سأفكر في الأمر.

قرأت رسالته وأنا في طريقي لتناول الغداء، وقد كانت قصيرة جدًّا حتّى أنّني لم أستطع تحديد نوع المشاعر الموجودة فيها. هل كان غاضبًا؟ أم تأمليًا بحق؟ أم محبطًا؟ أم منغلقًا؟

تساءلت عن قدر ما يمكنني إخبار روان به عن الأمر. فقد كنت بحاجة إلى تحليل فتاة أخرى.

اهتز هاتفي، وكانت هي.

ر ف: أنا مضطرّة إلى تفويت الغداء. سألتقي مع مدرّس الفرنسية لأجل مشروع. هل أنت بخير؟

حسنًا، هذا لم يكن في الحسبان. رددت برسالة نصية أنّني بخير.

كان الغداء عبارة عن جبن مشوي وفاصولياء خضراء وبطاطا التاتر توتس. فشعرت على الفور بانسداد مسامي، لكنّني لم أحضر معي أيّ شيء والبديل كان الآيس كريم.

اتجهت نحو الجزء الخلفي من الكافتيريا، بهدف الخروج إلى الساحة والجلوس هناك للتفكير في رسالة «الظلام»، لكنّني لاحظت ريف وديكلان يجلسان على طاولة في الزاوية. حسنًا، افترضت أنّه ريف. قد يكون فتى آخر عريض المنكبين ويرتدي قلنسوة لكنّني استبعدت ذلك.

كان الجزء المتبقي من الطاولة فارغًا.

وكنت لا أزال أشعر بكلمات ديكلان الأخيرة تلسع أذني.

افعلي ما تشائين، جولييت. أنا لا أهتم.

اتجهت نحوهما، وضربت صينيتي على الطاولة، وارتميت على المقعد بجانب ريف مقابل ديكلان.

قال ديكلان، بصوت جافٍّ كالمعتاد: «مرحبًا، جولييت. لمَ لا تنضمين إلينا».

«سأفعل، شكرًا». ألقيت نظرة إلى أصناف الطعام الموضوعة بينهما.

كان هناك ما يقارب عشر علب بلاستيكية منفصلة، كل منها معبأ بنوع مختلف من الطعام. وقد شملت الوليمة أصنافًا متنوعة بدءًا من شرائح الفاكهة وصولًا إلى اللحوم الباردة الملفوفة.

«ما كل هذا؟»

ردّ ريف: «إنّه هوس أمي». ثمّ التقط ثمرة توت من إحدى العلب، ودفعها نحوي. «تفضّلي».

لمحت الطماطم وجبن الموزاريلا. «هل هذه سلطة كابريزي؟»

أومأ ريف ودفع بالعلبة إليّ. «إنّها تعدّ لي دائمًا ما يكفي لإطعام جيش».

سكبت القليل في صينيتي، فهز ريف رأسه قائلًا: «خذيها كلّها».

أبعدت الجبن المشوي وأفرغت العلبة بالكامل، وأنا واعيةٌ تمامًا بوجود ديكلان. لم يقل أيّ شيء منذ جلست، لكنّ عينيه الداكنتين كانتا تتعقبان كل حركة أقوم بها، وقد بدا متعبًا.

التقطت قطعة طماطم. «كيف حال والدتك؟»

لفّ زجاجة ماء على الطاولة أمامه، وقال: «ستعود إلى المنزل بعد ظهر اليوم».

«إذن كان مجرد تجفاف؟»

«هذا ما يقولونه لي».

لم أكن متأكدة ممّا ينبغي لي قوله، لذا ألقيت نظرة سريعة إليه. وتمامًا مثل الليلة الماضية، حاولت إعادة ترتيب ما أعرفه عن الظلام مع ما أعرفه عن ديكلان مورفي، لكن لم يكن أيٌّ منها مترابطًا على الإطلاق. عندها التقى بنظراتي والتقطها. لم أستطع فكّ رموز تعبيراته، كانت تحمل مزيجًا من التحدي والإحباط والمكيدة.

لم يكن لدي أيّ فكرة عن شكل وجهي حينها، لكنّ خفقات قلبي راحت تتسارع، فقط بما فيه الكفاية.

كان عليّ التنحنح أوّلًا، ثمّ قلت: «إذًا ستتمكن من رؤيتها حين تعود إلى المنزل».

«ربّما، لكن لدي خدمة مجتمعية ليالي الثلاثاء».

لم أستطع بعد معرفة مزاجه، لكن من الواضح أنّه لا يريد التحدث عن والدته. «ما الذي تفعله؟ هل تصنع لوحات ترقيم أو شيئًا من هذا القبيل؟»

«لا». وبدا أنّ السؤال قد ضايقه، لكنه لم يرغب في إبداء ذلك. «بل أركب جزازة العشب. وفي بعض الأحيان، إذا قمت بعمل جيّد حقًا، فإنهم يسمحون لي بحمل الجزازة اليدوية».

«كم من الوقت عليك القيام بذلك؟»

أطلق زفرة وقال: «إلى.. الأبد».

عقّب ريف قائلًا: «تسعون ساعة».

فقال ديكلان: «كان يمكن أن تكون مئة ساعة، لكنّني حظيت بالتقدير نظير الوقت الذي خدمته».

«لا أعرف ما يمكن لهذا أن..»

فردّ بحدّة: «ربّما ينبغي أن أضعك على اتصال مباشر مع ضابط المراقبة الخاص بي. يمكنه الإجابة عن جميع أسئلتك».

أوه. وضعت شوكتي، وقلت: «أنا آسفة».

فعبس ودفع طعامه بعيدًا، وقال: «لا، أنا من يجب أن يتأسف». ثمّ فرك عينيه، وأردف: «لم أنم كثيرًا، أنا وغد. بإمكانك أن تسألي».

غرزت شوكتي في مكعب من جبن الموزاريلا وتساءلت إلى أي مدى سيكون صادقًا هنا في وسط الكافتيريا. «هل أودعوك السجن؟»

«أجل».

«هل كان مخيفًا؟»

«لا». توقّف، وأخذ رشفة من قنينة الماء. ثمّ هز رأسه وقال بصوت منخفض وخشن: «نعم، لا سيما حين أفقت وأدركت أن لا أحد كلّف نفسه عناء إخراجي».

تجمّد ريف بجانبي، لكنّه لم يتلفظ بكلمة. كان يلتقط الزبيب بصمت من العلبة، وكانت كل حركة مدروسة بعناية.

حدّقت بديكلان، وقلت: «ما المدة التي مكثتها هناك؟»

«ليلتين، كان عليّ أن أنتظر جلسة الاستماع. وكنتُ سأحاكم كبالغ».

ارتفع حاجباي، وقلت: «تركتك والدتك هناك؟»

«أجل». ثمّ هزّ كتفيه قليلًا، وتابع: «ربّما دفعها الآن لذلك، لا أدري. ولست متأكدًا أيّهما سيجعلني أشعر بتحسن أكثر: أنّها اختارت أن تتركني هناك، أو أنّها تركت لشخص آخر أن يقرّر ذلك بدلًا عنها».

لم يكن لديّ ما أقوله حول هذا.

كانت عينا ديكلان الحادّتان لا تزلان مثبّتتين عليّ. «لذا يمكنكِ أن تري لماذا لا أريد ذكرى أبدية لهذه السنة». كان يقصد الصورة.

«سأخبر السيد جيراردي أنّك لا تريدها على الغلاف».

قال ديكلان: «لا تعلقي كلّ شيء عليّ. أنت أيضًا لا تريدينها هناك بقدري».

وافقته. «صحيح، أنا كذلك لا أريدها».

«حسنًا».

«حسنًا».

حينها قال ريف: «أنا أريدها على الغلاف».

نظر كلانا إليه.

فقال: «ماذا؟». وكانت هذه المرة الأولى على الإطلاق التي أسمع فيها نبرة الغضب في صوته. «أليس لدي رأي؟» ثمّ نهض من مكانه وراح يقذف علب الطعام في حقيبة غذائه، بما في ذلك علبة كان ديكلان يأكل منها.

اعتدل ديكلان، وبدا مرتبكًا. «ريف؟»

بدا ريف كأنّه يريد قلب الطاولة. «لم يكلّف أحد نفسه عناء إخراجك؟»

«ماذا؟»

مال ريف باتجاهه، وقال: «هل تسمع نفسك أحيانًا؟ كنت سأخرجك. كريستين كانت لتفعل. جيف كذلك. لكن لا يمكنك الجلوس في زنزانة السجن وأنت تشعر بالأسف حيال نفسك فيما لم تتصل بأحد، ثمّ تتصرف مثل ضحية».

اشتدت قبضتا ديكلان عند حافة الطاولة. «ما مشكلتك؟»

ردّ ريف: «لقد اتخذت الخيارات التي وضعتك هناك. توقف عن التصرف مثل ضحية لعينة. أتريد أن تكره العام بكامله؟ حسنًا. لكنّ الخامس والعشرين من مايو كان يومًا واحدًا. وهناك ثلاثمائة وأربعة وستون يومًا آخر».

ثمّ استدار مبتعدًا عن الطاولة.

بدا ديكلان أشبه بالرعد، وصاح: «أنا الضحية؟ من الذي يختبئ تحت القمصان ذات القلانس بينما درجة الحرارة في الخارج ثمانون درجة؟»

لم يتوقف ريف. وكان ديكلان يستشيط غضبًا لكنّه لم يلحق به، وراحت أنفاسه تتسارع.

تجمّدت في مكاني، وقد تعثر قلبي، وظلّ عقلي عالقًا قبل ثلاث جُمل.

استغرق الأمر منّي بعض الوقت حتى يصدر صوتي، وعندما حدث ذلك، خرج أجشَّ: «ما الذي حدث في الخامس والعشرين من مايو؟»

جذب هذا انتباه ديكلان إليّ مرة أخرى. «جولييت..»

كرّرت سؤالي: «ما الذي حدث في الخامس والعشرين من مايو؟»

لا أعتقد أنّني تكلّمت بصوت عالٍ إلى هذا الحد، لكنّه لفت أعين الطلاب المحيطين بنا، وعمّ الصمت من حولنا.

ابتلع ديكلان ريقه، وقال: «كان اليوم الذي حطّمت فيه شاحنة والدي».

«اليوم الذي ثملت فيه؟ اليوم الذي فقدت فيه وعيك واصطدمتَ بمبنى؟» رحت أصرخ، لكنّني كنت عاجزة عن التقاط أنفاسي. «اليوم الذي بالكاد تتذكر ما حدث فيه؟»

لم يتلفظ بأي شيء. وشعرت كأنّ صدري غائر، وبدأت القاعة بالدوران.

أمسكت يدٌ بذراعي. «جولييت. جولييت». خاطبني صوت ذكوريّ مألوف، لكنّني لم أعد أرى بوضوح.

25 مايو، اليوم الذي ماتت فيه والدتي في حادث اصطدام فرّ فاعله.

الفصل الرابع والثلاثون

من: فتاة المقبرة <cemeterygirl@freemail.com>

إلى: الظلام <TheDark@freemail.com>

التاريخ: الثلاثاء، 8 أكتوبر   السماء: 03:21:53 مساءً

الموضوع: أريد أن أعرف

هل أنت ديكلان مورفي؟

إذا كنت هو، لا أعرف إن كان يمكنني التحدث إليك مرة أخرى.

سأفقد عقلي.

لا بدّ أنّها أرسلت الرسالة بمجرد خروجها من المدرسة، لأنّ الجرس الأخير يدق عند الساعة الثالثة وعشرين دقيقة.

ولا بدّ أنّها قادت السيارة مباشرة إلى المقبرة أيضًا. لأنّها تجلس أمام شاهد قبر والدتها، وتكتب شيئًا بخط اليد.

أعرف هذا لأنّني كنت أشاهدها وهي تفعل ذلك.

لم يكن بإمكانها رؤيتي، لأنّني كنت أقف مختبئًا. لم أكن بتلك الشجاعة. بدل ذلك، كنت بجوار سقيفة المعدات، أقبع في الظل مثل مُتعقّب حقيقي. كان ميلونهيد يتجول في الجوار، ولم يكن قد رآني بعد أيضًا.

لا أعـرف مـاذا فعلتْ لبقيـة اليـوم الدراسـي، لكنّـي أعـرف مـا فعلته أنـا: جلسـت فـي آخـر كل فصـل وأعـدت تلـك الليلـة فـي رأسـي. الزفـاف. الويسـكي.

الاصطدام. الشرطة.

قـدت السـيارة مـدة خمـس عشـرة دقيقـة فقـط. لقـدّ وُثّق هـذا. وكنـت قـد غـادرت حفـل الزفـاف في السـاعة 8:01 مسـاءً، واصطدمت بأعمـدة المبنـى فـي السـاعة 8:16 مسـاءً.

خمس عشرة دقيقة.

لا يبـدو هـذا وقتًـا كافيًـا لتدميـر حيـاة شـخص آخـر إلـى جانـب حياتـي.

ورجـال الشـرطة ليسـوا أغبيـاء، أليـس كذلـك؟ كانـوا ليربطـوا الحدثيـن معًـا، أليـس كذلـك؟

كنـت أعـرف تاريـخ الوفـاة. كنـت *أعرفـه*. فهكـذا بـدأ كل هـذا الأمـر! حيـن قـرأت الرسـالة الموضوعـة علـى شـاهد قبـر المـرأة.

مـا زلـت أفكـر فـي تلـك المسـارات وأتسـاءل إن كان طريقانـا -طريقـي وطريـق أمّهـا- قـد ضُبطـا ليتقاطعـا بشـكل مثالـي وليصطدمـا بهـذا الشـكل المثالـي.

لمـاذا فشـلت فـي الانتحـار؟ كان مـن المفتـرض أن ينتهـي مسـاري حينهـا. ففـي النهايـة، كان هـذا هـو السـبب الأسـاسـي الـذي دفعنـي إلـى ركـوب الشـاحنة. لقـد نجـح الأمـر مـع كيـري، وكان لا بـدّ أن ينجـح معـي أيضًـا.

كان ذلك ليكون أفضل بكثير بالنسبة إلى الجميع.

أنـا بحاجـة إلـى الخـروج مـن هنـا. أحتـاج إلـى الذهـاب إلـى المنـزل. لا أسـتطيع العـودة إلـى المنـزل.

لم أضرب أحدًا في تلك الليلة. أنا لم أوذِ أحدًا.

أعلم أنّني لم أفعل.

أنا متأكد تمامًا.

لست متأكدًا على الإطلاق.

أشعر بالغثيان. سيغمى عليّ هنا على العشب.

هل قتلت شخصًا ما؟ هل قتلت والدتها؟

أحتاج إلى ريف. أريد التحدث إلى ريف.

لكنّه لا يجيب على هاتفه.

حاولت مرة أخرى على أيّ حال. كانت أصابعي متعرّقة، ولم أستطع فتح الشاشة. ثمّ انفلت صوت من حلقي، وقذفت الهاتف في العشب.

كنت على وشك أن أفقد عقلي. ضغطت بأصابعي على عينيّ، وكانت يداي ترتجفان.

«مورف؟» كان ميلونهيد أمامي يحدّق إليّ، وعيناه قلقتان. «ما خطبك، يا فتى؟»

«أنا في حاجة إلى المغادرة». بدا صوتي كأنّني أختنق. «لا يمكنني العمل اليوم».

«ما الخطب؟»

استدرت واتجهت نحو الطريق المؤدي إلى موقف سيارات الموظفين. بدت كل خطوة كأنّني أتحرك عبر الرمال المتحركة، ولكن بدلاً من أن تسحبني إلى الأرض، كانت تسحبني نحو جولييت.

أحتاج إليها. أكثر من أي شيء الآن. أحتاج إليها.

لكن بسبب كل شيء بيننا، لا يمكنني أن أحظى بها.

كان ميلونهيد لا يزال واقفًا بجانبي. «ديك- لين. كلّمني».

وجدت سيارتي لكنّي عجزت عن إدخال المفتاح. ولمرتين، رفض الرأس الفولاذي الانزلاق في الفتحة.

صرخت وضربت السيارة بحفنة المفاتيح، فضغطت الأسنان الفولاذية على كفي وسمعت صوت صرير معدني.

«مهلًا، مهلًا». أمسك ميلونهيد ذراعي، وكان أقوى ممّا توقعت. «كلّمني، هل أنت منتشٍ يا فتى؟»

«يا إلهي، لا». وضعت جبهتي على سقف السيارة. ليتني كنت *منتشيًا*. «أريد الخروج من هنا، فرانك. من فضلك دعني أذهب».

سحب نفسًا، وكنت على استعداد لتلقي تحذيرات بشأن عدم أداء خدمتي المجتمعية والاتصال بالقاضي، وإعادتي إلى السجن مرة أخرى.

ثمّ قال: «حسنًا، أنت ستقود. وأنا سأستمع».

***

قدت السيارة، لكنني لم أتفوه بكلمة. كان هناك شيء مريح في الجلوس خلف عجلة قيادة السيارة، وقد كنت قادرًا على ضبط نفسي على إيقاع القابض وأزيز الطريق. في البداية، قمت بلفّات حول المنطقة التي تقع فيها المقبرة، لأنّني كنت على يقين من أنّ ميلونهيد سيقول لي أنّ هذا يكفي، وأنّني بحاجة إلى استجماع شتات نفسي والعودة إلى المقبرة.

لكنّه لم يقل شيئًا.

لذا اتجهت شرقًا، ودلفت الطريق السريع، حتّى اقتربنا من الجسر فوق خليج تشيزابيك. وكنت سأضطر إلى صرف ستّة دولارات مقابل الرسوم، لأنّني لم أكن أريد التوقف.

حينها قال: «أُسلك مخرج طريق جينيفر».

كانت قد مرّت عشرون دقيقة على قيادتي السيارة، وهذه هي الكلمات الأولى التي تلفّظ بها أيّ منا. «لماذا؟»

«أريد أن أتوقف عند المستشفى».

أحكمت قبضتي على عجلة القيادة بشدة أكبر، وقلت: «لستُ بحاجة إلى الذهاب إلى المستشفى».

«من تحدّث عنك؟ بما أنّنا وصلنا هنا، فسألقي التحية على زوجتي».

كسر هذا هوسي بذاتي. وطرفت عيناي. «هل زوجتك مريضة؟»

هزّ رأسه، وقال: «إنّها تعمل هناك، وأريد أن أفاجئها».

على كلّ حال، لم تكن لديّ وجهة مخططة في ذهني. أشعلت إشارة الانعطاف واتخذت طريق المخرج.

عندما أوقفت سيارتي في موقف المستشفى، لم أطفئ المحرك.

ففك ميلونهيد حزام مقعده وضربني على ذراعي.

«تعال يا مورف».

«يمكنني الانتظار هنا».

«هل تظن أنّك أفضل من أن تقابل زوجتي؟ اخرج من السيارة، يا فتى».

لم أتمالك أعصابي، وحدقت إليه. «لست في مزاج لهذا».

«أنت في مزاجٍ لأي شيء إذًا؟»

كنت في حالة مزاجية للزحف تحت هذه السيارة والاختباء هناك إلى الأبد. حينها تردّد صدى كلمات ريف في رأسي. *توقف عن التصرف مثل ضحية لعينة.*

اصطدمت بي الكلمات مثل رصاصة في السترة الواقية، وبقيت أتألم من شدّة الاصطدام. لا أعتقد أنّني سمعت ريف يشتم من قبل.

سحبت الفرامل وأدرت المفتاح وخرجت من السيارة. «أيّا كان، الأمر بيدك».

كان المستشفى مكتظًّا كما كان بالأمس. دخلنا من المدخل الرئيسي وكان الناس يسيرون في كل اتجاه. أمّا أولئك الذين يرتدون اللباس الطبي والمعاطف البيضاء فقد كانوا يمشون بشكل أسرع قليلاً. وكان هناك رجل ينام على إحدى أرائك غرفة الانتظار، وامرأة حامل ببطن ضخم تتكئ على الحائط بجوار المصعد. كانت تتجول حاملةً كوبًا بلاستيكيًا، وهذا الجنين يجعل قميصها يستحق ما دفعته مقابله. وكان هناك طفل صغير في مكان ما من الردهة قد دخل في نوبة غضب، وراح صدى صراخه يتردّد في القاعة.

توجهنا نحو المصاعد، ولم يكن ميلونهيد من هؤلاء الرجال الذين يصرون على الضغط على زر مضاء مسبقًا. ابتسم وقال للمرأة الحامل: «مساء الخير»، لكنّني لم أستطع إبعاد نظري عن بطنها المنتفخ.

ستبدو والدتي هكذا.

ستنجب والدتي طفلاً.

لا يزال عقلي غير قادر على تقبّل هذا.

وفجأة، تشنج بطن المرأة وتغيّر. كان هذا أمرًا مذهلًا، فرفعت بصري لأنظر إلى وجهها.

كانت تضحك على تعابيري. «إنّه يحاول أن يجد وضعية مريحة».

رنّ المصعد، وصعدنا جميعًا. ظلت معدتها تتحرك.

أدركت أنّني كنت أتصرف بغرابة، لكنّ هذا أكثر شيء مخيف رأيته في حياتي. لم أستطع التوقف عن التحديق. ضحكتْ مرّة أخرى، بهدوء، ثم اقتربت منّي، وقالت: «المس، يمكنك الشعور به».

قلت بسرعة: «لا بأس».

ضحك ميلونهيد، فعبست.

قالت ولا يزال في صوتها نبرة مزاح: «لا يستطيع الكثير من الناس لمس جنين في بطن أمه. ألا تريد أن تكون واحدًا من القلة المختارة؟»

«لست معتادًا على أن تطلب منّي نساء لا أعرفهن أن ألمسهن».

قالت: «هذا طفلي الخامس، لقد تجاوزت تمامًا فكرة أن يلمسني شخص لا أعرفه. هيّا». ثمّ أخذت معصمي ووضعت يدي مباشرة على مكان التشنج.

كان بطنها أقوى ممّا توقعت، وكنا قريبين بما فيه الكفاية لأستطيع النظر أسفل قميصها مباشرة. وشعرت بأنني ممزق بين الرغبة في سحب يدي وعدم الرغبة في أن أكون وقحًا.

ثمّ تحرّك الطفل تحت يدي، وشعرت بشيء ثابت يدفع أصابعي. فشهقت دون قصد.

حينها قالت المرأة: «إنّه يقول لك مرحبًا».

لم أستطع التوقف عن التفكير في والدتي. حاولت أن أتخيلها وهي تبدو هكذا، لكنّني فشلت.

حاولت أن أتخيلها وهي تشجعني على لمس بطنها، وفشلت أيضًا.

أربعة أشهر.

رنّ المصعد.

حينها قال ميلونهيد: «تعال يا مورف».

نظرت إلى السيدة الحامل، ولم تكن لديّ أي فكرة عمّا ينبغي لي قوله. هل أقول شكرًا؟

«كن بخير»، قالت وأخذت رشفةً من مشروبها.

انغلق المصعد واختفت.

هرول ميلونهيد، ووجدت صعوبة في اللحاق به. كنّا حينها في طابق المرضى، وكانت الجدران بيضاء وكلّ المحادثات تُجرى همسًا. كانت أجهزة القلب تصدر صوتًا في كلّ مكان. كنت لا أزال أرتدي ثياب المدرسة، لذا لم أكن متسخًا جدًا، لكنّه كان في المقبرة طوال اليوم، وبقيت أنتظر أن يأتي شخص ما ويخرجه من هنا.

كانت هناك طبيبة نحيفة ذات شعر داكن تنقر على مفاتيح جهاز كمبيوتر مدمج في الحائط، فسار «فرانك» مباشرة باتجاهها وأدارها، ولم ينتظرها حتى لتعبر عن دهشتها وقبلها مباشرة على شفتيها.

كان مـن الواضـح أنّـه يـوم يتعمّـد النـاس فيـه جعلـي غيـر مرتـاح بجميـع الطـرق.

ابتعـدت محـاولًا أن أجـد شـيئًا آخـر أنظـر إليـه.. الممرضـات أو الصـور الملونـة علـى طـول جـدار غرفـة الممرضـات.

راحا يتحدثان بالإسبانية، فألقيت نظرة محرجة إليهما.

وتخيّلت حديثهما.

ما الذي تفعله هنا؟

لا شيء حقًا، كنت قريبًا من هنا.

من غريب الأطوار هذا؟

إنّه مجرد قاتل لم يُقبض عليه بعد.

شـعرت بمعدتـي تتكوّر فـي عُقـدٍ مـرة أخـرى. مـا كان ينبغـي أن آتـي إلـى هنـا.

أنا فقط لا أعرف أين ينبغي أن أكون.

«ديك- لين. هذه كارمن».

عدت إلى الواقع ومددت يدي، بشكل آلي.

قلت: «مرحبًا».

«مرحبًـا، ديـكلان». ابتسـمت لـي. وكان مكتوبًـا علـى الجانـب الأيمـن مـن صـدر معطفهـا الأبيـض *«د.ميليـنديـز»*، ولكـن حيـن تحدثت الإنـجليزيـة، لـم يكـن فـي صـوتهـا أي أثـر للكنـة. «إذن أنـت الفتـى الـذي مـا فتئـت ماريسـول تخبرنـي أنّهـا سـتتزوجه».

سعلت. «حسنًا، كما تعلمين. لا نريد أن نستعجل».

تجعـل ابتسـامتها عينيهـا تلمعـان. «أخبرنـي فرانـك بأنّـك تأخـذه فـي جولـة فـي السـيارة التـي أعـدت تركيبهـا بمفـردك؟ أنـا منبهـرة.

كنت أظن أن هذا الفنّ قد اندثر».

«لا، لا أعتقد أنّه سيندثر».

«قالت جارتي أنّك قد حددت المشكلة في سيارة زوجها في أقل من ثلاثين ثانية، هذه موهبة لا بأس بها».

هززت كتفي، ولم أكن متأكدًا ممّا أقول. «أعتقد أن لدي أذنًا لذلك».

مرت ممرضة ووضعت يدها على كتف الدكتورة ميلينديز. ثمّ قالت بهدوء: «عفواً على المقاطعة. لقد طلبتِ مني إخبارك عندما تظهر نتائج اختبار اثنين- عشرين- واحد».

تنحنح ميلونهيد، وقال: «سنتركك تذهبين».

«سعيدة لأنّك مررت بي». ثمّ قبلته مجدّدًا، لكن بحماسة أقل هذه المرة. «سررت بلقائك، ديكلان».

«سررتُ بلقائك أيضًا».

بعد ذلك عدنا أدراجنا إلى المصعد، واتجهنا نحو السيارة. وقدنا باتجاه طريق جينيفر.

«هل قطعنا كلّ هذا لتمنحها قبلة؟»

هز كتفيه وقال: «ما الذي علينا فعله أيضًا؟»

جز عشب *نصف المقبرة*، لكنّني لم أقل هذا. ألقيت نظرة سريعة إليه، وقلت: «لقد قضينا أغلب الوقت مع المرأة الحامل الغريبة».

«ربّما في يوم من الأيام ستحب امرأة بما يكفي لتستحق القبلة كل هذه العناء».

أوقفتني الفكرة للحظة. ولم أكن متأكدًا من السبب، لكنّني عالق بين أن أعبس أو أن أحمرّ خجلًا. وتوقعت منه أن يطلب

منّي العودة إلى المقبرة، لكن لا أحد منّا تلفظ بأي شيء آخر.

لم أكن أعرف إلى أيّ مكان أذهب، لكنّني كنت أعلم أنّني لست على استعداد للعودة إلى المقبرة، لا سيما إذا كانت جولييت لا تزال هناك. حين وصلت إلى إشارة التوقف عند الطريق 50، ألقى ميلونهيد نظرة إليّ.

«هل أنت جائع؟»

«لا»

«هل أنت واثق؟ العشاء على حسابي».

نظرت إليه. «ما هذا؟ بالعادة تستشيط غضبًا في وجهي إذا ما تفقدت فقط هاتفي بينما أجز العشب، أمّا الآن فتريد التوقف لتناول العشاء؟»

هزّ كتفيه، وتابعنا المسير.

وفي النهاية قال: «من هي الفتاة؟»

«أي فتاة؟»

«الفتاة التي كنت تراقبها».

كان بإمكانه أن يضربني على جنبي أيضًا. غار صدري قليلاً حين فكرت في جولييت. «لا أحد، أنا فقط أعرفها من المدرسة».

«لقد كانت تأتي دائمًا. لكنّني لم أعد أراها كثيرًا الآن».

جولييت. *أوه،* جولييت.

ما زال بإمكاني استظهار رسالتها الأولى في رأسي، وكلماتها المليئة بالألم حتّى أنّها ألهمتني أن أكتب.

يمكنك رؤية ذلك في ملامح وجهها. لقد سُلب واقعها منها، وهي تدرك ذلك.

لقد رحلت والدتها، وهي تدرك ذلك.

هناك عذاب في تلك الصورة.

في كل مرة أنظر إليها، أعتقد «أنني أعرف تمامًا كيف تشعر الفتاة».

هل أنا من تسبب في ذلك؟

«لقد ماتت والدتها». شعرت بحلقي منغلقًا، وبدت كلماتي ثقيلة.

«آه. هذا محزن جدًّا».

أصبحت رؤيتي غير واضحة وضبابية، قليلاً فقط، قليلًا بما يكفي. ولحسن الحظ أنّني لم أكن على الطريق السريع. «لقد ماتت في حادث اصطدام وفرّ الفاعل في الليلة ذاتها التي كنت فيها ثملًا وحطمت شاحنة والدي».

كان صوته هادئًا، وقد رأيته يقوم بنفس الربط الذي قمنا به جميعًا بعد ظهر هذا اليوم. «هل لك يدٌ في ذلك؟»

ضاق صدري حتى عجزت عن الكلام. ضربت إشارة الانعطاف بقوة، واتجهت إلى موقف للسيارات أمام أحد المراكز التجارية. وبمجرد أن سحبت فرامل التوقف، لم أستطع النظر إليه.

طويت ذراعي بشدة على بطني كما لو كان بإمكاني تخفيف هذا الألم بطريقة ما. «لا أدري».

«وأنت خائف من أن تكون كذلك؟»

«لا أدري، لا أدري، لا أستطيع معرفة أي شيء».

ظل هادئًا لبعض الوقت، وأنا أستمع إلى أنفاسي في محاولة لإبقائها ثابتةً.

وحين تكلم أخيرًا، كان صوته منخفضًا: «ليس عليك اكتشاف ذلك بنفسك، كما تعلم».

«هناك الكثير جدًا. الأمر معقد الآن».

«قد تكون زوجتي هي الدكتورة لكنّني لست غبيًا، مورف. أعطِ لنفسك فرصة».

سحبت نفسًا لأطلب منه التوقف، لكن بدلاً من ذلك أخبرته بكل شيء.

بدأت من البداية، من الرسائل عند شاهد القبر، وكيف بدأنا بالكتابة والرد بعضنا على بعض. أخبرته بكل ما قلته لجولييت وكل ما لم أقله لها، ووصفت كم غدا صعبًا الحفاظ على محاور قصة حياتي منفصلة. أخبرته عن الليلة التي وجدتها فيها على جانب الطريق، وكيف بدت مقتنعة جدًا بأنّني لم آت إلى هناك لمساعدتها، ورغبتي في السماح لها بالاستمرار في تصديق ذلك.

أخبرته بكل شيء عن والدي وعن ورشة السيارات وكيف كنت أقلّه سرًا. أخبرته عن كيري وكيف ماتت.

أخبرته عن أمي وآلان، وكيف صرت دخيلًا في منزلي. أخبرته عن الحمل الذي أخفياه عنّي، وكيف أنّ كل فعل يقومان به معًا يربطها أكثر بشخص آخر سيخذلها.

أخبرته عن يوم زفافهما.. عن زجاجة الويسكي.. عن الحادث وزنزانة السجن وتعليقات آلان حول كيف أنّني أتحوّل إلى شبيه بوالدي. أخبرته كم كنت أرغب في إنهاء كل شيء، في ذلك اليوم.

كان فرانك مستمعًا جيّدًا.. فلم يقاطعني، ولم يقل شيئًا باستثناء أسئلة عرضية لتوضيح نقطة ما.

وأخيرًا، أخبرته عن جلوسنا حول مائدة الغداء، وكيف أسكتتني ريف، وكيف استوجب أخذ جولييت بعدها إلى مكتب الممرضة، بعد أن عرفت التاريخ الذي حطمت فيه شاحنة والدي.

وعندما انتهيت، كان الظلام قد بدأ يزحف بين المباني على طول الطريق 50.

شعرت بالضيق والإرهاق.

وبعد أن أنهيت كلامي، قال: «هذا كثير».

أومأت. ثمّ قلت، وقد غدا سهلًا بالنسبة إليّ التحدث الآن لأنّني كنت أتحدث إلى الظلام: «كنت أعرف تاريخ وفاة أمها، فقد كان هذا أول شيء لاحظته على شاهد قبرها. لكنْ.. لم أكن أعرف كيف ماتت. جاء ذلك لاحقًا.. بعد ذلك بكثير. ولم أقم بربط الأمور سوى اليوم».

«لكنّك لا تتذكر أنّك صدمت سيارة أخرى؟»

«بالكاد أتذكر أنّني ركبت الشاحنة».

كانت تعابيره في الظلام رصينة. «هل تعلم أين ماتت والدتها؟ أو متى؟»

«لا». ثمّ تردّدت قبل أن أضيف: «أعلم أنّها كانت في طريقها إلى المنزل من المطار في الليل».

«أين وقع الحادث؟ هل كان لديكما مسارات متقاطعة؟»

«كان حادثي على طريق ريتشي السريع، وليس لدي أيّ فكرة عن حادثها».

«لكن كل هذا حدث في نفس المقاطعة؟»

«أجل، فيما أعتقد».

فرك فكّه، وقال: «حسنًا، لا تفتقر الشرطة إلى الكفاءة، مورف. فإذا وقع الحادث في نفس المقاطعة، أو في أي مكان قريب في الوقت ذاته، أنا متأكد من أنّهم كانوا سيشكون في أنّ لك يدًا في الحادثة، وسيحققون في ذلك لا سيما إذا كان الميّت امرأة».

«لقد كانت الشاحنة محطّمة، وكان عليهم إخراجي منها. قالت أمي إنّ الشيء الوحيد الذي أنقذ حياتي هو حزام الأمان، فقد انهار عمود الطوب بطريقة أتلفت الوسادة الهوائية. ربّما لم يتمكنوا من معرفة إن كنت قد اصطدمت بشخص آخر».

«لا تزال هناك طرق لمعرفة ذلك كعلامات الطلاء وأشياء من هذا القبيل. ألم تشاهد برامج الجرائم من قبل؟»

وللمرة الأولى طوال هذا المساء شعرت بالثقل على صدري يخف بعض الشيء. «حقًا؟»

«بالطبع». ثمّ صمت قبل أن يردف: «ربّما يمكنك البحث عن الأم. فمثل هذه الحوادث لا بدّ أن تذاع في الأخبار. ربّما قالوا ما نوع السيارة التي تسببت في الحادث أو على الأقل ما لونها».

في الواقع، كان تفسيره معقولًا جدًّا. وشعرت برغبة في أن أجهش بالبكاء على عجلة القيادة، ثم أقوم بشقلبات في موقف السيارات لكنّني لم أفعل.

ما زالت هناك أشياء عالقة.

ثمّ قال فرانك: «هل تمانع لو أعطيتك رأيي حول كل شيء آخر؟»

هززت رأسي.

فقال: «عُد بنا إلى المقبرة، وأنا سأتكلم».

نقلت السرعة.

لم يجعلني أنتظر، وشرع مباشرة في الكلام: «أعتقد أنّ والدتك وزوجها قد أخطأا بعدم إخبارك بشأن الحمل طوال هذه المدّة إذا ما فعلا ذلك عن قصد. لكن من خلال ما أخبرتني به عن الأشخاص البالغين في حياتك، فأنا لست مندهشًا جدًّا».

«لا أعرف ماذا تقصد».

«أعني أنّ والديك قد خذلاك حين كنت صغيرًا، ويبدو أنّهما يواصلان فعل ذلك».

ألقيت نظرة سريعة إليه بينما كنت ألتف لأعود إلى الطريق الرئيسي.

«ما زلت لا أعرف ماذا تقصد».

«اللعنة، يا فتى». وكانت هذه أول مرة يبدو فيها غاضبًا بحق. وتابع: «ما كان ينبغي لك أن تُقلّ والدك. ما كان ينبغي لوالدتك أن تدع هذا يحدث. وينبغي لها ألا تدعك تعتقد أنّ هذا خطؤك. لا أستطيع أن أتخيل أن أتوقع من ماريسول أن تتستر على شيء كهذا. وحتى لو فعلت، لا أستطيع أن أتخيل أنّ كارمن ستتركها تستمر في التستر. قلت إنّك لا تعرف كيف تعتذر لوالدتك عمّا فعلته ليلة زفافها، هل اعتذرت هي لك عمّا فعلته؟»

هززت رأسي بقوة. «لا، لم تفعل. لقد كان الأمر معقدًا».

«لا. ليس معقدًا. لقد كانت جريمة، وبحسب اعتقادي فإنّ والدتك تتحمل من المسؤولية بقدر والدك». وازدادت لكنته مع زيادة غضبه. «أنت محظوظ لأنّك لم تُقتل. لقد كنت طفلاً يا مورف وما زلت طفلًا، لكنّها سمحت لك بالعيش حاملًا هذا

النوع من الذنب. أتدري لمَ أعتقد أنّها لا تزور والدك؟ لأنّها لا تريد أن تتحمل مسؤوليتها الخاصة. وبحسب اعتقادي، ينبغي لها أن تكون هناك بجانبك تجز العشب». صمت ثم راح يشتم باللغة الإسبانية.

أبقيت السيارة بين الخطوط على الطريق السريع، وكنت قد فقدت تركيزي؛ إذ لم يسبق لأحد أن دافع عنّي بهذه الطريقة قط. لقد تعودت أن يقف الناس ضدي، ولا يقفون دفاعًا عني. حتّى ولو كنت أنا وهو فقط في السيارة لكنّ هذا أحدث فرقًا.

أخيرًا قلت: «لم يكن الأمر برمته خطأها. فحين ماتت كيري، أعتقد أنّ هذا قد قتل شيئًا بداخلها».

«كان لا يزال لديها أنت».

«لم يكن هذا بمثابة الجائزة. فلست شخصًا يسهل العيش معه». ثمّ توقفت قبل أن أردف: «كما أنّني أفسدت حفل زفافهما، ولا أعتقد أنّهما سيغفران لي هذه على الإطلاق».

همهم ميلونهيد، وكان لا يزال غاضبًا.

وقد جعلني هذا أبتسم قليلًا فقط.

ثمّ قلت: «شكرًا».

أومأ برأسه، لكن بدا كما لو أنّه لا يزال يفكر. «هل يعرف زوج والدتك كل ما قلته لي؟»

أطلقت زفرة وقلت: «ربّما».

«لكنك لست متيقنًا؟»

«ما الفرق الذي قد يحدثه هذا؟»

نظر إلـيّ، وقـد احتـدت تعابيـر وجهـه: «هـذا سـؤال مهـم يـا مـورف».

فتحـت فمـي لأعارضـه، لكـن بعـد ذلـك أدركـت أنّـه علـى حـق. حاولـت إعـادة ترتيـب كل مـا أعرفـه عـن آلان، مستحضرًا كل مواجهاتنـا دون معرفتـه بنصيبـي مـن تاريـخ عائلتنـا. لـم نتحـدث أنـا وأمـي عـن الأمـر قـطّ ولا حتّـى مـرة. وأتذكّـر أنّنـي كنـت أكافـح لأجـل الحصـول علـى درجـات أفضـل، كمـا لـو أنّ الحصـول علـى درجـة ممتـاز فـي الاختبـار سيعوض بطريقـة مـا فشـلي فـي الحفـاظ علـى كيـري وأبـي بأمـان. وكنـت أحافـظ علـى غرفتـي مثاليـة وأقـوم بـكل الأعمـال الروتينيـة وأبتعـد عـن طريقهـا.

أتذكـر كيـف أنّهـا لـم تلاحـظ كلّ هـذا وكيـف توقفـت عـن الاكتراث. وبحلـول الوقـت الـذي دخـل فيـه آلان حياتنـا، أصبحـت أنـا وأمـي ندور حـول كواكـب مختلفـة. ولا فكـرة لـديّ عـن مقـدار مـا أخبرتـه بـه عمّـا حـدث.

فـي كلتـا الحالتيـن، لسـت متأكّـدًا مـن أهميـة ذلـك، إذ لا يمكننـي التراجـع عمّـا فعلتـه. ولا أحـد منّـا يسـتطيع فعـل ذلـك.

قـال ميلونهيـد: «أتفـق مـع صديقـك، أعتقـد أنّـه ينبغـي لـك التحـدث إلـى والدتـك».

بـدّد كلامـه الابتسـامة المرتسـمة علـى وجهـي، وقلـت: «لا أعـرف مـا ينبغـي أن أقولـه لهـا». ثـمّ ألقيـت نظـرة إلـى السـاعة علـى لوحـة القيـادة وقلـت: «علـى الأرجـح أنّنـي سـأذهب إلـى الجحيـم لأنّنـي تجـاوزت وقـت انتهـاء خدمتـي المجتمعيـة».

سـحب هاتفـه مـن جيبـه، وقـال: «أعطنـي رقمهـم. سـأتصل بهـم وأشـرح لهـم أنّـك سـتعمل لوقـت متأخـر».

شعرت بمقدار أوقية أخرى من الوزن يُزاح عن صدري. اتصل، وانتهى الأمر. ولم أعد في مأزق الآن.

لقد كان الأمر في غاية البساطة. فكرت في السيدة هيلارد وهي تحدق إليّ وتقول: « *إذا كانت هناك مشكلة، يمكنك فقط إخباري*» والطريقة التي قبلت بها تفسيري وتركتني أكمل الواجب في الفصل.

حين أنهى فرانك المكالمة قال: «إنّه يوم واحد فقط ولكن لا يمكنك إصلاح الأمور مع والدتك أو زوجها إذا واصلت السير على هذا الطريق، أليس كذلك؟»

عند ذكر آلان، اسودَّت أفكاري. «لم أكن أرغب قط في إصلاح الأمور معهما». ثمّ توقفت، وكان صوتي هادئًا جدًّا. «لقد أردت إنهاء حياتي لكنّني أفسدت الأمر».

«أنا لا أعرف، مورف». كنّا حينها قد دخلنا المقبرة، وتردّد كأنّه غير متأكد من كلماته التالية، وتابع: «أتساءل إن كنت تخبر نفسك بذلك فقط».

عبست، وقلت: «ما الذي تقصده؟»

«لا أعتقد أنك كنت تريد أن تقتل نفسك».

ركنت بجانب سيارته في موقف الموظفين الذي صار خاليًا، وقلت: «ألم تستمع إلى كل ما قلته لك للتو؟»

«بلى، فعلت. ربّما أردت أن *تحاول* قتل نفسك، لكنّني لا أعتقد أنّك كنت تريد فعل ذلك حقًّا».

«ما الفرق؟»

فتح الباب وخرج ووقف هناك، ثمّ انحنى ونظر إليّ. «لقد ربطت حزام الأمان».

علّقت عيني على الزجاج الأمامي المظلم. لا أعرف ما أقوله تعقيبًا على هذا.

ثمّ قال: «هل ترغب في مساعدتي ليلة الغد؟ سأضطر إلى العمل بشكل مضاعف لإنجاز هذين القسمين».

أعجبني كيف سألني، بدل أن يأمرني. لقد منحني خيار الرفض.

أومأت. «سآتي مباشرة بعد المدرسة وننجزها».

«شكرًا مورف». أغلق الباب، تاركًا إيّاي في عتمةٍ أقل قليلاً ممّا كنت عليه في البداية.

الفصل الخامس والثلاثون

من: الظلام <TheDark@freemail.com>

إلى: فتاة المقبرة <cemeterygirl@freemail.com>

التاريخ: الثلاثاء، 8 أكتوبر الساعة: 09:12:44 مساءً

الموضوع: د.م

ما الذي حدث؟ هل أنتِ بخير؟

نقر أبي على بابي في التاسعة والنصف، فشعرت برغبة في التظاهر بأنّني نائمة بدلاً من الجلوس هنا والتحديق إلى هاتفي والحديث معه. لكنّ نور غرفتي كان لا يزال مضاءً، وإذا لم أرد، فسيدخل للاطمئنان عليّ.

صحت: «ادخل».

فتح الباب قليلًا، وقال: «هل ترغبين في رفقة؟»

لا. ما أرغب فيه هو الزحف تحت سريري والنوم هناك مدة شهر. لقد جلست أمام قبرها لساعات أحاول كتابة رسالة.

لكنّ الكلمات أبت أن تأتي.

لم أتمكن من معرفة الطريقة الصحيحة لأقول لها *إنّني آسفة لأنّني معجبة بشخص قد يكون قاتلك.*

ضاق حلقي قبل أن أكون مستعدة لذلك. لو كان القدرُ شخصًا للكمته في الوجه.

نظر أبي إليّ بعينين قلقتين وقال: «جولييت؟»

فركت عينيّ. أعلم أنّ نيّته طيّبة، لكن لا يمكنني خوض حديث الأب وابنته الليلة. لقد أنهكت مشاعري اليوم وكذلك صوتي. «أنا حقًّا متعبة يا أبي».

أومأ، وقال: «حسنًا، ظننت أنّ الوقت قد تأخر جدًّا، لذا أخبرتهما أنّك نائمة». وهمّ بإغلاق الباب.

أخبرتهما؟

كانت فكرتي الأولى هي ديكلان وريف، فتسارع نبض قلبي أربعة أضعاف. «انتظر!» واندفعت من فراشي. «هل هناك أحد هنا؟» فعبس وقال: «ماذا كنت تعتقدين أنّني قصدت حين سألتك إن كنت تريدين رفقة»

«لم أفهم». لم أستطع إخراج الكلمات من فمي بالسرعة الكافية. شعرت كأنّني التقطت جرعة من الأدرينالين والإسبريسو في وقت واحد. ربّما جاء ديكلان ليشرح.. ليعتذر.. ليقنعني بأنّ هناك طريقة معقولة لأن لا يكون لسجله الإجرامي علاقة بوالدتي.

كان من المفترض ألّا أكون متحمسة لفكرة قدومه إلى هنا، لكنّني لم أملك كبح نفسي. كان الشعور بالذنب يطعنني وكذلك الشعور بالخيانة.

إنّني أسوأ ابنة في العالم.

أبعدت الشعر عن وجهي إلى الخلف، فقد كان مجرّد فوضى متشابكة بسبب الريح التي كانت تهب في المقبرة.

«من هما؟ ماذا يريدان؟»

نظر إليّ والدي كأنّني مجنونة، ولم يكن هذا بالمستبعد. «إنّها روان، ومعها فتى. أعتقد أنّه قال إنّ اسمه بريندان. . ؟»

«براندون»، قلت وقد اندفع الهواء من رئتي، ما جعلني أفرغ قبل أن تتاح لي الفرصة لمعرفة إن كنت غاضبة من فكرة مواجهة ديكلان مورفي أو متحمسة لها. «يمكنك السماح لهما بالصعود إليّ».

«بالطبع، نحن قادمان»، صاحت روان من مكان ما في الطابق السفلي. «يمكنك تجاهل مكالماتي، لكن لا يمكنك تجاهل وجبة ناتشو بيل غراند».

ارتقيا السلّم وابتعد أبي عن طريقهما. كانت روان أثيرية ومتوهجة في قميص أبيض خفيف يتدلى فوق سروال يوغا. وكانت تحمل علبة ضخمة من مطعم تاكو بيل. فيما كان براندون يرتدي جينزًا ضيّقًا وقميصًا منقوشًا دون أزرار فوق تي شيرت كتب عليه شعار عن اللحم المقدد.

بدا كأنّهما قد خرجا من صفحات رواية كمَلاكٍ وصاحبها المحب.

كنت أرتدي بيجامة، وأنا متأكدة من أنّ الماكياج قد جف في خطوط على خدي.

وضعت روان علبة الطعام بجانبي على السرير، ثم ارتقت بجواري. «أوه، جولز. ما الذي حدث؟ قيل إنّه قد أغمي عليك في الكافتيريا. لماذا لم تتصلي بي؟ كيف وصلتِ إلى المنزل؟»

«لم يغمَ عليّ». فركت وجنتي، وقد شعرت بالقشور متشكّلة فوقهما جرّاء الدموع. «قالت فيكرز إنّها كانت نوبة ذعر. وسمحت لي بتفويت دروس الفترة المسائية». وكان هذا أكثر تعاطف حظيت به من قبل فيكرز منذ بداية العام الدراسي.

بدأ براندون بسحب الطعام من العلبة دون أن يقول أي شيء، لكنّه جعل وجوده ذا فائدة. وأحببت تجنبه حقيقة أنّني كنت في الأساس مجرّد حطام قطار ملفوفًا في وشاح صوفي.

وبالنظر إلى هذا، ربمّا كان يجدر بي أن أرتدي ثيابًا أنسب.

فركت عينيّ وحررت نفسي من روان والبطانيات، وقلت: «سأذهب وأرتدي بعض الملابس الحقيقية. سأعود حالًا». هبّت رائحة الطعام، فأدركت أنّني لم أتناول العشاء، وبالكاد كنت قد تناولت الغداء. «شكرًا لجلب الطعام. أنا فعلًا جائعة».

في الحمام، غسلت وجهي وفرشت أسناني ولففت شعري بمشبك. ثمّ سحبت ثيابًا بشكل عشوائي، ولذلك انتهى بي المطاف مرتدية سروال جينز وقميصًا بلا أكمام، لكن هذا أفضل من أن أبدو على وشك القيام بمشهد أوفيليا المجنونة.

عندما عدت إلى غرفتي، كانت روان قد رتبت سريري، وأعدّا بوفيه فوق اللحاف. كانت موسيقى هادئة تتسرب من الراديو الخاص بي، وقد أحضر أبي المشروبات الغازية.

أذهلني لطفهما حتى أنّني شعرت برغبة عارمة في أن أجهش بالبكاء مجدّدًا. لقد مرّ وقت طويل جدًّا على مثل هذا، ولم أكن أستحق أيًا منه.

قالت روان: «لقد أضاء هاتفك عدة مرات».

التقطته وضغطت على الزر.

ظ: بجدٍّ. هل أنت بخير؟

فتحت الهاتف وكتبت بسرعة.

ف م: أنا بخير، معي أصدقاء. سأعاود الكتابة لاحقًا.

أقفلت الهاتف ودسسته تحت وسادتي.

كانت روان تأكل من طبق ناتشوز وهي تراقبني. «ما سبب ذلك كلّه؟»

«لا أدري».

«ألا تدرين؟»

أخذت طبقًا ورحت أملؤه برقائق البطاطس ولحم البقر والجبن. «أنا حقًّا لا أدري».

«هل الفتى الغامض هو السبب؟»

حينها قال براندون: «هل هناك فتى غامض؟». وكان قد أخذ كرسيًّا من مكتبي في الزاوية، وكدّس أمامه أربع سندويشات تاكو.

«نوعًا ما». ثمّ دفعت رقاقة بطاطس في فمي. لم يردّ الظلام على سؤالي منذ ظهر هذا اليوم، هل كان هذا في حد ذاته إجابة؟ أم كان فقط قلقًا ولم يشعر بالحاجة إلى الإجابة؟

كان ديكلان مستفزًّا جدًّا حتّى أنّني أعجز عن تخيله يتهرب من السؤال. وحين كنّا جالسين في الكافتيريا، لم يتردّد عندما سألته حول التاريخ، فلمَ لا يواجه الأمر وجهًا لوجه الآن؟

لمَ لا يخبرني؟

إلّا إذا لم يكن الظلام هو نفسه ديكلان مورفي على الإطلاق. الذي سيكون منطقيًا أيضًا إلى حدّ ما.

جلسنا جميعًا هناك نأكل في هدوء وقتًا طويلًا، فيما واصل الراديو إرسال النغمات.

أخيرًا، قطعت الصمت وخرج صوتي ضئيلًا جدًا ولكنه ثابت. «وقع حادث ديكلان مورفي في الليلة ذاتها التي ماتت فيها والدتي. لهذا السبب انزعجت في الغداء. أعتقد أنّه قد يكون متورطًا بذلك. لقد كان مخمورًا وفاقدًا وعيه».

توقفت روان مع رقاقة بطاطس في منتصف الطريق إلى فمها.

«هل أخبرتِ والدك؟ هل اتصلت بالشرطة؟»

«لم أخبر أحدًا». ترددت قبل أن أتابع: «لست.. ليس لديّ كل التفاصيل. ماذا لو لم يكن في الوقت ذاته؟ ماذا لو..»

قال براندون: «هل لديك حاسوب؟ يمكنني البحث عن الأمر».

اعتدلت وقلت: «يمكنك البحث عن ماذا؟»

«لدي كلمة المرور لبيانات الجريمة المحلية».

مالت روان نحوي وهمست: «إنّه بارع جدًا في بعض الأحيان».

قلت: «هل تملك ذلك؟ لكن كيف؟»

«أجل، من الدورة التدريبية التي أخذتها. كنت أظنّ أنّهم سيغيّرون كلمة المرور أو ما شابه، لكنّهم لم يفعلوا ذلك». ثمّ هزّ كتفيه، وأضاف: «إنّه لأمر مثير للاهتمام. أحيانًا أتفقد البيانات. لذا يمكننا التحقق من ذلك. ومعرفة إن كان هناك أيّ تفاصيل».

كان لدي حاسوب محمول قديم يعود إلى والدي، لذا فقد كان بطيئًا لكنّه مع ذلك كان يعمل. أخرجته من تحت كومة الكتب على مكتبي وسلمته إلى براندون.

نظر إليّ من فوق الشاشة في أثناء تحميلها، وقال: «هل تريدين إخبار والدك؟»

بدا أبي يزحف ببطء خارجًا من الضباب الذي كان لا يزال يلفّني. فهززت رأسي، وقلت: «لا، ليس بعد. ليس قبل أن نعرف شيئًا مؤكدًا».

لم يستغرق براندون وقتًا طويلاً لتسجيل الدخول إلى النظام. «ما هو التاريخ؟»

فجأة جفّ فمي. هل يمكن لهذا أن يحدث؟ أن نحلّ جريمة قتلها هنا الآن؟ «إنّه الخامس والعشرون من مايو».

نقر على المفاتيح، ثم قطّب حاجبيه قبالة الشاشة. «أرى تقرير حادثة اصطدام وفرار لكن أسماء عائلتي الضحيتين هما ثورن ورحمان».

«من هو رحمان؟»

قلت بصوت أقرب إلى الهمس: «لقد كانت تستقل سيارة أجرة من المطار، وكان رحمان هو السائق».

إلى غاية اليوم، لم أمنح السائق أيّ لحظة من تفكيري. هل لديه ابنة في مكان ما، تحمل شعور الفقد ذاته الذي أشعر به؟

أمسكت روان بيدي.

«وقع الحادث على طريق هاموندز فيري؟ في منطقة لانثيكوم؟»

«أجل».

قطّب قليلا. «هذا غريب، طريق هاموندز فيري ليس في الطريق إلى المطار».

«ماذا تقصد بذلك؟»

«أعني، إنّه قريب نوعًا ما من المطار. ربّما كان لدى السائق أكثر من راكب وكان عليه إيصال الراكب الآخر أولاً أو ربّما اتخذ

طريقًا طويلاً ليأخذ عليه أجرة أكبر. أو ربّما كان هناك حادث على الطريق السريع لذلك دلف إلى الشوارع الجانبية، لا أدري، ولا مجال لسؤاله. إنّه ليس أقرب الطرق بين المطار والمنزل».

هذا غريب. لكن كما قال، ليست هذه بالحالة الشاذة بالكامل.

كان براندون لا يزال يتحدث. «وقع الحادث بعد حلول الظلام، وهذا مكان ناءٍ من المدينة، لذلك لم يكن هناك شهود ولا توجد كاميرات. وحين وصل المسعفون..» تردّد، وكانت تعابيره تشير إلى أنّه يقرأ تفاصيل لا أريد أن أسمعها تُقرأ بصوت عالٍ.

ثمّ لوَّح بيده، وقال: «حسنًا، دعيني أرى إن كان بإمكاني العثور على تقرير الشرطة بشأن ذلك الفاشل، وسنرى إن كان هناك أيّ شيء يتطابق».

هو *ليس فاشلًا*. كدت أتلفظ بهذه الكلمات، وأنا أفكر في حديثي مع ديكلان حول كيف يسيء الناس فهمه، ولكن بالنظر إلى ما نبحث عنه، لم أقل أي شيء على الإطلاق.

نقر براندون على بضع مفاتيح وقرأ، ثمّ نقر على بضع مفاتيح أخرى. كنّا جميعًا هادئين لدرجة أنّني أستطيع سماع ثلاثة إيقاعات متساوية تتنفس على أنغام الموسيقى.

بعد دقيقة، قالت روان: «إنّك تقتلنا هكذا يا بي».

«أعلم.. أعلم.. أريد فقط التأكد. هناك تقرير قد يكون لديكلان مورفي، ولكن حُجبت جميع الأسماء. يحدث هذا حين يكون الجاني قاصرًا. هذه القاعدة تغطي الولاية برمتها، لذا امنحاني ثانية».

الجاني.. كدت أبتسم.. لقد كانت خريطة حياة براندون سليمة تمامًا وليست متشظّية كخريطة حياتي.

وبعد مرور دقيقة موجعة، نظر براندون إليّ، وقد بدت أمارات حزن على وجهه، ثمّ قال: «لا أدري إن كانت هذه أخبارًا جيدة أم أخبارًا سيئة».

شددت على يد روان بأصابعي. إنّ الوقت متطابق، لا بدّ أن يكون كذلك. ورحت أتنفس بصعوبة شديدة حتّى كدت أصاب بفرط التنفس، وقلت: «أخبرني. فقط أخبرني أنّه هو. لا بدّ أن يكون هو».

هزّ براندون رأسه.

مكتبة
t.me/soramnqraa

«لا، ليس هو».

ماذا؟

ماذا؟

أدار الحاسوب، وقال: «انظري. لقد وردت المكالمة الأولى حول حادثة والدتك عند الساعة السابعة وست وأربعين دقيقة. ووفقًا لتقرير الشرطة الخاص بديكلان مورفي، فإنه لم يجلس خلف عجلة القيادة حتى الساعة الثامنة ودقيقة، ولم يصطدم بذلك المبنى حتى الساعة الثامنة وستة عشر دقيقة».

إنّه ليس هو.

شعرت بالارتياح.. شعرت بالخيبة.. لا أعرف ما الذي شعرت به.

شعرت بأنّني سأتقيأ الناتشوز، وشددت بيدي على بطني.

همس براندون: «أنا آسف جدًا».

الآن فهمت ما كان يقصده بعدم معرفة إن كانت هذه أخبارًا جيدة أم أخبارًا سيئة. صحيح أنّ هذا يعني أنّ ديكلان لم يكن

الفاعل لكنه يعني أيضًا أنّ الجريمة لم تُحل بعد.

«فقط، أوقف تشغيله. حسنًا؟ أوقف».

فعلَ ذلك، واحتجت إلى دقيقة للتهدئة من روعي. إنّني في المكان ذاته الذي كنت فيه بالأمس. لم أفقد أيّ شيء.

وحتى لو كان ديكلان مذنبًا، فلن يعيد ذلك والدتي.

«هل هذه معدّات والدتك؟» قال براندون وهو يومئ إلى الكومة في الزاوية، ضريحي الصغير الكئيب.

احتجت إلى التنحنح قبل أن أتكلم: «نعم، يحاول رئيس التحرير الخاص بوالدتي إعادة شرائها من والدي، لكن..» وتركت هذا الفكرة تتأرجح.

لم يظهر على ملامح براندون أيّ أثر لتمييز مشاعري.

«هل فتّش رجال الشرطة بطاقات الذاكرة الخاصة بها؟»

كان السؤال غير متوقّع للحدّ الذي جعل بعضًا من حزني ينجلي. «ماذا؟ لا، لمَ؟»

هزّ كتفيه. «لا أدري. لكنّني أتذكر أنّني قرأت عن قضية قتل حُلّت من خلال صور التقطتها امرأة بهاتفها المحمول، وكان من الواضح أنّها بدأت بالتقاط الصور بينما كان الرجل يطعنها، وتمكنوا من العثور عليه بناءً على ذلك. أقصد.. ماذا لو تمكنت والدتك من التقاط صور للسيارة وهي تهرب؟»

قامت روان بحركة تقطيع على عنقها، *كما لو كانت تريد أن تقول توقف عن الحديث عن جرائم القتل فيما تعاني صديقتي*، لكن عقلي عاد للعمل بسرعة طبيعية.

سألته: «هل تعتقد أنّ هذا ممكن؟»

نظر إلى المعدّات مرة أخرى، وقال: «ربّما؟»

«لا»، قالت روان.

نظر كلانا إليها، وعيناها متسعتان قليلاً.

«هل تدركان كم يبدو هذا غير معقول؟ أن يكون شخص ما على قيد الحياة بما يكفي لالتقاط صورٍ فيما ينطلق مسرعًا، ولكن أن يكون.. أن يكون..» وتأرجح صوتها وهي تنظر إليّ.

أكملت كلامها: «أن يكون ميتًا في الوقت الذي وصلت فيه سيارة الإسعاف إلى هناك».

قال براندون: «ليس بالضرورة أن يكون الفاعل مسرعًا. يشير التقرير إلى أنّ السيارة الأخرى قد تعرضت على الأرجح لبعض الأضرار أيضًا. ومن المحتمل أن السائق قد توقف لتفقد سيارته. أو أن الأمر قد استغرق منه دقيقة للتراجع ثمّ مواصلة القيادة. لم تكن ضربة جانبية بسيطة». ثمّ صمت وقد اعترى وجهه شيء من الحزن.

قلت له: «هيّا، قلها». وكان صوتي أجوف، لكنّني كنت قد تخيلت موتها بمئات الطرق، لذا لن يثير دهشتي أيًّا ما كان سيخبرني به.

قال بهدوء: «لم تمتْ عند الاصطدام. يقول التقرير إنّ السبب نزيف داخلي. ربّما بسبب حزام الأمان. ولا يوجد هنا ذكر لإصابة في الرأس». ثمّ ابتلع ريقه وتابع: «وبالتالي.. ربّما كان هناك وقت، لا سيما إذا كانت امرأة سريعة البديهة».

ربما كان هناك وقت، لا سيما إذا كانت امرأة سرعة البديهة.

والدتـي، المـرأة التـي تتجـول فـي مناطـق الحـرب فـي محاولـة لجلـب الواقـع العالمـي إلـى مائـدة العشـاء الأمريكيـة.

هـل كان دليـل حـل جريمـة قتلهـا قابعًـا هنـاك فـي زاويـة غرفـة نومـي علـى مـدى الأشـهر الأربعـة الماضيـة؟

اللعنة.

عبـرت الغرفـة، والتقطـت الحقيبـة بكاميراتهـا الرقميـة، وضربـت الكاميـرات بالحائـط لإخـراج بطاقـات الذاكـرة.

«علـى رسـلك، علـى رسـلك». أوقفنـي برانـدون، وأخـذ الكاميـرات مـن بيـن أصابعـي المرتعشـة، وقـال: «دعينـي أخرجهـا». ثـمّ سـحب المـزلاج بسـهولة متمـرّسٍ، وأخـرج البطاقـات، وعدنـا إلـى حاسـوب أبـي المحمـول.

انتظرنـا حتـى يتـم تحميـل برنامـج الصـور الخـاص بـه، واسـتغرق الأمـر وقتًـا طويـلاً حتـى أنّنـي أردت النـزول إلـى الطابـق السـفلي وتشـغيل جهـاز الماكنتـوش ذي القـوة الحاسـوبية الكبيـرة الـذي تسـتخدمه -كانـت تسـتخدمه- أمّـي لتحريـر الصـور. لـم يُشـغّل الجهـاز منـذ وفاتهـا، والسـبب فـي الغالـب أنّنـي أعـرف أن خلفيـة الشاشـة كانـت صـورة لـي وأنـا طفلـة رضيعـة أطـوّق عنقهـا.

علت عينـيّ غشـاوة، فطلبـت منهمـا أن لا يكترثـا لهـذا. فقـد كانـت أمامنـا مهمة.

تـم تحميـل البرنامـج أخيـرًا، وظهـرت الصـور الموجـودة علـى بطاقـة الذاكـرة فـي صـور مصغـرة علـى الشاشـة.

«يا إلهي»، همست روان.

كانـت الصـور مروعـة: كان هنـاك جثـث أطفـال فـي الشـوارع،

ومداخل منازل ملطخة بالدماء والغبار والأوساخ والعرق والدموع في كل مكان، ونحيب النساء، ورجال تعرّضوا لإصابات مروعة حتّى أنّه لا يجدر بأيّ أحد رؤية مثل هذه الصور على مائدة العشاء.

راح براندون ينتقل عبر الصور بثبات، لكنّه بدا شاحبًا أيضًا. «هذه الصور رائعة. لقد كانت والدتك رهيبة».

أعرف بالضبط كم كانت موهوبة. «هذه كلها صور خاصة بالعمل. تحقق من بطاقات الذاكرة الأخرى».

أخرجها وأدخل الأخرى، وانتظرنا مرة أخرى.

راح الترقب يتلوّى في صدري. قد تكون هذه هي. قد نعثر على دليل ما في هذه البطاقة.

لا أدري لماذا أتوق إلى العقاب بهذا القدر. لقد كانت مجرّد بطاقة ذاكرة فارغة. لا شيء فيها.

لا شيء.

نظر براندون إليّ، وقال: «هل لديها كاميرا أخرى؟»

هززت رأسي، وقلت: «لا تزال هناك كاميرتان ميدانيتان، لكنهما كاميرتاها الاحتياطيتان الرخيصتان. وقد كانتا في حقيبة سفرها».

«ما هذا؟» قال وهو يشير إلى مكان ينعكس فيه الضوء من العدسة التي تبرز من كيس قماش.

«إنّها كاميرا الفيلم الخاصة بها. وليس لدينا غرفة مظلمة لتحميض الصور. كما أنّني لا أملك أي فكرة عمّا يوجد داخلها. فضلًا عن أنّه لا يمكنني تحميض صور لمذبحة ما في محلّ فوتوغرافي».

«يمكن للسيد جيراردي أن يفعل ذلك. هل هناك فيلم بداخلها؟»

أمسكت بالحقيبة القماشية، فخشخشت. كانت هذه حقيبة يدها، وبمجرّد أن سحبت الغطاء، التقط أنفي رائحة غسول يديها، واجتاحتني أمواج الفقد، فاحتجت إلى إغماض عيني.

أمامنا عمل، جولييت. هناك وقت لاحق للعاطفة.

استغرق الأمر منّي لحظة أخرى، وكان براندون وروان ينتظران، كصديقين جيّدين.

حين سحبت كاميرا الفيلم، رأيت بقايا آثار أمّي، مرطبات الشفاه، وعلبة صغيرة من المناديل، وحاشية بطاقة صعود الطائرة مطوية في جيب جانبي، ومجلة آس ويكلي قديمة.

عرفتْ ابتسامة حزينة طريقها إلى وجهي. كنت لأستشيط غضبًا في وجهها لو كنت رأيت هذا. ولو كانت ليلة السبت تلك قد سارت بالطريقة التي كان من المفترض أن تسير بها.

كانت لتقول: *أحتاج أحيانًا إلى مثل هذه الأشياء، جولز.*

شقّت الدموع طريقها إلى وجنتيّ.

حينها قال براندون بهدوء: «هل تريدين منّي أن آخذها؟ يمكنني تحميض الصور وإخبارك بما أجده».

«لا»، هززت رأسي. لم تكن تستخدم كاميرا الفيلم للعمل كثيرًا، لكن حين كانت تفعل، فإنّ النتيجة تكون صورًا قويّة حقًّا. ولذا فإنّ أيّ شيء موجود بهذه الكاميرا هو عملُها الشخصي. شيءٌ سيحمل معنى بالنسبة إليها. ولا أستطيع أن أتخيلها تمسك بهذه الكاميرا لتلتقط صورًا لسيارة تسرع مبتعدة -هذا إذا كانت قد فعلت ذلك على الإطلاق- ولكن إذا كان لأي شخص أن يستخرج

هـذه الصـور، فسـيكون أنـا. حضنـت الكاميـرا إلـى جسـدي، وقلـت: «إنّهـا صورهـا. أريـد أنـا تحميضهـا».

«حسنًا». وجلس ثانية.

قلت بهدوء: «شكرًا لكما. أنا سعيدة بقدومكما يا رفاق». لفّت روان ذراعيها حول عنقي من خلف وقالت: «لهذا يوجد الأصدقاء».

الفصل السادس والثلاثون

من: فتاة المقبرة <cemeterygirl@freemail.com>
إلى: الظلام <TheDark@freemail.com>
التاريخ: الثلاثاء، 8 أكتوبر   الساعة: 10:31:57 مساءً
الموضوع: الأصدقاء

نعم. *أنا بخير. كان ذلك إنذارًا كاذبًا.*
هل تحدثت مع والدتك؟

إنذارًا كاذبًا؟ *إنذارًا كاذبًا*؟ ماذا يعني هذا بحق الجحيم؟ كانت النقطة خضراء مضاءةً بجانب اسمها.

ظ: ما هو الإنذار الكاذب؟
ف م: ديكلان مورفي لم يرتكب ما اعتقدت أنّه فعله.

بذلت كل جهدي -وأعني كل جهدي- لأكبح نفسي عن كتابة: *«جولييت، أخبريني بكل شيء، أرجوك لقد كنت قلقًا جدًّا من أن أكون قد تسببتُ بهذا لك».*
كانت يداي ترتجفان حرفيًا وأنا ممسك بهاتفي.

ظ: ماذا ظننت أنه قد فعل؟

ف م: لقد ثمل وحطّم سيارته في الليلة ذاتها التي ماتت فيها أمي. وكنت قلقة من أن يكون متورطًا بطريقة ما في الحادث.

ظ: وهو لم يفعل؟

ف م: لا.

إنّها تقتلني.

ظ: كيف عرفتِ ذلك؟

ف م: أجرى صديق صديقتي الحميمة دورة تدريبية في غرفة تحرير الأخبار خلال الصيف. ولا يزال بإمكانه ولوج قاعدة بيانات الجريمة الخاصة بهم. لقد بحث عن كلا الحادثتين، وتبيّن أن وقت الحادثتين غير متطابق. فقد ماتت أمي قبل أن يركب ديكلان مورفي سيارته.

أوه.

لم أكن أعرف ما أشعر به بالضبط، لكن بالتأكيد لم يكن الارتياح. لم يكن هذا حتّى انتصارًا أجوفًا. صحيح أنّني لم أقتل والدتها، لكنّها لم تتوصل بعد إلى حل لغز الجريمة. ولم أخبرها بعد من أنا، وقد فات الأوان الآن على ذلك.

شعرت بأنّه ينبغي لي الاعتذار، لكنّني لم أكن متأكدًا تمامًا من كيفية فعل ذلك أو سبب فعل ذلك، ثمّ ظهرت رسالة أخرى.

ف م: لقد كان احتمالًا بعيدًا على أي حال. كانت مجرّد صدفة.

ظ: أظن أن مساريهما لم يتقاطعا.

ف م: لا.

ظ: هل أنت بخير؟

ف م: لا أعرف تمامًا ما أشعر به.

د م: ماذا يمكنني أن أفعل؟

ف م: تحدث معي فقط إن لم تكن تمانع.

قرأت الكلمات بصوتها. كنت لا أزال أرى عينيها المذعورتين حين طابقت تاريخ الحادثتين في الكافتيريا. وشعرت برغبة في الاتصال بها وطمأنتها. لقد كانت أعنف فتاة قابلتها على الإطلاق، لكنّني أريد أن أجلس في الظلام وأمسك يديها لأشعرها بأنّها ليست وحدها.

ظ: أمانع؟ يمكنني التحدث معك إلى الأبد.

لم تردّ لأطول وقت، فتساءل إن كانت قد نامت.

ظ: دق، دق.

ف م: لقد جعلتني أبكي.

ظ: معظم الناس يقولون: «من بالباب؟»

ظ: الآن جعلتني أضحك. من بالباب؟

ظ: لم تكن لدي نكتة جاهزة مسبقًا. لماذا جعلتك تبكين؟

ف م: لقد كنت قلقة جدًّا من أن تكون هو، وكنت سأضطر إلى التوقف عن التحدث معك.

تجمّدت. قرأت هذه الجملة مرارًا وتكرارًا.

كنت قلقة جدًّا *من أن تكون هو.*

لم أستطع التنفس. لم تكن لدي أيّ فكرة عمّا يجب عليّ قوله. كان هذا أشبه بألف خنجر تطعنني جميعًا دفعة واحدة.

ف م: آسفة. أنا في حالة فوضى الآن. ظنّ براندون -صديق صديقتي الحميمة- أنّه ربما كانت هناك أمام أمي فرصة لالتقاط صورة للسيارة وهي تهرب، لذلك نظرنا في بطاقات الذاكرة الخاصة بها. لقد كانت ليلة عاطفية جدًّا.

أخبريني عن ذلك. لقد كنت أجلس وقلبي يختنق.

على الأقل غيّرت موضوع الحديث، كي أتمكّن من أن أجبر أصابعي المخدّرة فجأةً على الكتابة.

ظ: وهل عثرت على أيّ شيء؟

ف م: لا شيء في بطاقات الذاكرة. لكنّني سأقوم بتحميض الفيلم غدًا في المدرسة.

ظ: هل تعتقدين أنّ هناك فرصة ما؟

ف م: أنا خائفة من أن أعتقد أنّ هناك فرصة.

بالكاد كان عقلي قادرًا على استيعاب الكلمات التي كانت تكتبها. أردت أن أقول لها إنّني بالكاد أستطيع أن أبقى مستيقظًا، وأنّه يمكننا التحدث غدًا، لكنّني كنت قد أخبرتها حرفيًا بأنّني سأتحدث معها طوال الليل.

ربما ينبغي أن أبحث عن بعض النكات البديهية.

ف م: هل تحدثت مع والدتك؟

أوه، جيّد، شيء آخر لا أريد التحدث عنه.

ظ: لا.

ف م: لمَ لا؟

ظ: لأنّني عدت إلى المنزل من العمل متأخرًا، وكان زوج أمي يقف حرفيًا كالحارس خارج بابها.

ف م: ولا يمكنك إخباره بأنّك ترغب في التحدث معها؟

لم يكن سؤالها مؤذيًا جدًا، لكنّ معرفتي بأنّها لا تريد التحدث معي -أنا الحقيقي- جعل كلماتها تحمل من الانتقاد أكثر مما اعتدت عليه. كان الأمر أشبه بالتحدث إلى آلان حيث أسمع اتهامات بالفشل بين الكلمة والأخرى. وهذا ما أوقد نيران الغضب بداخلي، كأنّني فقط جيّد بما يكفي لها لرؤية نصف حياتي فقط، لكنّ النصف الآخر -النصف الحقيقي- كان خرابًا بالنسبة إلى فتاة مثلها.

كانت أفكاري عبارة عن فوضى من المبالغة والمغالاة، وأنا أعلم هذا.

لقد فعلت هذا. لقد فعلته.

لقد أفسدته. وهذا خطئي.

كان هذا ثقلًا آخر يضاف إلى الكثير ممّا أحمله على كاهلي. وشعرت برغبة في شدّ أطرافي ثمّ الإلقاء بها جميعًا لكنها كانت ثقيلة جدًا، وكنت عاجزًا.

نقرت أصابعي على الشاشة.

ظ: الأمر معقّد.

ف م: الأمر معقّد بقدر ما تجعله أنت كذلك.

ظ: حسنًا، أعتقد أنّني أجيد جعل الأشياء معقدة قدر الإمكان.

وبهذا، أغلقت التطبيق.

وحذفته.

ثم تكوّرت على نفسي وفعلت كل ما هو ممكن لكبح نفسي عن الصراخ.

كان لا بد لي من التوقف عن التنفس. هذه هي الحيلة، أن أجلس في صمت تام ثابت حتى تصرخ عضلاتي طلبًا للأكسجين.

كنت في حاجة إلى لملمة شتاتي. كانت غرفتي خانقة، وشعرت برغبة في الخروج منها، ولكن هناك مكان واحد فقط يمكنني الذهاب إليه دون أن يستدعي آلان رجال الشرطة.

سحبت هاتفي وأرسلت رسالة نصية أخرى إلى ريف. لقد تجاهل رسائلي الاثنتي عشرة الأخيرة، لكنّها كانت جميعها رسائل بتعابير مختلفة منّي أخبره فيها بأن يتوقف عن الشعور بالألم في مؤخرته.

د م: من فضلك، ريف أنا بحاجة إليك.

ردّ على الفور.

ر ف: أنا هنا.

د م: هل يمكنني المجيء؟

ر ف: دائمًا.

***

كان ريف يأكل وعاءً من حبوب لاكي تشارمز حين دخلت من الباب الخلفي ووجدته في المطبخ. وكان هذا نوعًا من الوجبات الخفيفة التي يتناولها في وقت متأخر من الليل، وعادة ما تكون مخصصة لمدخني الحشيش، لكنّ ريف لم يدخن قط في حياته. وحين كنا صغارًا وكانت صداقتنا مقسمة بالتساوي بين منزلينا، كانت أمي تحتفظ بعلبة منها في متناول اليد فقط من أجله.

ولم يكن يأكل قط هذه الحبوب المحلاة بالسكر على الإفطار. فقد كان يتعامل معها دائمًا كذنبٍ سري. ربّما مردّ ذلك طفولةٌ مع أب لم يكن يسمح له بأكل حبوب لاكي تشارمز أو ربّما كان يحب السكر. لم أسأله عن هذا قط.

دفع بالعلبة نحوي حين اقتربت من الطاولة، لكنّه لم ينظر إليّ. كان لا يزال يرتدي السترة ذاتها التي كان يرتديها في المدرسة، وهو أمر غير معتاد في هذا الوقت المتأخر من الليل. وتساءلت إن كان لم يخلعها أو أنّه أعاد ارتداءها عندما علم بأنّني قادم.

في كلتا الحالتين، كان للأمر علاقة بي. ولم أكن أحب هذا الشعور. كما أنّني لم أستطع أن أحدّد إن كنت غاضبًا أم خجلاً.

قلت: «مرحبًا».

«مرحبًا».

لم ينظر إليّ بعد.

لم أجلس.

«ألا تزال غاضبًا؟»

«ربّما، ما الخطب؟»

«قالت جولييت إنّها سعيدة لأنّني لست أنا».

أخذ ملعقة من الحبوب لكنّه لم ينظر إليّ بعد، وقال: «ربّما يمكنك تكرار ذلك باللغة الإنجليزية».

«قالت إنّها سعيدة لأنّني لست ديكلان مورفي».

«أعتقد أنّني بحاجة إلى مزيد من المعلومات».

رفع عينيه بما يكفي ليومئ برأسه إلى الهاتف في يدي، وقال: «هل قالت هذا في رسالة إلكترونية؟ اقرأها».

«لا أستطيع. لقد حذفت التطبيق».

أطلق ضحكة صغيرة، لكن ليس لشيء مضحك قلته، ثمّ احتسى الحليب الملون من وعائه، وقال: «أعد تثبيته. ودعني أرى ماذا قالت».

«لقد أخبرتك للتّو بما قالته».

«لا، ما أخبرتني به هو النسخة الديكلانية. أريد أن أرى ما قالته».

«ماذا يعني ذلك؟»

وضع ريف الوعاء في الحوض، وأخيرًا نظر إليّ بالكامل.

«هل ستعيد تثبيت التطبيق أم لا؟»

جعلني سلوكه أتمنى لو أنّني لم آت إلى هنا على الإطلاق. «لا».

«حسنًا. تصبح على خير». خرج وضرب مفتاح الإنارة عند المدخل تاركًا إيّاي في الظلام.

لحقت به، وهمست بغضب لأنّني كنت أعلم أنّ جيف وكريستين سيفزعان إذا أيقظنا الطفلة. «ما مشكلتك يا ريف؟ إذا كان لديك ما تقوله لي، فقله».

لم يتوقف عن المشي. «لقد فعلت».

«هلّا توقفت وتحدثت معي؟»

لم يفعل.

«ريف!»

سيكون في غرفته في غضون ثانية، وسيغلق الباب في وجهي.

«هلّا توقفت؟» ودون تفكير، لحقت به وأمسكت بذراعه.

التفت ريف وحرّر ذراعه ودفعني بقوة حتّى أنّني اصطدمت بالحائط المقابل، فاهتزت إطارات الصور وتأرجحت. حينها اتسعت عيناه قليلاً لكن للحظة فقط، طرف بعدها واختفت الشياطين. لقد كان جفلًا ونادمًا وخجِلًا.

«أنا آسف». قلت رافعًا يديّ. وستظهر عليّ كدمة في الغد، لكن كان هذا خطئي. أعرف هذا جيّدًا. «أنا آسف».

تململت الطفلة، فتجمّد كلانا. وبعد ثانية، عادت وهدأت.

انفتح باب غرفة نوم والديه، ومال جيف نحو الردهة، وهمس بغضب: «ماذا تفعلان أيّها الفَتيان؟». فردّ ريف: «لا شيء، عد إلى السرير. وسنغلق الباب». ثمّ نظر إليّ متأسفًا، وقال بنبرة ساخرة: «تعال يا ْديك».

في غرفته، جلس ريف على سريره متصالب الساقين، فيما أخذت كرسي المكتب وجلست عليه، مريحًا ذراعي على الظهر.

ثمّ قال بصوت منخفض: «آسف، لم أقصد أن أفعل ذلك».

«إنّه خطئي».

نظر إليّ وقال: «لا، لم يكن خطأك».

«ما كان يجب أن أمسك بك». ثمّ هز كتفيه، لكنّ التوتر كان ينبعث من هيئته، وراح يقضم حافة ظفر إبهامه.

عبست وحركت الكرسي إلى نهاية السرير وأرحت رأسي على ذراعي، وقلت: «ما القصة، ريف؟»

«ما زلت أفكر فيه».

كان يقصد والده. «هل حدث شيء؟»

«لا».

«هل تريد أن نتحدث عن ذلك؟»

أخيرًا رفع بصره بعيدًا عن لحافه، وقال: «هل تعتقد حقًا أنّني أتصرف كضحية؟»

«لا، هل تعتقد حقًا أنني أفعل؟»

«في بعض الأحيان».

آخ. «لا أعتقد أنني سمعتك تشتم من قبل».

جفل. «ما كان ينبغي أن أفقد أعصابي».

«أعتقد أنّه مسموح لك».

«لا، هذا غير مسموح. هل ستعيد تثبيت التطبيق الغبي حتّى نتمكن من التحدث عمّا جئت من أجله هنا؟»

«ألا يسمح لك أن تفقد أعصابك؟»

كانت تعابيره مؤلمة. «ديك».

«بجدٍّ، ريف، أنت أكثر شخص رحب الصدر أعرفه. وإذا لم تثر أعصابك على شخص ما في الكافيتريا من حين لآخر، فسيعتقد الناس أنّك لست إنسانًا. في الواقع، كنت قد بدأت أشعر بالقلق».

لم يبتسم، وظلّ هادئًا محبوسًا داخل رأسه.

حينها أدركت أنّني على الأرجح مُرشّح لجائزة الصديق الأكثر

أنانيـة. وكنـت فـي ذلـك الحيـن قـد شـققت طريقـي إلـى غرفتـه، لكـن لأجـل مـاذا؟ أمـن أجـل أنّـي لا أمتلـك الجـرأة الكافيـة لأخبـر الفتـاة مـن أنـا؟ *آه، يـا ديكلان.*

ملـت بالكرسـي إلـى الخلـف قليـلًا، وقلـت: «هـل تريدنـي أن أعـود إلـى المنـزل؟»

طرف بعينيه، وقال: «لا».

«حسنًا».

«لكنّني أريدك أن تعيد تثبيت التطبيق».

«ريف..»

«أنـا جـادٌّ. أحتـاج إلـى.. إلـى..»، كان صوتـه مشـدودًا، ثـمّ قـام بحركـة دائريـة بيديـه، وأضـاف: «إلـى أن أفـكّ».

تردّدت، لكنّه ظلّ ينظر إليّ بترقب. «حسنًا». وأعدت تثبيته.

كانت هناك رسالة في الانتظار.

لـم أسـتطع أن أجبـر نفسـي علـى النقـر عليهـا. كان بإمكانـي فقـط تخيّـل مـا سـتقوله. لـم تعـد النقطـة الخضـراء بجانـب اسـمها مضـاءة. فرميـت الهاتـف فـي وجهـه، وقلـت: «هـذه أحـدث رسـالة».

كان يعذبنـي وهـو يقـرأ بسـرعة شـخص يحتـاج إلـى البحـث عـن كل كلمـة فـي القامـوس.

وبعـد بضـع دقائـق، أردت انتـزاع الهاتـف مـن يـده. «أنـت تقتلنـي هكـذا، يـا ريـف».

«كنـت أقـرأ الرسـائل السـابقة لفهـم السـياق». ثـمّ تنهـد ورمـى الهاتـف فـي وجهـي. «أتفـق معهـا. *أنـت* جيّـد فـي جعـل الأمـور معقـدة قـدر الإمـكان».

«هل تعتقد أنّها تكرهني؟»

«أيّ نسخة *منك*؟»

جفلت. «كلا النسختين».

«لا»، تردد، ثمّ أردف: «أعتقد أنّك بحاجة إلى إخبارها».

«لقد قرأت ما قالته. إنّها لا تريد التحدث معي».

هز رأسه. «بل قالت إنّها سعيدة لأنها لن تضطر إلى التوقف عن التحدث إليك».

«لا، بل قالت..»

«هذا *بالضبط* ما قالته، ديك». واعترى ملامحه شيء من الغضب. «بالضبط. حرفيًا».

«قالت إنّها سعيدة لأنّني لست ديكلان مورفي».

«*لكنك* ديكلان مورفي! أنت *لست شخصين*». كانت قبضتاه مشدودتين، وقد تسارعت أنفاسه.

دفعت هاتفي في جيبي وتفحصته. «ما الذي يحدث لك، ريف؟»

فرك عينيه، وقال: «لا أدري، أنا متعب فقط».

تذكّرت كيف جلس معي في المستشفى دون أن يقول شيئًا. وكان صمته أكثر دعمًا لي من أيّ شيء كان يمكن أن يقوله.

لا أدري كيف أفعل ذلك في المقابل. ربّما يمكنني تقديم شيء ما على الرغم من ذلك. فأخرجت هاتفي وأجريت بحثًا سريعًا، ثم قلبته ومددته نحوه عبر السرير.

لم يمد يده للهاتف، وقال: «هل أرسلت المزيد؟»

«لا، إنّها قصيدة من واجب اللغة الإنجليزية. اقرأها».

رفع بصره، وكان التعبير الذي ارتسم على وجهه هو تمامًا ما

كان سيعتري وجهي لو أنّه قال فجأة: *«خذ يا صاح، اقرأ هذه القصيدة»*.

«ماذا؟»

«فقط اقرأها. أعتقد أنّك ستحبها».

ولأنّه ريف، فإنّه لا يُصعّب عليّ الأمر أبدًا. التقط هاتفي وشرع في القراءة.

تلاشت تعابيره، وقال: «أنت مُحقّ. لقد أحببتها فعلًا». ثمّ أعاد الهاتف إليّ، وللحظة اعتقدت أنّه سينهار وسيبكي، لكنّه قال بصوت، كان قاب قوسين من الانكسار: «لكنّني لا أشعر بأنّ رأسي مضرّج وغير منحنٍ. ليس الآن».

بدا الهواء ثقيلًا، كما لو أنّه كان سيقول المزيد، فانتظرته.

ثمّ قال بثبات: «في الآونة الأخيرة، شعرت أنّ كل شيء هو اختبار». ثمّ توقّف ليبتلع ريقه، وتابع: «وأشعر أنّني أقترب أكثر فأكثر من الفشل».

«مثل ماذا؟»

«كدت أضربك في الردهة».

«أنا أستحق ذلك».

اتقدت عيناه بالغضب، وقال: «لا، هذا غير صحيح!»

«أشش». وألقيت نظرة إلى الباب قبل أن أتكلم: «حسنًا، أنا لا أستحق. لكن ما وجهة نظرك؟»

«لقد كدت أضربك». قال هذا كما لو كان شيئًا مهمًا.

«و؟»

«ماذا لو فعلت؟»

«على الأرجح أنّ الكثيرين في المدرسة سيرغبون في مصا فحتك » .

حدّق في وجهي، وقال: «لا تمزح».

«أنت قلق لأنّك كدت تضربني؟ أنا متأكد من أنّني كنت سأتجاوز الأمر».

«ولكن ماذا لو لم أستطع كبح نفسي؟»

حدقت فيه. لقد كان هذا السؤال يتعارض تمامًا مع ما أعرفه عن ريف حتّى أنّه يكاد يكون هزليًا.

لكنّ التعبير الذي كان يعتري وجهه كان كلّ شيء عدا ذلك.

قربت كرسيي لأسنده على السرير. وصار صوته هادئًا جدًا، وكذلك صوتي. «أنت قلق من أنّك إذا ضربتني، فستستمر في ضربي؟»

«أو ضرب أي شخص آخر». ثمّ أخذ نفسًا، قبل أن يتابع: «حين ذهبنا إلى حفل العودة، جعل الجميع الأمر يبدو سهلاً جدًّا. لأجل أن أحظى بمثل هذه الحياة الطبيعية. لكنّني قلق جدًّا من أن أفقد السيطرة على أعصابي ذات يوم. فأنا لا.. لا أعرف كيف بدأ الأمر. وعندما بدأ، شعرت بالخوف لأنّني لا أعرف كيف أوقفه».

لم يسبق لريف أن تحدث على هذا النحو. وعندما كان يتحدث عن والده أو عمّا مر به أثناء طفولته، فإنّ ذلك يكون دائمًا في سياق التأكد من عدم قيام أحد بذلك معه مرة أخرى. ولم يحدث أن شعر بالقلق من أن يرتكب هو أي نوع من الإساءة تجاه شخص آخر.

لقد كان ريف لطيفًا ودمثًا. وكان جيف وكريستين يفتحان منزلهما وقلبيهما للأطفال من جميع المشارب، وكذلك كان يفعل ريف.

أرى هذا كل يوم، وأحسده عليه.

قلت له: «أنت لست والدك».

«أنت لست ملك نفسك أيضًا».

وحتى من قلب الأزمة التي يمر بها، يعرف ريف بالضبط ما أحتاج إلى سماعه. وهذا ما يجعله الصديق المثالي. وهذا ما يجعلني عاجزًا عن تقبّل فكرة أنّه يمكن أن يؤذي أي شخص.

«هل تحدثت مع جيف وكريستين حول هذا؟»

«لا». فرك وجهه مرة أخرى، وكانت عيناه رطبتين. «أنا قلق من أنّهما لن يرغبا في بقائي هنا إذا حدث شيء من هذا القبيل. أنا لا أريد إيذاء أي من الأطفال..»

«ريف، أنت لن تؤذي أحدًا. وهما والداك ويحبانك. لذا لن يحدث شيء من هذا. أؤكد لك. لا شيء».

ظل هادئًا لبعض الوقت، وكان بإمكاني أن أراه وهو يقلّب هذا الكلام في رأسه. «ولكن ماذا لو حدث؟»

لم يكن بإمكان أي شيء أن يطرد هذه الفكرة من رأسه الآن. لقد شقت طريقها إلى عقله واستقرت هناك. تقدمت نحوه وربتت على يده، وقلت: «ثمّ أنني سأبقيك بعيدًا عن المشكلات. كما تفعل معي».

وبدا أنّ هذا قد أراحه. حينها نظر إليّ، ثم أدار يده ليمسك يدي، بكل قوته، وقال: «اتفقنا».

الفصل السابع والثلاثون

من: فتاة المقبرة <cemeterygirl@freemail.com>
إلى: الظلام <TheDark@freemail.com>
التاريخ: الثلاثاء، 8 أكتوبر الساعة: 11:19:27 مساءً
الموضوع: ما الذي حدث؟

إذا أزعجتك، فأنا آسفة. لم أقصد ذلك.
من فضلك لا تتوقف عن التحدث معي.

تخلّل هواءُ الصباح ثيابي بينما كنت أعبر فناء منزل ريف في اتجاه منزلي. وكانت أشعة الشمس بين منازل الحيّ، ولكنّ الصقيع كان يلمع على العشب، وهذه أول أمارات قدوم فصل الشتاء.

لم تبلغ الساعة السادسة بعد، لذا أدخلت مفتاحي في القفل، وأسندت كتفي على دعامة الباب لمنعه من الصرير بصوت عالٍ جدًّا.

ما كان يجدر بي أن أزعج نفسي أيضًا، فقد كان آلان يقف في المطبخ يحرك فنجانًا من القهوة.

ارتفع حاجباه دهشةً، واتجهت عيناه إلى الساعة فوق الحوض ثمّ نظر إليّ وقال: «أين كنت؟»

«لقد كنت في منزل ريف».

«هل بقيت هناك طوال الليل؟»

«أجل». بدا كأنّ هذه المحادثة تتجه بسرعة نحو المنحدر، لذا ابتعدت، متجهًا نحو الدرج.

خرج آلان من المطبخ. «ألم تخبر أحدًا بأنّك ستغادر؟»

تابعت سيري.

فلحق بي، وصرخ باسمي: «ديكلان. توقف مكانك. أريد أن أتحدث إليك».

أمسكت بالدرابزين وأرجحت نفسي على الدرج، لأتوقف فجأة فقط حين وجدتني وجهًا لوجه مع والدتي التي كانت تهمّ بنزول الدرج.

الآن صرت محاصرًا بينهما.

قالت: «ديكلان».

ولسبب ما، بعدما اكتشفت أنّها حامل، تخيلت أنها ستصبح كالبالون بين عشية وضحاها وتبدأ بارتداء قمصان ضخمة تشبه الخيام مع ربطات الدانتيل والتنانير الطويلة. لكنّها كانت ترتدي سروال جينز وقميصًا زهري اللون. وكان شعرها معقودًا على شكل ذيل حصان، وبشرتها مغسولة حديثًا.

أمسكت يدي بدرابزين الدرج بقوة لدرجة أنّه اهتز تحت الضغط.

لا أعرف ما الذي ينبغي أن أقوله لها. فابتلعت ريقي، وكانت أفكاري تتأرجح بين الحاجة إلى الاعتذار عن الكثير من الأشياء، والحاجة إلى سماع اعتذار منها.

تفحصت عيناي هيئتها مرة أخرى. لم تكن ضئيلة قط، لكن لا يمكن أن أطلق عليها صفة «بدينة» أيضًا. لقد كانت في هيئة الأمهات، على ما أعتقد. كان قميصها فضفاضًا لكن ليس بشكل يبعث على السخرية. ولو لا أنّني تخاصمت مع آلان في قاعة الاستعجالات قبل ليلتين، ما صدقت أنّها حامل.

لكن بينما كنت أقف هناك أحدّق إليها، لاحظت أنّها كانت شاحبة أكثر من المعتاد. وبدلاً من أن يشدّ الجينز طبقات ثيابها، بدا فضفاضًا أكثر مما اعتدت عليه.

«هل أنتِ بخير؟» سألتها.

أومأت برأسها. ثمّ فتحت فمها كما لو كانت ستقول المزيد، لكن لا بدّ أنّها قد غيّرت رأيها، لأنّها لم تتلفظ بشيء.

سألتها: «ماذا؟»، فانكمشت بعض الشيء.

وشعرت بالخزي يحوم في صدري. وتذكرت جولييت وهي جالسة في المقعد الأمامي لسيارتي، تضغط بظهرها على الباب. *أنت مستفز جدًّا.*

حينها جاء صوت آلان من خلفي: «لقد كان في الخارج طوال الليل. إذا لم تفعلي شيئًا حيال هذا يا آبي، فسأفعل».

التفتّ نحوه، وقلت: «نعم؟ وماذا ستفعل؟»

«يمكنني أخذ سيارتك حتى تتعلم القليل من المسؤولية».

سيكون عليه أن يضربني حتى أفقد الوعي ليحصل على المفاتيح. ثمّ كابدت لأبقي صوتي منخفضًا حتى لا يصبح هذا الاحتمال حقيقيًا: «لن تأخذ سيارتي».

كانت ذراعاه مطويتين على صدره. «وربّما يمكننا فصل هاتفك، بما أنّك لن تذهب إلى أي مكان».

حينها ضربت الحائط، فاهتزت مصابيح السقف: «لم أفعل أيّ شيء خاطئ!»

ارتفع حاجباه، وقال: «ألا تعتقد أنّ التسلل خارجًا طوال الليل أمر خاطئ؟»

قالها كما لو كنت قد ذهبت لتعاطي الهيروين ولعب القمار جنوب بالتيمور. «لقد كنت في منزل ريف! اسأل جيف وكريستين!»

«لا يمكنك الخروج من هنا دون إخبار أحد..»

أطلقت زفرة وتحركت لأتجاوز أمي. «كما لو أنّكما تهتمان بي على أي حال».

وضعت يدها على ذراعي، وقالت: «ديكلّان. توقف. لن يأخذ سيارتك».

حينها قال آلان بحدة: «لماذا تفعلين ذلك دائمًا؟ تستمرين في السماح بحدوث هذا، آبي. إنّه يحتاج إلى التعلم».

تجاهلته. لكن لمستها اختطفت منّي قوتي، فتوقفت على الدرج وألقيت نظرة إليهما. وخرج صوتي خشنًا كأنّه مليء بالحصى: «لماذا لم تخبريني؟»

اتسعت عيناها بشكل جزئي، لكنّها لم تجب.

فردّ آلان بصوت متعب: «لماذا تعتقد ذلك؟ بعد ما فعلته في حفل الزفاف، هل تعتقد أنّنا سنرغب في إخبارك عن طفل؟»

ارتعدت، وأبعدت ذراعي عنها. وراح الغضب يقلّص صدري، ما جعل التنفس صعبًا. فقد كان هناك جزء صغير منّي يأمل في أن يكون الأمر مفاجئًا لهما بقدر ما كان مفاجئًا لي، لكنّ تعليق آلان يثبت أنّ السرية كانت مقصودة.

اقترب منّي أكثر، وأدركت أنّه يتعقب حركتي، كما لو كنت قاب قوسين أو أدنى من دفعها على الدرج.

كان يظن أنّني أشكل خطرًا على والدتي وعلى الطفل وعلى محاولتهما الجديدة في تكوين أسرة.

من أخدع؟ أنا فعلًا كذلك.

قلت لها: «في تلك الليلة التي كنت تتقيئين فيها. كنت تعلمين حينها».

لم تقل شيئًا، لكنّ صمتها في حد ذاته كان إجابة كافية.

قلت: «لاستبدال كيري؟»

فجفلتْ كأنّني لكمتها في أمعائها، ولمعت عيناها بالدموع مُفاجئة.

الآن، أنا أكره نفسي.

«ربّما يجب أن تواصلي طريقك» قلت وأنا أتجاوزها، دون أن أجد أيّ مقاومة منها الآن. «ربّما ستحصلين على ولد بعد ذلك ويمكنك استبدالي أنا أيضًا».

انطلقت شهقةٌ من صدرها.

وراح آلان يشتم، ثمّ قال: «سنكون محظوظين جدًّا حينها».

تلفظ كلماته بفظاظة اخترقتني مباشرة. وعدت إلى أسفل الدرج كما لو كنت أسير تحت الماء. أردت أن ألكمه بشدة حتّى أنّني شعرت بيدي تؤلمني من اللكمة، لكنّني تمالكت أعصابي.

لم تقل أمي أيّ شيء. وإذا حدث ووصلنا إلى حد المواجهة، فإنّها ستبكي وتفرك يديها وتتوّسل إلينا للتوقف، لكن لم تكن لديّ أي فكرة إلى جانب من ستكون.

هـذا ليـس صحيحًـا. كنـت أعـرف بالضبـط إلـى جانـب مـن سـتكون. لقـد أثبتـت ذلـك قبـل أربـع سـنوات، حيـن سـمحت لـي بالجلوس خلف عجلة القيـادة. لقـد أثبتت ذلـك في مايو الماضي، حيـن تزوجـت مـن هـذا الرجـل.

فكـرت فـي رسـائلي مـع جولييـت، وكيـف جعلتنـي أشـعر بـأنّ حياتـي كانـت تسـتحق العنـاء، كمـا لـو كان لـدي مـا أقدّمـه. فكـرت فـي محادثاتـي مـع فرانـك والسـيدة هيـلارد كيـف أنّهمـا لبضـع دقائـق جعلانـي أشـعر كأنّنـي أكثـر مـن مجـرد فاشـل ذي سـوابق.

لكـن الواقـع هنـا، *هنـا تمامًـا*، كيـف لشـخصين كان مـن المفتـرض أن يكونـا سـندي أن يقفـا هنـا ويطرحانـي أرضًـا.

أصبـح صـدري ضيّقًـا جـدًّا، ولا أعتقـد أنّنـي سـأتمكن مـن التنفـس لفتـرة أطول.

قال آلان: «أعطني مفاتيحك».

قلت مجـدّدًا: «لم أفعل أيّ شـيء خاطئ».

فصـرخ: «إنّـك تسـتغل كل فرصـة لتفعـل شـيئًا خاطئًـا! أنـت لا تفكـر فـي أحـدٍ سـوى نفسـك، وعندمـا يفعـل شـخص مـا شـيئًا لا تحبـه، فإنّك تفعـل كل مـا فـي وسـعك لتدميـره! لمـاذا بحـق الجحيـم تعتقـد أنّنـا لـن نخبـرك؟»

أخذ كل شيء بداخلي يتحول إلى جليد.

تجاوزتنـي أمـي. ووضعـت يدهـا علـى ذراعـه، وقالـت: «توقـف. آلان. رجـاء. توقـف».

لكـنّ صوتهـا لـم يكـن قويًّـا. بـل كان ضعيفًـا ومليئًـا بالدمـوع. ولـم تكـن تنظـر إلـيّ.

مع ذلك، ربّما تكون الدموع قد وفّت بالغرض، حيث راح آلان يشتم واندفع نحو المطبخ.

شعرت بالخدر يسري في جسدي. ووقفت متجمدًا في مكاني عاجزًا عن الحراك.

التفتت أمّي لتنظر إليّ. كنت أطول منها، لكن للحظة وأنا أقف على بعد خطوتين منها، بدت ضئيلة جدًا بل مجهرية.

سأمنحها أيّ شيء لتقلّص هذه المسافة، لتكلّمني. أريد أن أقذف مفاتيح سيارتي وهاتفي عند قدميها. *خذي كل شيء*، أردت أن أقول لها. *لست بحاجة إلى أيّ منها. أنا بحاجة إليك.*

لكن لم تكن لدي الفرصة لقول هذا، فقد استدارت ولحقت بآلان إلى المطبخ.

لم تعد ساقاي تقويان على حملي بعد الآن. صرخت، «أنا آسف»، وانكسر صوتي. «أنا آسف، حسنًا؟ أنا آسف لأنّني لم أُقِلّه. أنا آسف لأنّني تركت كيري تذهب. أنا آسف».

لم ترد.

لم تعد.

لقد تركاني هناك على الدرج، وحدي.

مكتبة
t.me/soramnqraa

الفصل الثامن والثلاثون

من: الظلام <TheDark@freemail.com>

إلى: فتاة المقبرة <cemeterygirl@freemail.com>

التاريخ: الأربعاء، 9 أكتوبر   الساعة: 07:22:04 صباحًا

الموضوع: حديث

لا أعرف إن كان بإمكاني الاستمرار في القيام بذلك. أنتِ لا تعرفين أيّ شيء عني. أنت لا تعرفين من أكون. أنت تعرفين فقط ما قمت بمشاركته معك، لكنّ هذا ليس القصة كاملة. إنّه مجرد لقطة، تمامًا مثل الصور الفوتوغرافية. لقد شكّلتِ رأيًا عنّي بناءً على القليل الذي رأيته، وأعتقد أنّ كل هذا خطأ.

أنا لست شخصًا صالحًا يا فتاة المقبرة. أنا لا أجيد زرع الأشياء، بل فقط إتلافها.

لست بحاجة إليّ.

أنت تستحقين الأفضل.

أغلقت البريد الإلكتروني بسرعة وانتقلت إلى قائمة الدردشة.

لم تكن هناك نقطة خضراء. لقد اختفى اسمه تمامًا.

ماذا.

كتبت له رسالة في عجالة وأرسلتها.

لكنّ الرد الفوري لم يكن ما أتوقعه.

ليس لدى هذا المستخدم حساب فريميل. حاول مرة أخرى.

ماذا.

شعرت بصدري ينهار. لا يمكنه فعل هذا. *لا يمكنه فعل هذا.*

كما أنّه لا سبيل أمامي للعثور عليه.

وكحمقاء، حاولت إرسال رسالة مرة أخرى.

وكحمقاء، توقعت ردًا مختلفًا.

ليس لدى هذا المستخدم حساب فريميل. حاول مرة أخرى.

«جولييت؟ هل أنت بخير؟»

كان السيد جيراردي يحدّق إليّ. وكانت حقيبة أمّي القماشية مع الكاميرا بداخلها مكدّسة بجانبي، لكنّني كنت أحدق إلى هاتفي محاولةً أن أتذكر كيف أجعل قلبي ينبض.

«نعم»، سعلت. «نعم. أنا..». اختنقت وابتلعت ريقي لأجبر كلماتي على الخروج. «لا أعرف ما خطبي».

كانت المفاتيح تجلجل في يده، ومدّ يده ليفتح بابه.

«هل تريدين الدخول؟ هل جئت للعمل على صور الكتاب السنوي؟»

«لا.. أنا.. لا». كنت بحاجة إلى استجماع نفسي. فدسست الهاتف في جيبي، وقلت: «أردت أن أرى إن كان بإمكاني استخدام غرفة التحميض». فنظر إلى الساعة وتجهّم وجهه، وقال: «لدي طالب قادم لإجراء اختبار في غضون عشر دقائق».

«أعرف كيفية القيام بذلك بمفردي».

تنهد وردّ: «أعلم.. لكن لا يُسمح لي بترك الطلاب بمفردهم مع المحاليل الكيميائية». ثمّ نظر إلى الحقيبة القماشية، وقال:

«هل تريدين ترك الفيلم معي؟ يمكنني وضعه في المادة المُظهِّرة، ويمكنك العودة لاحقًا لطباعة الصور».

عدت خطوة للوراء كما لو أنّه كان على وشك انتزاع الحقيبة منّي.

«لا، أحتاج إلى أن أفعل هذا بنفسي».

«حسنًا». قال بعد تردّد وقد لانت تعابيره.

«هل هذه كاميرا والدتك؟»

«نعم».

«هل تريدين ترك الحقيبة هنا؟ يمكنني وضعها مع أجهزتي والإغلاق عليها».

ضممتها إلى جسدي. لقد كانت معي طوال الصباح، ولم أكن قد اكتفيت بعد من رائحة القماش وغسول اليد بداخلها. كان الأمر أشبه بحمل قطعة من والدتي.

هززت رأسي، وقلت بصوت أجش: «لا، شكرًا. سأعود وقت الغداء، ربّما؟»

جفل، وقال: «هناك اجتماع لأعضاء هيئة التدريس. سأكون حرًّا بعد الجرس الأخير. هل تريدين القيام بذلك بعده؟»

هذا يعني اليوم بطوله. لا بدّ لي من أن أنتظر اليوم بطوله. ولم أكن مستعدة لذلك.

راح عقلي اللاواعي يهمس لي بأنني قد انتظرت طيلة أربعة أشهر؛ وينبغي لستِّ ساعات أخرى ألا تحدث فرقًا. تمايل رأسي صعودًا وهبوطًا.

أشعل السيد جيراردي الأضواء وقال: «لكن ادخلي لدقيقة. لقد قمت بإخراج بضع نسخ من تلك اللقطة التي نريد استخدامها للغلاف. وأردت أن أريك إيّاها».

كانت الصورة مطبوعة على ورق لامع بقياس قانوني. وقد قام بقصّ الصورة الأصلية من الارتفاع ما يسمح بلفّها حول الكتاب السنوي جيّدًا، ولكن من خلال هذا يمكنني القول أنّه لم يُحدث أيّ تعديل آخر عليها.

ثمّ قال: «أعلم أنّك قد ترغبين في إجراء بعض اللمسات وتجميل السماء قليلاً، ولكن بصراحة لا أعتقد أنّها بحاجة إلى الكثير. أنا فقط بحاجة إلى نموذج بالحجم العادي حتى نتمكن من الحصول على موافقة نائب المدير».

حدّقت في الصورة. لقد كان محقًّا، لم تكن في حاجة إلى الكثير من التعديل. فقد كانت السماء بلون أزرق زاهٍ مع غيوم متفرقة. وكان شعاع الشمس ينبعث من اليسار. وقد ظهر ديكلان وريف بتفاصيل كافية لرؤية التعابير المرتسمة على وجهيهما، على الرغم من أنّ ألوان ثيابهما قد بدت داكنةً أكثر بسبب الضوء المنبعث خلفهما. وعلى الطرف الآخر، تُظهر المشجعات تباينًا ساطعًا باللونين الأحمر والأبيض، فيما كان شعورهن والتنانير تتوهج بشكل ملحوظ. لقد كانت صورة رائعة.

أردت أن أشعر بالفخر، لكن بالمقارنة مع الصور المروعة التي تفحصتها الليلة الماضية مع روان وبراندون بدت هذه الصورة بلا قيمة.

راحت عينا السيد جيراردي تتفقدان وجهي، وقال: «ما الخطب؟»

«لا شيء». أعدتها إليه.

«يمكنك الاحتفاظ بهذه. لقد استخرجت أكثر من نسخة».

«أوه. حسنًا». لم أكن أعرف إن كنت أريد ذلك، لكنني قمت بلف الصورة في شكل أنبوب ووضعتها في الجيب الجانبي لحقيبة الظهر. كنت أشعر بأنّني غير متوازنة تمامًا اليوم، كأنّني في انتظار رؤية ما سيحدث حين يتوقف العالم عن الدوران بشكل سريع.

طرقت يدٌ على إطار الباب، وكانت تقف هناك فتاة لا أعرفها. لا بدّ أنّها الطالبة التي يتوقعها. فخرجت من الحجرة.

وبمجرد أن وطأت قدماي الردهة، أخرجت الهاتف من جيبي مرّة أخرى. لا يزال اسم الظلام مفقودًا، وأعيدت إليّ رسالة أخرى غير مقروءة. لماذا يفعل هذا؟ ما الذي حدث؟ ما الذي تغير؟

عدت وقرأت محادثاتنا المُخزّنة.

قرأتها مرة ثانية.

حينها أدركت أنّه لم يكن يجيب قط على سؤالي بشكل مباشر.

أحتاج إلى أن أجد ديكلان مورفي.

***

لم تكن لدينا فصول دراسية مشتركة، لذا لم أعثر عليه حتّى فترة الغداء.

كان جالسًا في الجزء الخلفي من الكافتيريا على الطاولة ذاتها التي وجدته عندها بالأمس، وكان لدى ريف من العلب البلاستيكية ما يكاد يشبه التي كانت معه بالأمس.

بعد ما حدث البارحة، اختفت جولييت الوقحة، ورحت أحوم بجوار طاولتهما مثل مُعجبة متوترة.

لمح ريف طريقي أولًا. وكان يرتدي اليوم قميصًا بلون الصدأ داكنًا جدًّا بقلنسوة أوسع، تلقي بظلّها على وجهه.

قال: «مرحبًا».

بالكاد ألقى ديكلان نظرة إليّ، ثمّ غرز شوكته في قطعة من الخيار وقال: «هل تريدين أن تصرخي في وجهي أكثر؟»

ابتلعت ريقي، إذ لم أكن أتوقع هذا النوع من ردود الفعل. ولا أدري لماذا لم أتوقعه، فقد كان على حق. لقد جُنّ جنوني أمس. ولسبب ما اعتقدت أنّني سأتجه نحوه فيقول: «أوه. مرحبًا. لقد عرفتِ أنّه أنا. آسف، لقد حذفت حساب بريدي الإلكتروني السري».

لكن بدلًا من ذلك، عضَّ قطعة الخيار وحدّق إلى وجهي. «حتّى الآن قمنا بتغطية السُكْر والقتل. هل من تهم أخرى ترغبين في إلصاقها بي؟»

نظر ريف شزرًا إليه دون أن يقول أيّ شيء. ولم أستطع أن أعرف إن كانا لا يزالان متخاصمين، أم أنّ الجو كان متوترًا فقط بمجيئي.

كان حزام حقيبة أمي سميكًا ورطبًا تحت أصابعي المتعرّقة.

«لم أصفك بالقاتل».

«لكنّ ذلك كان قريبًا بما فيه الكفاية».

لم تسر الأمور كما توقعت. «هل يمكنك التوقف عن كونك وغدًا وتتحدث معي؟»

«لماذا؟» نهض عن الطاولة واقترب مني. «ما الذي تريدين التحدث عنه، جولييت؟»

بدا مفترسًا جدًا. وقد أُغلق على لحظات الهشاشة التي لمحتها في السابق، حتى لم يعد ممكنًا العثور عليها في أي مكان. كان هذا هو ديكلان مورفي الذي يراه الجميع.

«ماذا تريدين؟» قال.

أريد أن أعرف إن كنت أنت الظلام.

لكنّني كنت عاجزة عن قول هذا. لا أريد أن أعرف، ليس الآن. كما أنني لا أستطيع أن أكشف نفسي أمام ديكلان هذا لا سيما إذا كنت مخطئة.

قلت بهدوء: «أنا آسفة».

فمال نحوي، وكانت تعابيره متشكّكة: «ماذا؟»

«قلت أنا آسفة»، ورحت أتأمله. كانت عيناه داكنتين، كما لو أنّه لم يحظَ بقسط وافر من النوم الليلة الماضية، وكانت بشرته خشنة مع زغب. بدا كأنّه لم يكلّف نفسه عناء العثور على شفرة حلاقة هذا الصباح. وأراد جزء صغير مني أن يلمسه، وأن أضع يدي -أو خدي- على خده وأشعر بدفئه. اقتربت أكثر، وقلت: «أنا آسفة لما قلته لك».

لم يهتز. «ماذا تريدين مني؟»

«ماذا؟»

«قلت ماذا تريدين مني؟ سيارتك تعمل. لست بحاجة إليّ. ما الذي تفعلينه هنا بالأساس؟ تتسكعين مع المنبوذين؟»

«ليس هذا ما أفعله».

«أعتقد أنّ هذا بالضبط ما تفعلينه».

جاء صوت ريف الهادئ من خلفه: «ديك، لا تصبّ جام غضبك عليها».

حدّق ديكلان في وجهي، وكانت أنفاسه متسارعة بعض الشيء. فحدقت فيه مرة أخرى. وعلى الرغم من كل الغضب والعدوان، اتقدت شرارة بيننا. ومرة أخرى، وددت بشدة أن يكون هو الظلام -لكن في الوقت ذاته- كانت الفكرة ترعبني. وكانت يدي تتوق إلى لمس يده، كما لو أنّ الجلد على الجلد سيحل اللغز بطريقة ما.

قلت بهدوء: «خذ، لقد أحضرت لك شيئًا».

طرفت عيناه. فقد فاجأه هذا.

أخرجت الصورة الملفوفة من حقيبتي ومددتها إليه.

فتحها وامتدت السماء الزرقاء على الورق بيننا. ظلّ ديكلان شديد السكون وعيناه مثبتتان على الصورة.

وبعد دقيقة لفّها، وأعادها إليّ، وقال: «إذا أرادها ريف على الغلاف، فلا بأس بذلك».

«هل *تريدها* هناك؟»

«لقد فرغت من الغداء». ثمّ أخذ حقيبته وابتعد.

لحقت به. «توقف أرجوك. من فضلك تحدّث معي. أنا بحاجة.. أنا بحاجة..». انكسر صوتي، وامتلأت عيناي بالدموع، ولم أكن مستعدة لكل هذه المشاعر.

أنا بحاجة إليك.

لكن لا يمكنني قول ذلك. لست متأكدة تمامًا من أنّه هو الذي أحتاج إليه أو إن كان شخصًا آخر.

لـم يكـن بـلا قلـب تمامًـا. فقـد توقـف والتفـت ونظـر إلـيّ. ولأوّل مـرة اليـوم، كانـت عينـاه مليئتيـن بالمشـاعر. أتذكـر نفـس التعبيـر علـى وجهـه عندمـا كان يمسـك كيـس الملاكمـة الثقيـل. *أنـتِ قويـة تمامًـا كمـا اعتقـدت.*

سـأهب أيّ شيء مقابل أن يلمسني الآن. لكنه لم يفعل.

«أنـا آسـف أيضًـا»، همـس ثـم التفـت وخـرج مـن الكافيتريـا، وتركنـي وحـدي وسـط حشـد مـن الطـلاب.

الفصل التاسع والثلاثون

صندوق البريد الوارد: فتاة المقبرة

لا توجد رسائل جديدة.

في كل مرة أقول لنفسي إنّني لن أتحقق من هاتفي مرة أخرى، أفعل ذلك على أي حال. وقد سبّب لي عدم القدرة على مراسلته عبر البريد الإلكتروني ألمًا جسديًا. صحيح أنّني حزنت على موت والدتي، ولكن هذا كان نوعًا مختلفًا من الفقد. إنّه رحيل متعمّد. لقد أعدت قراءة رسالته الأخيرة حتى حفظتها عن ظهر قلب.

لستِ بحاجة إليّ.

أنا بحاجة إليه حقًا.

كنت بحاجة إليه اللحظة، وأنا أسكب المحاليل الكيميائية في وعاء واقٍ من الضوء، وأنقع فيلم كاميرا والدتي داخله. لقد مضى وقت طويل منذ آخر مرة قمت بهذا، وكان السيد جيراردي يحوم حولي. كان علينا أن نباشر العملية في ظلام دامس، ونلف الفيلم على بكرة معدنية. ولكن بمجرد أن نقعنا الفيلم في الوعاء، أعاد تشغيل الأنوار وصبّ المادة المُظهّرة فيه.

كان قلبي ينبض بسرعة كبيرة حتّى أنّ صدري آلمني. سألني السيد جيراردي: «هل تعرفين ماذا يوجد في الفيلم؟»

هـززت رأسـي بسـرعة. لـم أخبـره بنظريـة براندون حـول الحـادث لأنّنـي كنـت خائفـة مـن أن يوقـف العمليـة ويتصـل بوالـدي.

تنحنحـت ووجـدت صعوبـة فـي التحـدث مـع دقـات قلبـي المتسـارعة. «قـد تكـون صـور جرافيكيـة».

ارتفـع حاجبـا السـيد جيـراردي، وتوقفـت يـده عـن خلـط وعـاء التحميـض، وقـال: «صـور جرافيكيـة؟»

احمـرّ وجهـي خجـلاً وأطلقـت ضحكـة عصبيـة مختنقـة، وقلـت: «ليـس الأمـر كمـا تعتقـد. إنّهـا صـور مـن منطقـة الحـرب».

«أوه». وأومأ برأسه واستمر في صب المحاليل الكيميائية.

«لكن يمكـن أن تكـون أيّ شـيء آخـر. فقـد كان التصويـر بكاميـرا الفيلـم هوايتهـا».

«أذكر ذلك».

بالطبـع يذكـر. فقـد اعتـدت قضـاء أغلـب وقتـي فـي فصـل السـيد جيـراردي أكثـر مـن أي مـكان آخـر فـي المدرسـة.

أبقـى عينيـه علـى المحاليـل الكيميائيـة بينمـا كان يقيسـها. «مـا حملـك علـى هـذا؟»

«لا أعلم».

كان هادئًـا ولـم يكـن ينظـر إلـيّ. فشـعرت بـأنّ كلماتـي ظلّـت تطفـو هنـاك فـي الصمـت لفتـرة حتـى بـدأ الشـعور بالذنـب يخزنـي. كنـت أعلـم، وكان يعلـم أنّنـي أعلـم، لكنّـه كان ينتظـر الاعتـراف منّـي.

ثـمّ قلـت بهدوء: «لقـد جـاء براندون الليلـة الماضيـة. وكانـت لديـه نظريـة مفادهـا أنّهـا ربمـا تكـون قـد التقطـت صـورة للسـيارة التـي اصطدمـت بهـا. ففحصنـا بطاقـات الذاكـرة الخاصـة بهـا، لكـن..»

«لا شـيء فيها؟»

أومأت. «مجرد صور من مهمتها الأخيرة».

اعتدل ونظر إليّ. «أتمنى لو قلت لي هذا في الصباح. لم أدرك..»

«لا.. حسنًا». هززت كتفي ورحت أعبث بالكاميرا الفارغة، وأنا جالسة فوق حقيبة قماشها. كان غطاء العدسة مهترئًا عند بعض الأطراف جرّاء ضغط أصابعها عند خلعه وإزالته. وأردفت: «إنّه احتمال بعيد».

«صحيح. ولكن في كلتا الحالتين، قد يكون من الجيد رؤية ما كان آخر شيء التقطته».

«ربّما». وابتلعت ريقي.

توقّف المؤقت، فسكبت المادة المظهّرة، بينما كان يقف بجانبي على استعداد لصب سائل التحميض في الوعاء. لم أقم بهذا منذ مدة، لكنّ الأمر كان أشبه بركوب الدراجة. كنت أسكب وهو يسكب إلى أن فرقع الغطاء، فقلب الوعاء وانتظرنا مرة أخرى.

ثمّ سألني بهدوء: «هل فكرت أكثر في العودة إلى صف التصوير الفوتوغرافي؟»

هززت كتفي وبدأت في صف الصواني.

«كيف كان شعورك عند تصوير مهرجان الخريف؟»

في ذلك الوقت، بدا الأمر كأنّني أتعرّض للتعذيب. لكن هذا الصباح، في أثناء تمعن صورة ديكلان وريف والمشجعات، تذكرت كم أحب التصوير. أحبّ تلك الفرصة لالتقاط لحظة من الزمن وحفظها للأبد. وحتى ولو لم يلتقِ من في تلك الصورة بعضهم ببعض بعد المدرسة الثانوية، فإنّ لحظة الصداقة والانفصال تلك قد خُلدت بالفعل.

«شعرت.. أنّني بخير».

انتظر منّي أن أواصل، لكنّني لم أقل أيّ شيء آخر. فرمقني بنظرة المعلم.

«و..؟»

«و.. لا أدري».

«هل تفتقدين التصوير؟»

«في بعض الأحيان».

أومأ، ثمّ تفحصني وقال: «هل ما يجعل التصوير أمرًا مؤلمًا، هو أنّه أمر كنتِ تتشاركينه معها؟»

«لا، المؤلم في الأمر أن أعرف أنّني لن أكون قادرة على فعل ما كانت تفعله. فهذا يجعل كلّ شيء يبدو بلا جدوى». وتجمّدت وأنا أضع يديّ على إحدى الصواني. لقد كان هذا أكثر ممّا أردت قوله، وأكثر ممّا أعتقد أنّني اعترفت به لنفسي على الإطلاق.

توقف عن قياس المحاليل الكيميائية الخاصة بالصواني ورمقني.

«بلا جدوى؟»

احمرّ وجهي خجلاً لأنّ كلامي بدا كأنّني أهين مسيرته، ولا أدري كيف أشرح ذلك. «لقد كانت تحدث فرقًا في التصوير الفوتوغرافي. لا أستطيع فعل ذلك. لا أستطيع الذهاب إلى سوريا والسير عبر المباني التي تعرضت للقصف. فأنا بالكاد أستطيع القيادة عبر المدينة».

«جولييت، أنت في السابعة عشرة من العمر. لذا ليس هذا بالشيء الذي تخجلين منه. برأيي ليس من السهل العثور على أيّ

شخص لديه من الثبات الجسدي والعقلي ما يتيح له القيام بشيء من هذا القبيل. وبمجرد أنّك لا تستطيعين القيام بذلك الآن لا يعني أنّه لا يمكنك القيام به *على الإطلاق*».

حدقت إليه وأنا أعبث بأصابعي، ولا أدري ماذا أقول.

وضع الزجاجات والتفت إليّ بالكامل، ثمّ قال: «أخي رجل إطفاء، ولا يمكنني أن أتخيل كيف يستطيع الدخول إلى المباني المحترقة، لكنّه أخبرني بأنّه بدوره لا يستطيع أن يتخيّل كيف أستطيع أنا الوقوف أمام مراهقين طوال اليوم. وفقط لأن شخصًا ما لا يخاطر بحياته لا يعني أنّ عمله أيضًا.. بلا جدوى».

«لم أقصد ذلك بهذه الطريقة».

«أعلم أنّكِ لم تقصدي الإهانة، لكن فكري فيما يوحي به كلامك هنا. لنفترض أنّك قد تخلّيتِ عن التصوير، وهو حقك. لكن.. ماذا بعد؟ ما المهنة التي ستمتهنينها والتي من شأنها أن ترقى إلى مستوى هذه الرؤية التي لديك عن والدتك؟»

لا أدري. لم يحدث أن فكرت في ذلك من قبل. كان كلّ ما فكرت فيه هو كيف أنّني لا أستطيع أن أكون هي.

تابع السيد جيراردي الحديث: «زوجتي مصوّرة أيضًا. تلتقط صورًا للأطفال، وهذا كل ما في الأمر، مجرد أطفال. هل تعتقدين أنّ هذا العمل بلا جدوى؟»

ابتلعت ريقي وقلت: «لا». وتردّدت قبل أن أضيف: «لكنّ هذا العمل لا يغيّر حياة أيّ شخص».

«أنت تمزحين؟ هل سبق لك أن نظرتِ إلى صورة طفل؟ بصفتي أبًا أقول لك إنّ التقاط صورٍ لأطفالك هو هدية حقيقية، فالوقت يمر بسرعة».

أومض في ذهني حاسوب أمي وخلفية سطح المكتب التي أظهر فيها رضيعةً تحضن عنقها. فتوقفت أنفاسي.

قال السيد جيراردي بهدوء: «لا أريد أن أزعجك».

«لا، أنت لا تزعجني». لكنّه كان يفعل بعض الشيء.

ثمّ قال: «انتظري هنا». واختفى لأقل من دقيقة.

وحين عاد، كان يحمل هاتفه وفيه صورة لامرأة تضغط بشفتيها على جبين رضيع حديث الولادة. وكان هناك ضوء ينبعث من مكان ما، وشعر الطفل الضبابي يشعّ مثل الهالة.

قال: «لقد التقطت زوجتي هذه الصورة».

«إنّها جميلة».

قال بهدوء: «لقد مات الطفل بعد أقل من ساعتين. وكان أبواه قد وظّفا زوجتي لتوثيق الولادة، لكنّه ولد بعيب خطير في القلب».

«حسنًا». قلت، وأنا أشعر بضيق في حلقي. «حسنًا».

دسّ هاتفه في جيبه، وتابع: «هل سمعت من قبل عن «أناس من نيويورك»؟»

هززت رأسي نفيًا.

«لقد أطلق رجل يدعى براندون ستانتون موقعًا على شبكة الإنترنت، وكان يلتقط صورًا لأشخاص في مدينة نيويورك ويطرح عليهم سؤالاً، ثمّ ينشر صورهم مع ما قالوه. وبطريقة ما كان الناس يخبرونه بأحلك أسرارهم وأكثر ذكرياتهم إيلامًا ويسمحون له بنشرها على الإنترنت. لقد شاهد ملايين الأشخاص صوره.. *الملايين*، يا جولييت. وقد تأثر الملايين من الناس بصوره وكان ذلك كلّه لأن شخصًا واحدًا بدأ يتجول في نيويورك ويلتقط صورًا للغرباء».

همست: «لكنّني لست كذلك».

«ربّما ليس بعد. لكنك ستعثرين على طريقتك الخاصة لإحداث تأثير».

رنّ المؤقت، فاستدار ليضغط على مفتاح الإنارة. انطفأت الأضواء العلوية وحلّت محلها الأضواء الحمراء. ثمّ أخرج الفيلم وشرع في فكه. «هل تريدين البدء من النهاية؟ ربّما بإمكانك العمل على الصور الخمس الأخيرة؟»

راح قلبي يقفز مرة أخرى غير قادر على الاستقرار بعد كل ما قاله. «اممم. بالتأكيد».

قطع الفيلم ورفع الشريط لكن من المستحيل معرفة ماذا يوجد فيه الآن. كان علينا وضع الشريط في المكبر وتلميعه على الورق، ثمّ ندع الورق يطفو في مواد كيميائية لإخراج الصور.

قال بهدوء: «قد أكون مخطئًا، لكنّني لا أعتقد أنّ هذه الصور تشمل سيارة ما. يبدو كأنّه شخص».

بدأ عقلي يقفز *بالاحتمالات*. ربّما هو الشخص الذي صدمها! ربّما التقطت صورته! لكن الواقع كان ثقيلًا، وراح يدوس على هذه الأفكار، فتنهدت.

نظر إليّ، وسأل: «هل تريدين التوقف؟»

«لا، ليس بعد أن وصلنا إلى هذا الحد».

وبمجرد أن أسقطنا الصور، وضعنا الورق الخاص في الحمامات التي أعددتها. وراح قلبي يتعثر، فيما كنت أذكر نفسي بالتنفس.

قال السيد جيراردي: «كما تعلمين، هناك بعض الأشخاص الذين قد لا يعتقدون أنّ وظيفة والدتك هي بتلك الشجاعة على الإطلاق».

نظرت إليه بعين غاضبة، وقلت: «مثل من؟»

«مثل الجنود الذين يخوضون الحروب».

أوه. استخدمت ملقطًا للتأكد من غمر الورق بالكامل.

بدأت الصورة بالظهور. أعلم أنّني لا أستطيع التسرع في الأمر، لكنّني أرغب بشدّة في ذلك.

ثمّ أَضاف: «لا أقصد بهذا التقليل من عمل والدتك على الإطلاق. فعملها مذهل ومهم».

نعم، هو كذلك. ولا توجد طريقة سهلة لمقارنة والدتي بأي شخص. إنّ الأمر أشبه بالاختلاف بين أمي وأبي كالفرق بين التصوير الفوتوغرافي الملون والتصوير بالأبيض والأسود، بين قوس قزح النابض بالحياة وظلال اللون البيج الباهتة.

وهذا ما يجعل الأمر صعبًا جدًّا.

بدأت الخطوط تظهر على الورق، ولم أستطع التوصل بعد لشيء واضح.

شعرت بضيق في حلقي. لقد كانت هذه آخر صور التقطتها وربّما بعضًا من لحظاتها الأخيرة. كانت هذه فرصة للرؤية من خلال عينيها.

نظرت إلى السيد جيراردي، وقلت: «هل يمكنني.. يمكنني إنهاء تحميضها بمفردي؟» تردّد قليلًا، ونظر إلى الأحواض مرة أخرى. لم يكن من المسموح تركي بمفردي مع المواد الكيميائية، لكنّني كنت ذات يوم طالبة مميزة تحظى بامتيازات خاصة. وتذكرت كيف سمح لي باستخدام كاميرا لايكا الثمينة خاصته. ربما لا أزال كذلك.

«من فضلك؟» همست.

تنّهد، وقال: «حسنًا، سأذهب إلى قاعة المدرسين وأحصل على فنجان من القهوة». ثمّ تردد، قبل أن يضيف: «هل أنتِ متأكدة من أنّك ترغبين في أن تكوني بمفردك؟»

أومأت واسترقت نظرة. لقد أصبحت الصورة أكثر وضوحًا. شعر جامح، وانحناءة ذراع.

انزلق السيد جيراردي عبر الباب ونقر المزلاج. وصرت وحدي وسط الصمت السائد من حولي.

اعتلى الضباب عيني، فطرفت لتتضح لي الرؤية. لقد انتهت الصورة.

طرفت مجدّدًا. كانت والدتي تبتسم في الصورة وعيناها لامعتان وشعرها مليء بالفوضى والتشابك.

كانت عارية في السرير، بلا خجل.

فتوقفت عن التنفس.

انتهى تحميض الصينية التالية. وصورة أخرى لوالدتي لا تزال فيها عارية.

كانت تضحك في هذه الصورة، وتحاول الوصول إلى الكاميرا.

الصينية التالية: تشابك أذرع وعنق غير واضح مع بعض الشعر الداكن وحافة فك.

سالت دمعة باردة على خديّ.

الصينية التالية. كانت أمي تضحك وتصارع وذراع ذات عضلات حول عنقها تحاول سحبها إلى الصورة. كانت صورة سيلفي قديمة الطراز التقطت بالكاميرا بدلاً من الهاتف. وكان

الوجه الآخر مقطوعًا، لكنّ عينيّ ظلّتا عالقتين على تلك الذراع ذات العضلات.

لم تكن ذراع والدي.

الصينية التالية. هذه السيلفي تجمعهما معًا. التقطتُ الصورة بيدي متجاهلةً المحاليل الكيميائية التي تقطر أسفل ساعديْ.

إنّه إيّان مدير تحرير أمي يُمسكها بين ذراعيه.

فكرت في والدي الذي ظلّ يعيش في ضياع لأشهرٍ خلت.

لقد كانت تخونه. *لقد كانت تخون.*

التقطت كاميرتها وقذفتها على الباب بأقصى ما أوتيت من قوة. فانفجر الزجاج والبلاستيك، وتناثرا على الأرض.

كيف أمكنها فعل ذلك؟ كانت حقيبتها مفتوحة قبالتي، واختلطت رائحة الغسول برائحة المحاليل الكيميائية. كيف أمكنها أن تفعل هذا به؟

أمسكت الغسول وقذفته باتجاه الكاميرا، وأنا أنتحب. أنا أكرهها. أنا أكرهها.

أخذت مناديلها، وضغطت العلبة على عيني ثم قذفتها. *أنا أكرهها.*

سحبت بطاقة الصعود إلى الطائرة، وأردت تمزيقها إلى قطع صغيرة، وتجعيدها. ضغطتُ زواياها المطوية على جلدي. ووددت لو أنّها تسلخ كلّ جلدي عسى أن يخفّف هذا من الألم الذي أشعر به.

لقد كانت تخون.

شعرت أنّها كانت تخونني أنا أيضًا. كان من المفترض أن يكون حبها لنا وليس لشخصٍ آخر.

«كيف أمكنها فعل ذلك؟» همست.

ثمّ وقفت هناك ورحت أنتحب بين يدي. سيجدني السيد جيراردي على هذه الحال، أقف منتحبة وبين يدي بطاقة صعودها إلى الطائرة.

كانت الفكرة وحدها كفيلة بإعادتي إلى الحاضر، حيث كانت شظايا الزجاج والبلاستيك المتناثرة على الأرض تتلألأ في الأضواء الحمراء، والمحاليل الكيميائية تملأ المكان. سينزعج السيد جيراردي جدًّا لهذا المنظر. رحت أبسط ورق البطاقة السميك المجعّد، كما لو كان ذلك سيعيد كل شيء بطريقة ما إلى ما كان عليه. أصبحت بطاقة الصعود مبلّلة بالكامل، لكن التاريخ كان مكتوبًا بأحرف ضخمة، في المنتصف تمامًا.

الأربعاء 22 مايو.

لحظة.

ومع ذلك، لا مجال للشك في هذا، فقد كتبت الحروف ببنط عريض.

الأربعاء 22 مايو

طرفت عدة مرات، كما لو كانت دموعي هي التي حوّلت بطريقة ما «السبت» إلى «الأربعاء» أو «25» إلى «22».

توقف تنفسي مرة أخرى.

بسطت بطاقة الصعود إلى الطائرة مرة أخرى وضغطتها على حافة الطاولة. لا بدّ أن يكون هناك خطأ ما. لا بدّ أن تكون بطاقة قديمة. لا بدّ أن تكون خاصة ببعض الرحلات المتصلة.

لم تكن قديمة. كانت هذه رحلتها إلى المنزل.

قبل ثلاثة أيام ممّا كنا ننتظرها. قبل ثلاثة أيام من وفاتها.

فجأة، تردد صدى صوت براندون تشو في رأسي.

طريق هاموندس فيري ليس في الطريق إلى المطار.

لقد عادت إلى الديار مبكرًا، تمامًا مثلما توسلت إليها أن تفعل.

عادت إلى المنزل قبل ثلاثة أيام.

لكن ليس لتكون معنا.

الفصل الأربعون

من: إيلين هيلارد -أستاذة الإنجليزية بثانوية هاميلتون
<EHillard@AACountyPublicSchools.org>
إلى: مورفي، ديكلان
<Declan.Murphy@AACountyStudentMail.org>
التاريخ: الأربعاء، 9 أكتوبر الساعة: 03:11:53 مساءً
الموضوع: إنفيكتوس

ديكلان:

لقد أتيحت لي الفرصة لقراءة مقالتك في الفصل بخصوص «إنفكتوس» وأودّ مناقشتها معك. هل لديك متسع من الوقت للمرور بصفي صباح الغد أمام قاعة الانتظار؟ سأكون في صفي بحلول الساعة 03:6 صباحًا.

بإخلاص

السيدة هيلارد

قرأت الرسالة بينما كنت أجز العشب، لأنّ فرانك كان سيستشيط غضبًا إذا ما رآني توقفت. ثمّ قرأتها مرة أخرى بعد يوم أمس أو ربّما لا. ولكن بعد أسابيع من تبادل الرسائل مع فتاة المقبرة، كانت هذه الرسالة نوعًا من العقار المهدئ. لكن لا شيء قد يجعل يومك *رائعًا* مثل اجتماع مع مدرّسة اللغة الإنجليزية عند السادسة والنصف صباحًا.

دسست الهاتف ثانيةً في جيبي وأدخلت يدي في قفاز. وللمرة الخامسة والعشرين اليوم تمنيت لو أعود إلى تلك اللحظة في الكافيتريا. تمنيت لو استطعت أن أخبر جولييت. تمنيّت لو استطعت أن أمسكها وأهمس لها بالحقيقة.

لكن بدلاً من ذلك، أنا عالق هنا مع جزازة العشب غير متأكد إن كانت ستتحدث معي مرة أخرى. وغير متأكد إن كنت سأنام في المنزل مرة أخرى.

قال ريف إنّ جيف وكريستين سيسمحان لي بالنوم هناك لبضع ليالٍ، لكنّهما يعتقدان أنّه ينبغي لي الجلوس مع أمي والآن لنتحدث جميعًا في الأمر.

وقد جعلتني هذه الفكرة أميل إلى تجنب منزل ريف بقدر منزلي تقريبًا.

لقد اعتذرت.. اعتذرت.. لكنّ والدتي لم تقل شيئًا.

لقد وضع هذا ملزمة حول صدري ترفض أن تنفك.

كانت السماء ملبّدة بالغيوم، ما أدى إلى تساقط رذاذٍ خفيفٍ على المقبرة، ولم يكن يزعجني أن يبتل قميصي. فالمطر يمنع الناس من المجيء إلى المقبرة، ما يجعل عملي أسهل. كانت الموسيقى تتدفق عبر سماعاتي، فتصم آذاني بشكل فعال مثل الجزازة.

وفجأة، لفت انتباهي ومضة من الحركة اندفعتْ على يميني، فرفعتُ نظري عن العشب الموحّد والجرانيت الرمادي. كانت هناك فتاة تجري عبر المقبرة.

إنّها جولييت.

أومض الذعر بداخلي. لا بدّ أنّها قد اكتشفت أمري، وهي قادمة لمواجهتي.

لكن لا. لقد انزلقت على العشب المبلل وارتمت على قبر والدتها. كانت في الطرف الآخر من المقبرة، لكن حتى من مكاني، كنت قادرًا على أن أرى وجهها الذي يعتريه العذاب والألم.

كانت تصرخ.

وتلكم شاهد القبر.

أدرت المفتاح وأطفأت الجزازة، ثم ركضت.

في الوقت الذي وصلت فيه إلى جولييت، كانت أصابعها تنزف وقد تورّمت. كانت الدموع تخط وجهها، وصوتها أجش. لم أستطع أن أفهم ما تقوله من خلال نحيبها، لكنّها بالكاد كانت تدرك أنّني هناك. ضربت بيدها القبر مرة أخرى.

أمسكتها من الخلف وصارعتها، حتى سحبتها نحوي.

«جولييت.. جولييت.. توقفي».

كان غضبها خالصًا جدًّا حتّى أنّني توقعت منها أن تكافح وتصارع لتهجم ثانية على شاهد القبر. لكن بدلاً من ذلك، انهارت بين ذراعي وراحت تبكي في صدري. وتشبثت يداها بقميصي كأنّه شريان الحياة.

قلت: «لا بأس عليك»، على الرغم من أنّه كان من الواضح أنّه ليس كذلك. ثمّ أمسكتها بقوة ورحت أهمس من خلال شعرها. ثمّ خلعت قفازات العمل بأسناني وربتت على ظهرها. «لا بأس».

شكّل المطر البارد ضبابًا عبر المقبرة، مُوفّرًا لنا وهم الخصوصية. وسادت رائحة العشب المقطوع في الهواء ممزوجة برائحة جولييت، من القرفة والفانيليا أو شيء ما دافئ.

وحين بدأت دموعها تهدأ، أحنيت رأسي إلى مستوى صدغها لأكلّمها، وقلت: «هل تريدين الجلوس؟»

استنشقت وهزت رأسها بشدة، وقالت: «ليس بالقرب منها».

«حسنًا، هنا إذن». وسحبتها بضع ياردات إلى الخلف أمام شاهد قبر قديم لم أر أي زائر له طوال فترة عملي هنا.

جلسنا واتكأنا على ظهر الشاهد.

ظلّت متشبثةً بي. حتى عندما جلسنا اتكأت عليّ ملقيةً بثقلٍ دافئ على جنبي. كان الرذاذ يتساقط عبر الغيوم لينعش وجهي ويختلط بدموعها.

«هل ترغبين في التحدث عن الأمر؟» قلت.

«لا». وضربت وجهها.

«حسنًا». نظرت إليها، وقد تجمع ما يكفي من المطر في شعرها ليملأه بقطرات من الضوء. وكانت الماسكارا تجري على طول خدها. وكان ثقلها عليّ أفضل شيء شعرت به في حياتي وأسوأ شيء كذلك.

مددت يدي ومررت إصبعي على طول خط الماسكارا هذا.

فتنهدت وأغلقت عينيها، وقالت: «ليتني لم أفعل ذلك». ثمّ انكسر صوتها وشرعت في البكاء مجدّدًا.

«ششش»، قلت وشفتي تلامس صدغها برفق. ووددت أن أضمها في هذه المقبرة إلى الأبد. «ما الذي تتمنين لو أنّك لم تفعليه؟»

اعتدلت قليلاً ودفعت الشعر المبلل بالمطر بعيدًا عن وجهها. كانت أصابعها ترتجف. وكانت كلها ترتجف. «لقد كانت والدتي مصورة فوتوغرافية، وقمت بتحميض فيلمها. وكان يحمل الصور

التي التقطتها قبل وفاتها، أتمنى لو أنّني لم أفعل ذلك».

هذا صحيح. لقد كانت ستفعل ذلك اليوم.

كانت ردة فعلي الغبية هي أن أواصل اللعبة بالطريقة ذاتها التي لعبتها بها من قبل، وأن أرسم على وجهي ملامح من لا علم له بكل تفاصيل حزنها من الطرف الآخر للمراسلات عبر البريد الإلكتروني.

لكن لا يمكنني فعل ذلك ليس ودموعها تبلل قميصي.

أبعدت خصلة من الشعر عن عينيها، وقلت: «ماذا وجدتِ؟»

انكمش وجهها، وضغطت به على كتفي.

توقعت نوبة بكاء، لكنها تنفست من خلال قميصي وراحت تتحدث عبره. كان صوتها خافتًا جدًا. «لقد كانت تخون».

«كانت ماذا؟»

«لقد كانت تخون.. تخون والدي.. لقد عادت إلى المنزل قبل ثلاثة أيام ممّا كنا نتوقعها».

أوه، أوه، يا إلهي.

«إذن الصور..»

«لم أكن أعرف ما الذي أتوقعه، أتعلم؟ اعتقدت أنّها ربما ستكون صورًا خاصة بالعمل، أو ربّما لبعض الأشخاص المثيرين للاهتمام الذين قابلتهم. فقد كانت تفعل ذلك في بعض الأحيان، حيث تلتقط صورًا لأشخاص لفتوا انتباهها، ليس لأنّها كانت تعتقد أنّهم يصلحون لصحيفة نيويورك تايمز، ولكن لأنّها رأت أنّهم يستحقون أن تُلتقط لهم صور على الفيلم».

«لكن الصور التي أخرجتها لم تكن كذلك».

«لا». ثـم أطلقـت زفـرة أقـرب للتنهيـدة، وأردفـت: «لقـد كانـت صـورًا لهـا فـي السـرير مـع مديـر التحريـر الخـاص بهـا».

ارتفـع حاجبـاي ولامسـا منبـت شـعري حرفيًـا. «فـي السـرير؟ تقصديـن..»

«في السرير.. عارية.. لا مجال للشك».

«عارية؟»

«نعم، عارية».

«يا إلهي».

«أنـا أكرههـا». سـقطت الكلمـات مـن فمهـا كالخناجـر. شـدّت جذعهـا المسـتند علـيّ الآن، ونمـا بداخلهـا الغضـب ليحـل محـل البـؤس.

«حمّضتِ الصور في المدرسة؟»

أومأت برأسها بشدّة.

«هل كان معك مدرّس في أثناء ذلك؟»

«لا، فقـد ذهـب لاحتسـاء بعـض القهـوة حتّـى أتمكـن مـن تحميضهـا بمفردي».

«أراهن أنّه كان سيتغوط في سرواله».

قهقهـت فـي دهشـة، وكان صوتًـا جميـلًا، وكنـت لأهـب أيّ شـيء لأجعلهـا تضحـك مـرة أخـرى لا سـيما اللحظـة.

ثـمّ قالـت: «ربّمـا». واعتدلـت لتنظـر إلـيّ وقـد هـدأت تعابيرهـا. كنّـا نجلـس وسـط الضبـاب نتنفـس رائحـة المطـر والعشـب المقطـوع.

أردت أن أمد يدي نحوها وأجذبها نحوي مرة أخرى.

لكنّنـي لـم أسـتطع. ولـم تكـن لـديّ أدنـى فكـرة عـن مقـدار مـا تعرفـه، وعـدم معرفتهـا تقتلنـي.

أخبِرها.. أخبِرها.. أخبِرها..

وقبل أن أتمكن من ذلك، ابتعدت واستندت على شاهد القبر. وصار يفصل بيننا شبرٌ بدا كأنّه ميل.

«يا إلهي، لا أدري ما الذي سأقوله لوالدي».

«هل من الضروري إخباره؟»

«لا أدري». ثمّ استدارت لتنظر إليّ، وكان فمها يبعد عن فمي مقدار شبر. وقالت: «يبدو من غير العادل إخباره، لكن يبدو من غير العادل أيضًا رؤيته حزينًا على امرأة لا تستحق ذلك».

«لا شيء من هذا عادل يا جولييت». هززت رأسي وتذكّرت آلان. «لا شي منه».

«أعلم». كان صوتها عذبًا وعيناها مثقلتان بالاستسلام.

«أعلم أنّك تعلمين».

«لو كان والدك، هل ستخبره؟»

كانت لا تزال قريبة جدًا وكلماتها حميمية جدًا تمامًا كمراسلات فتاة المقبرة والظلام. وكان بإمكاني أن أغمض عيني وأنسى حياتنا الحقيقية وأظل أتحدث معها إلى الأبد.

قلت: «نعم».

أطلقت زفرة وأرسلت نظرتها بعيدًا، ثمّ قالت: «بالطبع ستفعل، فأنت لا تخشى إخبار أي شخص بأي شيء».

تيبّست غيرَ متأكّدٍ إن كانت هذه إهانة أم مجاملة.

غير متأكد إن كان ما قالته يحمل أيّ حقيقة على الإطلاق.

لقد نعتني ريف بالتصرف كضحية لأنّني لم أتصل بأحدٍ في مايو الماضي، في حين جلست في قسم الشرطة مذعورًا حين

قال الضابط أن لا أحد سيأتي إليّ حتى الغد. لكن يوجد الكثير من الرفض الذي ينبغي للمرء تحمله قبل أن يستسلم أخيرًا ويتوقف عن المحاولة.

أو ربّما أنّني أنا من اعتقد أنّ هذا بالضبط ما كان يقصده.

نظرت جولييت إليّ ومسحت خدّها، وقالت: «أنا آسفة لأنّني فقدت أعصابي».

نظرت إليها كأنّها مجنونة. «لا داعي للاعتذار من أجل ذلك».

«أعلم.. »، ترددت قليلًا، واستجمعت الشجاعة لتواصل: «أعلم أنّك لا ترغب في الحديث معي بعد الآن».

حدّقت في عينيها. هل كانت تحدّثني أم تحدث الظلام؟ والتبس الأمر عليّ تمامًا حتى لم أجد سبيلًا لمعرفة ذلك.

أخبرها.

قلت بهدوء: «أوه، جولييت». ومرّرت يدي عبر شعري. «هذا ليس كل ما في الأمر».

استدارت حتى جلست على ركبتيها، ونظرت إليّ عينًا لعين. «إذا ما هو؟»

قلت: «إنّنا نسلك مسارين مختلفين. وسيفضي بك مسارك إلى الخروج من هذه الفوضى. فيما يبدو مساري مصمّمًا على أن يخسف بي الأرض».

تيبّست جدًّا. وهبَّ نسيم عبر المقبرة فصل بيننا. وضاقت عيناها قليلاً، وراحت تتفحصني بعناية، ثمّ قالت: «كيف عرفت أنّني هنا؟»

«لم أعرف، لقد رأيتك». شعرت بالحرارة في وجنتي، وأشرت إلى الجزازة. «أنا أعمل هنا نوعًا ما».

«خدمة المجتمع». ولم يكن صوتها يحمل أيّ نوع من الأحكام. ثمّ التقت عيناي بعينيها ووددت لو امتدت هذه اللحظة إلى الأبد.

«أجل».

حينها رأينا رجلًا في منتصف العمر يركض عبر المقبرة، يكاد ينزلق على العشب، ويصيح: «جولييت! جولييت!»

انتصبت على قدميها. «أبي!»

وحتى من على بعد خمسين قدمًا كان بالإمكان رؤية الارتياح الذي اعترى وجهه. فصاح: «أوه، حمدًا لله، حمدًا لله».

قالت، وصوتها مثقلٌ بالدموع مرّة أخرى: «ما الخطب؟»

وصل إلى حيث كنّا وسحبها نحو ذراعيه، وقال: «لقد اتّصل مدرّسك وقال أنّك قد خلفت فوضى في الحجرة وهربت من هناك. لقد كنّا قلقين عليك جدًّا. وكدت أستدعي الشرطة».

ثمّ ضمّها بشدة، وكانت تبكي. «أنا آسفة، أبي. أنا آسفة».

قال: «لا بأس. لا عليك. أنت معي الآن. يمكننا العودة إلى المنزل».

تراجعتُ خطوة بعيدًا عنهما. كنت كمن يقف خارجًا، وينظر إلى الداخل. كانت عائلة حقيقية معروضة هنا أمامي. كنت متأكّدًا من أنّ والدها لن يأخذها إلى المنزل ويفتح صندوق جعة، أو يبدأ بإخبارها أنّه يعد الدقائق حتّى ينتهي بها الأمر خلف القضبان.

انحنيت وحملت القفازات من الأرض. سيأتي فرانك هنا في أيّ دقيقة ويبدأ الحديث عن أنّ الظلام سيحل علينا.

«انتظر!» ابتعدت جولييت عن والدها، ومرة أخرى راحت تلهث وهي تنظر إليّ. «ديكلان».

أبقيت نفسي على مسافة، بعد أن زال مفعول السحر. «جولييت».

لكنّها قلّصت المسافة، ثمّ قامت بما هو أفضل.

أمسكت بقميصي وسحبتني إلى الأمام. ولوهلة، انفجر عقلي لظنّي أنّنا سنحظى بلحظة سينمائية وستقبلني. ثمّ يكون الأمر بعد ذلك محرجًا جدًّا بسبب وجود والدها.

لكنّها لم تفعل، وجذبتني فقط لتهمس في أذني. كانت أنفاسها دافئة على خدي، وحلوة ومثالية.

قالت: «لقد كنّا مخطئيْن. إنّك تصنع مسارك الخاص».

ثمّ استدارت، وأمسكت بيد والدها، وتركتني هناك في وسط المقبرة.

***

كان الغسق قد غلّف الشوارع حين غادرت المقبرة أخيرًا، وبدا أنّ رذاذ المطر قد أبعد الناس عن الطرقات. كان قلبي عاجزًا عن إيجاد إيقاع ثابت في صدري، وبدلاً من ذلك بدا راضيًا عن التناوب بين قفزات خفيفة وعثرات ثَمِلة. كنت أقود متجهًا إلى منزل ريف، لكنّ الأدرينالين كان يتسابق تحت جلدي في دفعات قصيرة. وقد بدا كل شيء غير مترابطٍ، مجرّد فوضى متناثرة من المشاعر التي تستمر في الانجراف بعيدًا كلّما حاولت تجميعها ضمن نوع من النظام.

قالت *إنّك تصنع مسارك الخاص.*

ظللت أفكر في ذلك منذ أن غادرت مع والدها، وربطت الأمر بتعليق ريف عن دور الضحية، وقلّبته في رأسي. *لقد كنّا مخطئين.*

لمحت أمامي سيّارة مركونة على جانب الطريق، وكانت أضواؤها الوامضة تتوهج عبر الضباب. فعبرني مباشرة شعور ديجا فو فقد كان هذا هو المكان الذي ساعدت فيه جولييت.

ثمّ أدركت أنّني أعرف هذه السيارة أيضًا. إنّها سيّارة سيدان فضية تحاول أن تكون فاخرة لكنّها تفشل في ذلك فشلًا ذريعًا، تمامًا كالرجل الذي أراد سيّارة بي إم دبليو لكن كان بإمكانه فقط شراء سيّارة بويك.

أعرف هذا لأنّها كانت سيّارة آلان.

كان يقف بجانب السيارة ممسكًا هاتفه، وينظر تحت غطاء المحرك.

ولجزءٍ من الثانية، فكرت في دهسه.

حسنًا، ربّما لثانية كاملة.

كان البخار يتسرب من تحت الغطاء. رفع آلان بصره بينما كنت أقترب، وقد اعترى وجهه الترقب وبدا أنّه كان ينتظر شاحنة القطر.

ثمّ رأيته وهو يتعرف على سيارتي، ورأيته وهو ينتظر لمعرفة إن كنت سأتوقف.

ورأيت فيه هدف تصويبٍ كبيرٍ في سروال كاكي وقميص بأزرار.

لقد رشقني بكلماته هذا الصباح كما لو كان يطلق النار عليّ بمسدس خرز.

تذكّرت كيف وقفتُ على ذلك الدرج واعتذرت دون أن يقولا شيئًا.. دون أن *يفعلا شيئًا*.

وفجأة قبضت أصابعي على عجلة القيادة وواصلت السير.

ثمّ ومن العدم ارتسم سطر من تلك القصيدة الغبية في رأسي.

حمدًا لكل الآلهة على روحي التي لا تُقهر.

ضغطت على الفرامل واستدرت عند التقاطع التالي. ظل قلبي ينبض باستمرار بإيقاع متزامن، ولم أكن متأكدًا إن كنت سأساعد آلان أو كنت سألكم وجهه الغبي.

عندما أوقفت سيارتي وركنتها خلف سيارته، اتّقدت الدهشة في عينيه لكنّه أجاد إخمادها. كان هاتفه لا يزال على أذنه، وحين هممت بالخروج من سيارتي، أشار لي بيده بأن لا داعي لذلك.

قال: «أنا بخير. انطلق».

إنّه وغد حقيقي.

مع ذلك، سرت نحوه على أيّ حال. وكان البخار يواصل التفافه تحت غطاء المحرك. وهذا الأحمق لم يوقف السيّارة حتى. «هل تريد منّي أن ألقي نظرة إليها؟»

«أنا على الهاتف مع ورشة التصليح الآن».

«ماذا إذًا؟ هل ستبقى تحت المطر مدّة ساعتين؟ ارفع غطاء محرك السيارة، آلان».

وضع يده على السماعة، وقال: «اذهب إلى المنزل، ديكلان. أنا لست بحاجة إليك».

«صدقني، لقد فهمت هذه الرسالة». فتحت باب سيارته على أي حال وسحبت المقبض لفتح غطاء، ثمّ أدرت المفاتيح لإطفاء المحرك.

حين اعتدلت، كان آلان يقف أمامي. ولم يكن الهاتف في أذنه.

«ماذا تفعل؟» سألني.

قلت له: «أنا أسرق سيارتك. اتصل بالشرطة».

اشتدّ فكه وحدّق إلى وجهي إلّا أنني اجتزته ورفعت غطاء المحرك. تدفق البخار من المحرك وكان علينا أن نتراجع ونلوح بأيدينا لنبعده.

ثمّ وقف كلانا هناك، يحدق إلى المحرك.

لوهلة، تذكرت الوقوف على هذا النحو مع والدي، حين كان يسألني ليختبرني ويربّت على كتفي عندما تكون كل الإجابات صحيحة. ثمّ كان ينادي على أحد رفاقه في الورشة ويخبره أن يأتي للاستماع إلى «الطفل» وهو يسرد مكونات محرك ثندربيرد 1964. ما زلت أتذكر معنى شعور أن أكون جزءًا من شيء ما.

لا أتذكر آخر مرة شعرت فيها بهذه الطريقة.

تنحنح آلان: «هل ترى شيئًا؟»

«أجل. أرى خرطوم المبرد العلوي منتفخًا». وأشرت إلى المكان الذي انفتح فيه المطاط الأسود بوضوح.

«لذلك أنا بحاجة إلى شاحنة قطر على أي حال». قال بشيء من التعجرف.

قلت: «بالتأكيد. إذا كنت تريد أن تدفع للميكانيكي ثلاثمائة دولار. في حين أنّ كل ما تحتاج إليه هو عشرون دولارًا وورشة تصليح مفتوحة. يمكنني إصلاحه في عشر دقائق».

تفحصني، وتشنّج فكه. كان هذا *يقتله*.

وددت لو أقول أنّني أحببت أن أراه هكذا. لكنّ الأمر لم يكن كذلك. فقد كنت مرهقًا.

«هيّا، آلان. لقد قضيت الساعات الثلاث الأخيرة في العمل في المقبرة. هل ترغب في مساعدتي أم لا؟»

لم يردّ على الفور، ولكن تلاشت بعض المخاوف من تعابيره، فيما كان يقيمني.

هل كان يعتقد أنّني أخدعه بطريقة ما؟ لم أكن بحاجة إلى الوقوف هنا لأجل هذا. استدرت واتجهت نحو سيارتي. «حسنًا، أيًّا يكن. يمكنك أن تنتظر المؤسسة الأمريكية للسيارات».

انزلقت خلف عجلة سيّارتي وأدرت المفتاح، فاشتعلت مباشرة.

«انتظر!» ركض آلان باتجاه مسار مصابيح سيارتي الأمامية، ثم توقف عند باب المقعد الأمامي، وشدّ المقبض، لكنّه كان مقفلًا.

تنهّدت وملت لأفتح القفل. وبعد لحظة، كان يجلس على المقعد بجانبي، وكان كلانا غير مرتاح حتى بدت معجزةً أن أتمكن من الانطلاق بالسيارة. وبطريقة غريبة، ذكّرني هذا بالليلة التي جلست فيها جولييت بجانبي. ابتعد آلان عنّي لدرجة أنّه لو انعطفت بقوة كافية، سيتدحرج خارج السيارة.

طرفت عيناي نحوه، وقلت: «هل تعتقد أنّني سأطعنك أو شيء من هذا القبيل؟»

ضيّق عينيه، وقال: «هل تسخر مني؟»

«أجل».

تمتم ببعض الشتائم واعتدل في مقعده، ما جعله أقرب منّي بعُشر الإنش.

قُدنا في صمت تام لبضعة أميال.

ثمّ قطع الصمت وقال: «هل تعتقد حقًا أنّه يمكنك إصلاحها بهذه السهولة؟»

«أجل».

وساد الصمت مجدّدًا.

سعال. وتململ غير مريح في المقعد مرة أخرى. «هل تعرف أين توجد ورشة سيارات مفتوحة؟»

«لا، أنا الآن أبحث عن جرف. اربط حزامك».

اتقدت عيناه بالغضب، وقال: «راقب سلوكك»

قلت بصوت خافت: «شكرًا لك، ديكلان، أقدّر حقًا أن منحت وقتك لـ..»

«إن كنت تريد قول شيء، يا فتى، فقله».

«حسنًا». أدرت عجلة القيادة نحو اليمين وأوقفتها بعنف على جانب الطريق. اهتزت فرامل الطوارئ بقوة تحت قدمي، وفككت حزام المقعد.

لم يتحرك آلان، لكن كان بإمكاني أن أستشعر الخوف داخل السيارة، كما لو كنت قد جئت به إلى هنا ليكون لديّ مكان للتخلص من الجثة. لا أستحق معاملة كهذه، وربما كان ديكلان الأمس سينسلّ من السيارة ويعود إلى المنزل.

إنّك تصنع مسارك الخاص.

سيحتاج هذا المسار إلى جرّافة. لم أكن متأكدًا ممّا كان سيخرج من فمي، لكنني سحبت نفسًا لأتحدث.

«انتظـر». قـال آلان، وكان صوتـه هادئـًا حتـى كاد يكـون همسًـا. ثمّ رفـع يـده بيننـا، لكنّـه كان يحـدّق فـي الزجـاج الأمامـي. «انتظـر». قالها بنوع من التحدي. فانتظرت.

ثمّ أضاف: «أنت على حق. شكرًا جزيلًا لك».

وتوقف قلبي للحظة، ليتأكد من أنّني سمعته بشكل صحيح.

لـم يتوقـف عنـد هـذا الحـد. «أنـا مديـن لـك بالاعتـذار عمّـا قلتـه لـك هـذا الصبـاح أيضًـا». كان صوتـه خشـنًا لكنـه ثابـت. «لقـد تجـاوزت حـدّي».

لحسـن الحـظ أنّـي ركنـت السـيارة علـى جانـب الطريـق، وإلّا كنـت انحرفـت فـي حفـرة الآن. أبقيـت عينـي علـى عجلـة القيـادة. ولـم أكـن أعـرف إن كنـت أريـد هـذا الاعتـذار، لكـنّ سـماع هـذه الكلمـات بـدّد شـيئًا بداخلـي.

رفعـت بصـري أخيـرًا وقلـت: «أنـا لسـت والـدي. وأريـدك أن تتوقـف عـن معاملتـي كمـا لـو أنّنـي مثلـه».

أومأ ببطء وقال: «أعلم، أعلم أنّك لست كذلك».

ظلّ هادئـًا للحظـة تأمليـة، ثـمّ أردف: «لكنّـك.. بالتأكيـد لا تفـوت لحظـة لتذكرنـي بأنّنـي لسـت والـدك».

تجمّدت. «ما الذي تتحدث عنه؟»

نظـر إلـيّ، وقـال: «قـد لا أعـرف شـيئًا عـن سـيارات العضـلات، ولا أديـر ورشـة للسـيارات، ولا أشـرب المسـكرات القويّـة، ولا أدخـن السـجائر أو أيًـا مـن الأشـياء مفرطـة الذكـورة التـي كان يفعلهـا والـدك، ديـكلان، لكنّنـي لسـت رجـلًا سـيئًا. ولمجـرد أنّنـي أعـرف عـن لوائـح

التأمين أكثر من المازجات لا يعني أنّني فاشل مثير للشفقة. أنا أحب والدتك، وأعاملها بشكل جيد. وأكسب دخلًا محترمًا، وأبذل قصارى جهدي لتوفير قوت لكما. لكنّك لم تتحدث معي قط -ولا *مرة واحدة*- دون ازدراء».

فكّرت في مدخراتي التي نضبت سريعًا لتسديد نفقات دفاعي القانوني. فكرت في ليلة زفافهما، عندما تركاني في السجن. اشتد فكي وحدقت في الزجاج الأمامي، وقلت: «هذا يسير في كلا الاتجاهين».

«أعلم».

ظلّ كلانا هادئًا، حتّى بدأ همس المطر على سطح السيارة يملأ الفراغ بيننا بالضجيج الأبيض. كان الوقت قد تأخر، ولا بدّ من أن أقود عائدًا إلى المنزل، لكن كانت هذه هي المرة الأولى التي نتحدث فيها أنا وآلان مباشرة بعضنا إلى بعض. كان أمرًا مثيرًا للغضب، لكنّه مغرٍ أيضًا. لم أكن أرغب في أن أتوقف. كنت أريد أن أرى إلى أين سيقودنا الحديث.

لا، أردت أن أرى أين يمكنني أن أقوده أنا.

نظرت إليه، وقلت: «لماذا؟»

«هل تريد الجواب الصادق؟»

لا أدري. «نعم».

فرك فكه، وقال: «أنا أحب والدتك، لكنّها بطريقة ما سلبية جدًّا. لديها روح طيبة، لكنّها متساهلة كثيرًا. ومن السهل استغلالها. حين بدأنا المواعدة لأول مرة وعلمت بأمر والدك، ثمّ رأيت مقدار الحرية التي منحتها لك، بالنظر إلى سلوكك..

بنيت صورة في رأسي. وخِلتُ أنّني فهمت كل شيء. اعتقدت أنّك بحاجة إلى شخص ما ليضع لك حدود». ثمّ تردد قليلًا قبل أن يتابع بصوت حزين: «لم أكن أدرك أنّ والدتك ووالدك قد تركاك لتتعرف على حدودك الخاصة بمفردك، قبل مجيئي بوقت كثير».

كان صوته هادئًا ومتّزنًا. وبطريقة ما، لم أرغب في أن أثق به، لكنّ هذا بدا كأنّه الحقيقة. «لا أعرف ما الذي تقصده».

فردّ بصوت منخفض وثابت: «هذا يعني أنّك رفضت ركوب تلك السيارة مع والدك».

توقفت أنفاسي قبل أن أكون جاهزًا لهذا، لكنّني لن أبكي أمامه. وبدل ذلك، رحت أتحدث من خلال الدفء المتجمّع في صدري، لكنّ صوتي بالكاد تجاوز الهمس: «لقد كنتُ أنانيًا».

«يا فتى، هناك فرق كبير بين *الأنانية والحفاظ على الذات*».

ثمّ توقف، وأرسل نظراته بعيدًا: «حتى هذا الصباح، لم أكن على علم بدورك في قضية شرب والدك. لم تكن لدي أدنى فكرة».

احتجت إلى التنحنح، ومع ذلك خرج صوتي خشنًا: «هل علمت بأمر كيري».

«علمت أنّ أختك ماتت، وأنّ والدك كان المسؤول. ولم تكن لدي أيّ فكرة أنّهما كانا يتوقعان منك أنت أن تتستر عليه. ليس هكذا».

ثمّ توقف آلان، وكان في صوته حدّة: «كنت غاضبًا جدًا عندما أخبرتني بالأمر هذا الصباح».

تفحصته. أردت أن يكون هذا كذبًا. وقد كان كل نَفَسٍ يشعرني بأنّ حلقي ملتهب.

هزّ رأسه، وبدا لي بعد أن حدّقت إليه كمن قذفته الحياة إلى الحائط بضع مرات، أيضًا. ثمّ قال: «لا يمكنني حتى أن

أظل غاضبًا منها. لقد كانت آبي قلقة جدًّا بشأنك وبشأن هذا الطفل». ارتجفت أنفاسه قليلاً، قبل أن يواصل: «قلقة جدًا. وأعتقد أنّ هذا قد يكون السبب وراء دخولها المستشفى. فكل هذا التوتر بالإضافة إلى كل ما تأكله يجعلها عليلة».

جعلني الشعور بالغضب والعار أرغب في الانكماش على نفسي. شعرت كأنّني وحش مرة أخرى. ثمّ قلت بصوت مرتجف: «لا يمكنني أبدًا أن أوذيها. لا يمكنني أبدًا أن أوذي الطفل».

«تؤذي أمك؟» قال وقد بدا مذهولًا. «لم نشعر بالقلق من أنّك قد تؤذي والدتك أو الطفل».

«لكنك قلت..»

استدار ليواجهني بالكامل الآن وقال: «لقد كنّا قلقين عليك يا ديكلان. كنّا قلقين من أن تؤذي نفسك».

ضغطت بذراعي على بطني وأغمضت عينيّ.

ثمّ أضاف: «ألا تعرف ذلك؟ في كل مرة تخرج فيها من المنزل، تشعر أمّك بالرعب من أنك ستفعل ذلك مرة أخرى».

لا. لم أكن أعرف ذلك. لم تكن لديّ أدنى فكرة. فكرت في وجهها ليلة حفل العودة، وبالطريقة التي حدقت عيناها إلي وبنعومة أصابعها وهي تبعد الشعر عن وجهي.

قلت: «لكنّها لم تتحدث معي قط». وانقطع صوتي. «لم ترغب هذا الصباح في التحدث معي».

قال بهدوء: «إنّها تشعر بالذنب الشديد. كما أنّها خائفة جدًا من أن تتفوه بالكلام الخاطئ وتدفعك بعيدًا. إنّها خائفة من أن تفقدك أيضًا».

«أنـت لا تعـرف مـا تتحـدث عنـه». استنشـقت ومسـحت عينـيّ بكمـي.

ثـمّ وضـع يـده علـى كتفـي وقـال: «يـا فتـى، هـذا هـو كل مـا تتحـدث عنـه أمّـك حرفيًـا». فتيبسـت وظلّـت عينـاي معلقتيـن بعجلـة القيـادة، لكنّـه أبقـى يـده هنـاك.

«إذن لماذا لا تتحدث معي؟» سـألته.

تـردّد قليـلًا قبـل أن يـرد: «لا أدري. إنّهـا ليسـت مثاليـة. لا أحـد منّـا مثالـي. لا أعتقـد أنّهـا تعـرف كيفيـة إصـلاح الأمـر. وأنـا علـى يقيـن مـن أنّنـي لا أعـرف أيضًـا. لكـن قبـل خمـس عشـرة دقيقـة لـم أكـن أعتقـد أنّـه يمكننـا إجـراء محادثـة متحضّـرة، لذلـك ربّمـا يمكـن للأمـور أن تتغيـر».

أومـأت. ربّما.

قال بهدوء: «إذا سـألتك سؤالًا، فهل ستمنحني إجابة صادقة؟»

أومـأت، ولا يـزال صـدى كلماتـه السـابقة يتـردّد فـي رأسـي. *كنّـا قلقيـن عليـك يـا ديـكلان.* تضخمـت هـذه الكلمـات لتمـلأ كل زاويـة وركـن فـي عقلـي.

«هل تفكر في تكرار المحاولة؟»

كنـت سـعيدًا جـدًّا لأنّ الجـو معتـم فـي الخـارج، فقـد كنـت عاجـزًا عـن النظـر إلـى آلان الآن. وددت لـو أنّنـي لـم أعـده بإجابـة صادقـة. قلـت: «أحيانًـا. لا أحـب أبـدًا.. تلـك الليلـة. لكـن.. أحيانًـا أفكّـر فـي ذلـك».

أومـأ. «هـل فكـرت يومًـا أنّـك ترغـب فـي التحـدث إلـى شـخص مـا حـول هـذا الموضـوع؟»

«تقصد معالجًا مختصًا؟»

«بالتأكيد. أخبرت آبي أنّه يمكننا جميعًا الذهاب. أو هي فقط، أو أنتما الاثنان فقط، أو حتى أنت فقط، أو.. .»

«حسنًا». بدت الكلمة مريحةً عند التلفظ بها. كنت أشعر بالإرهاق. كنت منهكًا. وعلى الرغم من أنّني لم أكن متفائلًا بما يكفي لأعتقد أنّ هذه المحادثة هي بداية علاقة سحرية رائعة مع آلان، كنت مجنونًا بما يكفي لأعترف ببريق الأمل الذي اتّقد في مكان ما في صدري. كنت أفتقد والدتي، وأفتقد الشعور بأنّني جزء من شيء ما.

أومأت برأسي مرة أخرى. «سأذهب».

«هذا يسعدني». وضغط على كتفي قبل أن يتركها. «ستكون والدتك سعيدة حقًا».

نظرت إليه. «سأفعل أيّ شيء لجعلها سعيدة».

قال: «أنا أعلم».

«أنا أيضًا».

مكتبة
t.me/soramnqraa

الفصل الواحد والأربعون

من: ديكلان مورفي
<Declan.Murphy@AACountyStudentMail.org>
إلى: جولييت يونغ
<Juliet.Young@AACountyStudentMail.org>
التاريخ: الأربعاء، 9 أكتوبر   الساعة: 10:21:07 مساءً
الموضوع: صنع مسارات جديدة

اعتقدت أنّني سأقضي الليلة في منزل ريف. لقد خضت شجارًا كبيرًا مع آلان وأمي هذا الصباح، واعتقدت أنّ الأمر قد انتهى. لم يكن هناك أيّ مجال للرجوع عمّا قاله أيّ منّا. نسيان صنع مسارنا، كان لمحادثة هذا الصباح أثر كأثر قنبلة نووية.

ولكن سيارة آلان تعطلت الليلة، فساعدته وتحدّثنا. كانت هذه المرة الأولى التي نقوم فيها بذلك. كما لم يسبق أن فعلنا. وهو يرغب في الذهاب إلى معالج أسري وقد وافقت.

من الصعب أكثر الكتابة باسمي الحقيقي. لا يمكنك تخيّل ذلك. لقد أعدت تفعيل حساب الظلام، لكن الأمر مختلف الآن. سيكون ذلك أشبه بالاختباء. وقد كان كذلك بالفعل.

لذا، ها أنا ذا.

كان يجب أن أخبرك تلك الليلة على جانب الطريق السريع. كان يجب أن أخبرك ألف مرة منذ ذلك الحين.

آمل ألّا تعتقدي أنّني كنت أحاول خداعك.

لكنّ العكس هو الصحيح. فقد كنت أحاول خداع نفسي.

لم أكن مستعدًا للتخلي عمّا كان بيننا.

كان والدي نصف نائم على الأريكة، يشاهد أحد برامج إتش بي أو، وذهل عندما رآني أنزل الدرج إلى غرفة المعيشة. بحث عن جهاز التحكم عن بعد وأوقف تشغيل التلفزيون.

بادرني قائلًا: «اعتقدت أنّك قد آويت إلى فراشك».

«ليس بعد». كنت حينها مستلقية على السرير، أقرأ الرسالة من هاتفي، وأنا أخط بإصبعي فوق اسم ديكلان.

كان على حق. لقد كنّا نختبئ.

تثاءب أبي وفرك عينيه، ثم تفحصني، وقال: «هل أنتِ بخير؟ هل تريدين بعض الحليب الدافئ ليساعدك على النوم؟»

ابتسمت ابتسامةً متردّدة وقلت: «أنا لست في السادسة، يا أبي».

ابتسم لي مرة أخرى، لكن عينيه كانتا داكنتين ومتوترتين.

كان قلقًا عليّ.

لم يخبره السيد جيراردي بأمر الصور. وحين اتصل بوالدي، قال إنّني كنت أقوم بتحميض صور تعود لأمي، ورأيت شيئًا مزعجًا فأتلفتها.

تساءلت إن كان هذا يجعله جبانًا.

تساءلت إن كان عدم قول أيّ شيء يجعلني أنا أيضًا جبانة.

«هل تريدين أن تأتي وتجلسي معي؟»

كنت على وشك أن أرفض لأنّني لم أجلس معه منذ سنوات، لكنّه كان قد فتح ذراعه وربت على الوسادة بجانبه.

ثمّ قال ممازحًا بلطف: «تعالي، اجلسي مع رجلك العجوز حتّى تتمكني من إخبار أطفالك كيف كنت أعذّبك».

حين ارتميت على الأريكة، ألقى بذراعه على كتفي، وشدّني إليه بقوة. كان جسده دافئًا، وشعرت بالأمان والحب تحت ثقل ذراعه.

لقد أمضيت سنوات أعبد والدتي وحيويتها، وأفكر في والدي كظل باهت من اللون البيج، في حين كان هو هنا بجانبي طوال الوقت.

فيما كانت هي مع شخص آخر.

قال: «شش». فأدركت أنّني كنت أبكي.

ضغطت بأصابعي على عيني، فضمّني إليه أكثر وربّت على ذراعي.

ثمّ قال: «هل تريدين أن نتحدث عن الأمر؟»

«لا..» وانقطع صوتي، وكان لا بدّ لي من المحاولة مجدّدًا: «لا أريد أن أجرحك».

«تجرحينني؟»

قبّل جبيني، وأضاف: «لن تجرحيني. لا أريد أن أرى أي شيء يجرحك».

حدّقت إلى عينيه اللتين تشعّان بالحنان، واغرورقت عيناي، وقلت: «لقد عادت أمي إلى المدينة مبكرًا».

وراحت الدموع تتساقط ساخنة وثقيلة، وتوقف تنفسي.

ظلّ والدي ساكنًا، وقال: «ماذا؟ كيف عرفتي ذلك؟»

«بطاقة صعودها كانت في حقيبتها».

لم أستطع أن أنظر إليه. وبالكاد كان بإمكاني التنفس من خلال هذه الدموع. كان هذا سيدمره، لكن لم يكن بإمكاني تحمل هذا الثقل بمفردي. «لقد عادت إلى المنزل مبكرًا لتكون مع إيان».

«جولييت.. كيف..»

«لقد رأيتها، أفهمت؟» وانفجرت الكلمات مني حرفيًا. «لقد رأيت ذلك. كانت هناك صور لهما على الكاميرا الخاصة بها. في السرير. أنا آسفة أبي. أنا آسفة جدًا. من فضلك لا تكرهني».

«جولييت.. أوه، حبيبتي». وخرجت أنفاسه في تنهيدة طويلة، ثمّ سحبني مرة أخرى إلى كتفه، وراح يربّت بيده على شعري مجددًا. «جولييت، لا يمكنني أن أكرهك أبدًا».

قلت: «أنا غاضبة جدًا منها. كيف أمكنها ذلك؟ كيف أمكنها أن تفعل هذا بك؟»

فهمس: «شش. لا بأس».

«هذا ليس مقبولًا!» تراجعت ونظرت إليه. «أنا أكرهها. لقد أردتها أن تعود بشدة».

قطّب، وامتلأت عيناه أيضًا، وقال: «لا تكرهيها، جولييت. لا تكرهيها».

«هل أحبّتنا هي على الإطلاق؟»

«أنتِ؟» وانكسر صوته. «نعم بالتأكيد. لقد أحبّتك أكثر من أي شيء آخر».

أطلقت زفرة وقلت: «ليس أكثر من ثلاثة أيام مع إيان».

ضحك، لكن صوته كان مليئًا بالحزن. «نعم، أكثر من ذلك». ثمّ صمت، قبل أن يردف: «لقد أحبتك كثيرًا لدرجة أنها بقيت معي».

«ماذا؟»

هزَّ رأسه قليلًا، وتابع: «لقد كانت والدتك.. روحًا متحررةً نوعًا ما».

قلت بصوت أقرب إلى الهمس: «كنت تعلم».

«لم أكن على علم بالتفاصيل. ولم أرغب قط بمعرفة التفاصيل». ثمّ زفر، وكان هذا أول صوت غضب أسمعه منه. «الآن أعرف لماذا أراد تلك الكاميرا اللعينة بشدة. وإذا كنتُ غاضبًا من أي شيء، فهو أنّك اكتشفت الأمر بهذه الطريقة».

«لكن.. لكن..». ابتلعت ريقي، وراح رأسي يدور. «لكنّك كنت حزينًا جدًّا على موتها».

تغيّر تعبيره. «كنت حزينًا. وأنا حزين. وبغض النظر عمّا فعلته، فقد كانت زوجتي وكانت والدتك. لقد اعتدت على غيابها لفترات طويلة من الزمن، لكنّ ذاك كان نوعًا مختلفًا من الغياب. إن كان لهذا أيّ معنى».

نعم هو كذلك. «كم من الوقت كنت تعلم؟»

هز كتفيه، في حركة مليئة بالاستسلام، وقال: «لا أدري. لطالما علمت ذلك، ربّما. لكنّني لم أكن متأكدًا إلّا قبل بضع سنوات».

لم أستطع تقبّل الأمر. «لكن .. لماذا بقيت معها؟»

ربّت على ذقني وابتسم ابتسامة حزينة، وقال: «لأنّني أحببتك وأنت أحببتها، لم أستطع أن آخذ هذا منك».

بدأ عقلي بإعادة ترتيب اللحظات التي رأيتهما فيها معًا على مدار السنوات القليلة الماضية. كانت ذكرياتي ممتلئةً بأوقات مشتركة مع والدتي، لكن اللحظات المشتركة بين أمي وأبي غابت فجأة بشكل مفهوم. ولطالما اعتقدت أنّ هذا كان فشلًا من والدي، لعدم قدرته على الارتقاء إلى مستوى تألقها.

لم أدرك قط أنّه كان فشلًا منها.

مسحت بيدي على وجهي، وقلت: «ليتني كنت أعلم».

هزّ رأسه، وقال: «هل تتمنين هذا حقًا؟»

«نعم. كنت أظنّ أنّها لا يمكن أن تقدم على فعلٍ خاطئ. اعتقدت أنّها كانت أشجع امرأة على قيد الحياة».

«لا حرج في ذلك، جولز. كانت والدتك امرأة شجاعة. لقد فعلت أشياء مذهلة».

فقلت بغضب: «لقد كانت أنانية. كانت تعود لتلعب لعبة المنزل حين ترغب في ذلك، ثمّ تتركك لتفعل كل شيء آخر بمفردك».

جفل، وقال: «ربّما قليلًا. لكن لدينا جميعًا قدرات مختلفة للفشل. وهذا لا ينتقص من عملها. كما لا ينتقص من حبها لك».

«لقد عادت إلى المنزل قبل ثلاثة أيام من أجل شخص آخر». استنشقت ومسحت الدموع على خدي مرة أخرى. إنّها لا تستحق المزيد من الدموع. ليس بعد الآن. «سيستغرق تجاوز الأمر بعض الوقت».

قال بهدوء: «أعلم. أعلم». ثمّ صمت قبل أن يردف: «لكنّني كنت هنا لتلك الأيام الثلاث. وسأكون هنا طوال الأيام الأخرى، ما دمت أنت بحاجة إليّ».

ارتميت بين ذراعيه.

فضمّني وكان هذا أفضل شعور في العالم.

الفصل الثاني والأربعون

من: جولييت يونغ

<Juliet.Young@AACountyStudentMail.com>

إلى: ديكلان مورفي

<Declan.Murphy@AACountyStudentMail.com>

التاريخ: الخميس، 10 أكتوبر   الساعة: 5:51:47 صباحًا

الموضوع: التخلي

أنا سعيدة لأنّك لم تخبرني قط. لم أكن أرغب في التخلي عمّا بيننا أيضًا. في الواقع، أنا حزينة بعض الشيء لأن الأمر انتهى. وما زلت أفكر في محادثاتنا عن الحياة الواقعية وأعيدها على ضوء معرفة من كنت على الطرف الآخر من رسائلنا. هناك جزء منّي لا يزال لا يصدق أنّه أنت حقًا.

هناك الكثير ممّا لا تظهره للعالم، كما تعلم. أعتقد أنّه يجب عليك ذلك. أعطهم لقطة جديدة، وأظهر لهم ما أريتني إياه.

وفي هذا الصدد.. ماذا بعد؟

كان هناك ظرف في خزانة ملابسي حين استيقظت، وقد كتب على مقدمته اسمي بخط يد آلان.

فتحت الظرف، فوجدت بداخله ثلاثمائة دولار.

كادت عيناي تسقطان من رأسي.

لا أعرف ماذا أفعل بهذا. ارتديت قميصًا وأمسكت بالظرف، واتجهت إلى المطبخ. كانت أمي وآلان على الطاولة، يشربان القهوة ويتحدثان بأصوات خافتة.

تردّدت عند المدخل، وقد فقدت على الفور توازني.

قالت والدتي: «ديكلان».

«ما هذا؟» قلت وأنا ألوّح بالظرف. يجعلني المال غير مرتاح. ولا أحب الشعور بأنّهما يحاولان شرائي بطريقة ما. بدا كأنّ هذا يضعف كلّ ما حدث بيني وبين آلان الليلة الماضية.

اتّجهت صوب الطاولة وألقيت الظرف، وقلت: «لا يمكنني أخذ هذا».

ردّت والدتي بهدوء: «نريدك أن تحصل عليه».

عبست. «أنا لا أريد مالكما».

قال آلان: «إنّه مالك، وقد كسبته بنفسك».

«لم أفعل أيّ شيء».

«لقد أصلحت سيارتي. ألم تقل أنّ ثلاثمائة هي التكلفة المتوسطة؟»

«لقد قلت لك أنّني سأذهب إلى معالج أو أيّ شيء تريده». ثمّ تراجعت خطوة للوراء، واشتدّ فكي. «لستَ بحاجة إلى شرائي».

قال بصوت يطابق صوتي من حيث الحدة: «لا أحد يشتريك. لقد قلت أنّ هذا هو ما سيحصل عليه الميكانيكي، لذلك أنا اخترت أن أدفع لك». ثمّ تردّد، قبل أن يضيف: «ربّما كنّا أكثر قسوة عندما أخذنا *كل* أموالك لدفع تكاليف المحامي في مايو الماضي. لقد أمضيت سنوات في توفير ذلك المال».

نعم، لقد فعلت. وتطلب الأمر الكثير من الأعمال المتنوعة وتغيير الزيت لتحصيل ثلاثة آلاف دولار، وهذا المبلغ لا يقترب حتّى من تعويض ذلك.

لكنّه أمر جيد، بل أفضل بطريقة ما.

قال آلان: «إضافة على ذلك، وردتك مكالمة من رجل يدعى جون كينج. قال إنّ لديه بعض الأصدقاء الذين يرغبون في أن تلقي نظرة إلى سياراتهم. ولذا ارتأيت أنّني يجب أن أحصل على خدماتك أيضًا بما أنّها رخيصة».

كان ذاك جار فرانك. شعرت بالدوار. «جون كينج اتصل؟»

«ستجد رقمه أمام الهاتف. قال إنّهم يرغبون في دفع المال لك مقابل الاستشارة».

كأنّني طبيب أو شيء من هذا القبيل. ابتلعت ريقي، وقلت: «حسنًا».

انزلقت أمّي من كرسيها وسارت باتجاهي، ثمّ وضعت يديها على وجهي، وكان هذا أمرًا غير متوقع لدرجة أنّني تجمدت.

قالت بهدوء: «أنا آسفة. أنا آسفة لأنّني لم أكن هناك من أجلك. أريد أن أحاول أن أكون أفضل».

قلت بهدوء أيضًا: «لستِ بحاجة إلى أن تكوني أفضل».

«نعم أحتاج». وانكمش وجهها قليلاً، لكنّه عاد وانبسط وأخذت نفسًا طويلًا وتابعت: «إنّها الهرمونات المجنونة». ثمّ طرفت بعين واحدة، وقالت: «لديّ فرصة أخرى. أريد أن أفعل ذلك بشكل صحيح».

تردّد صدى كلماتي من صباح أمس في رأسي وراودني الشعور بالذنب. *أترغبين في استبدال كيري؟*

وبالكاد استطعت الكلام من خلال هذا الشعور بالعار. قلت: «أنا آسف لما قلته. أنا آسف جدًا».

قالت: «توقف، لا بأس. سنحصل جميعًا على فرصة أخرى».

ثمّ أحاطت بذراعيها عنقي وضغطت بشدة فعانقت ظهرها. ولا أذكر آخر مرة ضمتني فيها والدتي وضممتها لفترة طويلة وجيّدة.

ثم قفزتْ إلى الخلف، وقالت: «هل شعرت بذلك؟»

«شعرت بماذا؟»

«لقد ركل! هذه أول مرة!»

ابتسمت وفكرت في السيدة في المستشفى. «أمتلك هذا التأثير». ثم أدركت ما قالته. «ركل، هو؟»

«نعم، إنّه صبي».

قال آلان: «أخ».

أخ. لقد قضيت الكثير من الوقت في التفكير بأنّهما كانا يحاولان إعادة بناء عائلتنا لدرجة أنّه لم يخطر ببالي أخ صغير. لا يستطيع عقلي استيعاب هذا تقريبًا. تراجعت، وقلت: «عليّ الاستعداد للمدرسة».

أومأت برأسها. «حسنًا».

توقفت عند المدخل وأخرجت عشرين دولارًا من الظرف، ثم عدت ومرّرتها لآلان، فسأل: «لأي شيء هذه؟»

قلت: «إنّها لقطع الغيار، لقد اشتريتها بنفسك».

***

«لماذا نحن في المدرسة في مثل هذا الوقت المبكر مرة أخرى؟» قال ريف.

كنّا نجلس على درجات سلّم المدرسة الأمامي المظلم، ننتظر أن يفتح الحارس الأبواب الرئيسة. وكان الجو متجمّدًا، وكنت على وشك الاقتتال مع ريف لأجل سترته ذات القلنسوة. حتّى إنّه دس يديه داخل الكمّين. وكان الضباب قد استقر في أرجاء موقف السيارات.

«يجب أن أقابل مدرستي للغة الإنجليزية». ثمّ رمقته بنظرة جانبية، وأردفت: «ليس عليك أن تكون هنا».

«أنت من يقلّني إلى المدرسة».

«إذًا اخرس».

تناهى إلى مسامعنا صوت حركة حذاء على الرصيف وظهرت السيدة هيلارد من بين الضباب. قالت بدهشة: «لقد جئت مبكرًا».

فردّ ريف: «لحسن حظّي».

لكمته في كتفه ونهضت على قدميّ: «لم تخبريني فيمَ أردت التحدث معي. فاعتقدت أن الأمر قد يكون مهمًّا».

نقلت حقيبتها إلى كتفها الآخر، وقالت: «هل أنت مستعد للدخول؟»

«بالتأكيد».

تقدّم ريف بضع خطوات، وبدت مذعورة للحظة. فالظلام والقلنسوة يجعلانه يبدو كأنّه مجرم. ثمّ قال بصوت آسر: «هلّا سمحت لي بأن أساعدك في حمل حقائبك؟» فابتسمت.

أمسكت حقيبة كتفها وقالت: «هذا عرض لطيف».

كانت المدرسة غارقة في الصمت تقريبًا في مثل هذه الساعة، وكانت الممرات مظلّلة بأضواء الأمن المضاءة بشكل متقطع. كان فصل السيدة هيلارد عبارة عن بئرٍ من العتمة إلى أن أدارت مفتاح الإنارة. حينها ارتميت وريف على المقاعد في الصف الأمامي.

نظرتْ إلى ريف، ثم عادت بنظرها إليّ، وسألت: «ألا تمانع إن بقي صديقك؟»

ابتسم ريف واتكأ على الكرسي، وقال: «*المكثرُ الأصحاب يخرّب نفسه. ولكن يوجد محب ألزقُ من الأخ*».

كان معظم الناس ينظرون إلى ريف كأنّهم لا يستطيعون فهمه وهم غير متأكدين إن كان يستحق هذا الجهد. أمّا السيدة هيلارد فقد رفعت حاجبيها فقط وقالت: «قد أحتاج إلى المزيد من القهوة إذا كنّا سنبدأ في تلاوة سفر الأمثال».

ركلت كرسيه، وقلت: «تجاهليه. لكن بإمكانه البقاء». عندها فتحت حقيبتها وأخرجت بعض أوراق دفتر الملاحظات فتعرفت على خط يدي. وقد وضعت التعليقات باللون الأحمر في جميع الهوامش.

مرّرت الورقة إليّ، وقالت سائلةً: «من أين جاء كلّ هذا؟»

شعرت بالتوتر من سؤالها. «لقد كتبته أمامك مباشرة، أنا لم أغش».

«أنا لا أتهمك بالغش. إنّما أرغب في أن أعرف لمَ كنت قادرًا على تجميع خمسمائة كلمة حول قصيدة، فيما أنني نادرًا ما أستطيع الحصول منك على أكثر من جملة مركبة».

احمرّ وجهي ونظرت إلى أسفل، وأجبت: «لقد دفعتني القصيدة للتفكير».

«أنت كاتب جيد. تُثير نقاطًا قويّة، وتعبّر جيّدًا عن نفسك».

لا أذكر آخر مرة أثنى فيها عليّ أحد المدرسين. على من أكذب، فبالكاد أذكر آخر مرة تبادلت فيها النظرات مع مدرس ما. حينها انتشر وهج دافئ في صدري، ورحت أعبث بقلمي وقلت: «شكرًا لك».

«هل تخطط للكتابة بهذه الطريقة من الآن فصاعدًا؟»

بدا هذا كأنّه فخ. «ربّما».

«لأنّني كنت سأطلب منك ما إن كنت ترغب في محاولة الانتقال إلى برنامج التعيين المتقدّم في اللغة الإنجليزية».

التفت ريف بسرعة نحوي، وانقطعت أنفاسي من الدهشة.

قلت أخيرًا حين استطعت استجماع أفكاري: «برنامج التعيين المتقدم؟ لا أتابع أي دروس في برنامج التعيين المتقدّم».

«هل تطمح للدخول إلى الكلية؟ قد يبدو هذا جيدًا في ملفك الدراسي».

أشحت بنظري عنها. كان معظم مدرسيّ يتوقعون أن أحظى بتعليم عالٍ من سجن ولاية ماريلاند. ولم يسبق أن فكرت في الالتحاق بدروس برنامج التعيين المتقدّم، فضلًا عن الانتقال إلى واحد منها خلال شهر في الفصل الدراسي.

قلت: «لا أدري إن كان بإمكاني اللحاق بالدروس».

«هل ترغب في المحاولة؟»

إنك تصنع مسارك الخاص.

نعم، ولكن هذا المسار يقود مباشرة إلى أعلى الجبل. فالأمر أشبه بدفع عربة مليئة بالطوب.

«لا أدري».

«ألا تعتقد أنّك جيد بما فيه الكفاية؟ أؤكّد لك أنّك كذلك».

أشحت نظري. «لا.. جميعهم طلّاب أذكياء. سيعتقدون أنّني مجرّد مجرم غبي».

«أثبت لهم أنهم على خطأ».

تردّدت.

قالت: «هل أنت خائف من العمل؟»

«لا».

استدارت وسحبت كتابًا من فوق رفها وسلمته لي.

«هل أنت واثق؟»

ألقيت نظرة إلى العنوان. *«وداعًا للسلاح»* لإرنست همنغواي.

سألتني: «هل قرأته؟ هذا ما نقرأه الآن».

لم أكن أعرف كتاب همنغواي إذا وضع أمامي وقرأه أحدهم بصوت عالٍ. «لا».

«هل تريد أن تجربه؟»

«سأفكر في شأنه».

انتظرت أن تتحول تعابيرها إلى خيبة أمل، لكنّ هذا لم يحدث.

أومأت برأسها، وقالت: «احتفظ به.. جرّبه.. وأعلمني بحلول نهاية الأسبوع؟»

«بالتأكيد». شعرت بضيق في التنفس.

سرت أنا وريف نحو خزائننا، ولا بد أنّ الحافلات الأولى قد بدأت بالوصول، لأنّ الممرات راحت تمتلئ ببطء بالطلاب.

بادرني ريف: «هل ستقوم بذلك؟»

«لا أدري، ما رأيك؟»

«أعتقد أنّه يجب عليك المحاولة». ثمّ توقف، قبل أن يتابع: «هل أنت قلق حقًا من أنّهم سيعتقدون أنّك لا تنتمي إليهم؟»

في العادة سأنكر هذا لكن هذا ريف وسأخبره بكل شيء.

«نعم، ألن تشعر بذلك أيضًا؟»

هزّ كتفيه قليلًا، وقال: «ربّما».

سحبته من كمي قميصه برفق، وقلت: «ربّما؟»

توقف في منتصف الرواق، وللحظة، شعرت بالقلق من أنّني قد ضغطت كثيرًا عليه بعد محادثتنا الليلة الماضية. لكنّه دفع قلنسوة سترته إلى الخلف وفتح السحّاب.

ثم تجمّد.

رفعت حاجبيّ، وقلت: «يا إلهي، ريف، على الأقل انتظر حتى نكون وحدنا».

ضربني على ذراعي وشرع في المشي مجدّدًا. كان لا يزال مرتديًا سترته لكنّه خلع القلنسوة. وظلّ السحّاب مفتوحًا.

وبعد لحظة قال: «أنا أرتدي قميصًا بأكمام قصيرة».

ألقيت إليه نظرة خاطفة وقلت: «حسنًا، ريف. لست مجبرًا على إثبات أيّ شيء».

قال: «أنا لست مستعدًا.. ليس بعد».

تجاهلت الأمر وحاولت ألّا أجعل هذا يبدو كأنّه مشكلة كبيرة. «هناك دائمًا غد».

وافقني الرأي: «نعم، هناك دائمًا غد».

الفصل الثالث والأربعون

خادم البريد الإلكتروني لطلّاب ثانوية مقاطعة آن أروندل

البريد الوارد - جولييت يونغ

لا توجد رسائل جديدة.

بحلول وقت الغداء، لم يكن قد وصلني أيّ رد منه.

ولم تكن لديّ أيّ فكرة عن معنى ذلك.

في الكافتيريا تخلّفت في الطابور، ثمّ مررت عبر الطاولة التي يجلس فيها ريف عادة.

لم يكونا هناك.

ينبغي ألا أفكر على هذا النحو، لكنّ الأمر بدا متعمّدًا. وليس بطريقة جيّدة.

دعتني روان وبراندون للانضمام إلى طاولتهما، لكنّهما كانا قد انتقلا إلى مستوى مغازلات يكون فيه كلّ شيء عبارة عن مداعبات غزلية وتورية. كانت روان حينها تطعمه حبات العنب عن طريق رميها في فمه، وتقهقه بصوت عالٍ بعض الشيء عندما يفوّت حبّة.

حاولت جاهدة أن أتجنب التنهد بشدّة.

تأرجحت ساق ترتدي سروالًا دنيمًا أمام مقعدي، ثمّ شعرت بالمقعد بجانبي ينخفض من وطأة الثقل.

تفاجأت بشكل ما ولكن ليس تمامًا، حين التفت لأجد ديكلان يقف فوق المقعد.

لقد سرق أنفاسي وبدا مذهلًا وأخاذًا كما كان دائمًا، لكنّني أعرف أسراره، وأعرف كم يشكّل كلّ هذا واجهة فقط.

ثمّ قال: «هل ترغبين في التمشي؟».

«آه.. بالتأكيد». ثمّ فاجأني حين أمسك يدي.

كنّا في المدرسة، لذا كانت خياراتنا محدودة، لكنّني كنت تحت تأثير تعويذته، وقد ألقي بنفسي في النار لو طلب منّي ذلك في الحين.

لكنّه لم يفعل. بل قادني إلى الخارج من الأبواب الخلفية للكافيتريا باتجاه الساحة.

كانت شمس الظهيرة ساطعة تسلب الهواء من أيّ هبة نسيم. وكان الطلاب ينتشرون في كل مكان، لكن الجو كان أكثر خصوصية في الخارج.

ثمّ بادرني أخيرًا قائلًا: «كنت أرغب في التحدّث إليك طوال الصباح».

«لم ترسل أيّ رسالة».

هزّ رأسه، ثمّ قال وقد بدا منزعجًا قليلًا: «كنت *أريد التحدث إليك*. والآن بعدما أصبحت بقربك، أودُّ لو أعود إلى شخصية الظلام ثانية».

فهمت بالضبط ما يعنيه، وشعرت بمغص في معدتي. «هل تريد منّي إخراج هاتفي؟» ضحك، وقال: «سأبقي هذا كحلٍّ أخير».

انعقد لساني لذلك ابتسمت، وواصلنا المشي. وألقى الصمت بثقله بيننا.

سحب نفسًا ليتكلم، لكنّه تردد.

قلت بهدوء: «لا بأس، لسنا مضطرين إلى التحدث».

ضحك بصوت خافت، وردّ: «لا أعرف ما مشكلتي. فأنت تعرفين كل شيء».

«وأنت كذلك».

فرك فكه -وقد بدا أنّ هذا صباح ثانٍ دون حلاقة- ثمّ مرّر يده عبر شعره.

«انتظري». قال، وجذبني لأتوقف. «لديّ فكرة».

التفت إليّ، وقبل أن أكون مستعدة لذلك اقترب منّي وصار قريبًا جدًا.. قريبًا لدرجة أنّ خدّه لامس خدّي. ثمّ وضع يدًا واحدة على عنقي ولو سحبت نفسًا عميقًا فسألتصق به. وشعرت بأنفاسه تدغدغ أذني، وفركت لحيته الخفيفة فكي.

ثمّ قال بهدوء: «هل هذا جيّد؟»

«جيّد؟ هذا أفضل بنحو ثلاثة آلاف مرة من فكرتي باستخدام الهاتف». ضحك، وتلامس صدرانا. طوّق بإحدى يديه خصري. وكان يمكن أن نكون بصدد الرقص بدل كوننا نتشارك الأسرار. وتملكتني رغبة مفاجئة في لفّ ذراعي حوله.

ثمّ قال: «أريد أن أخبرك بشيء».

بللت شفتي، وقلت: «تستطيع إخباري بأي شيء».

«أنا آسف على الأوقات التي كنت فيها لئيمًا معك. أحاول العمل على تغيير هذا».

شعرت بدوار كالثمِلة من قربه.

كان يمرر إبهامه على رقبتي بإيقاع هادئ. «أنا معجب بك».

«أنا أيضًا معجبة بك».

«لقد أعجبت بك منذ الصباح الذي اصطدمت فيه بي».

ضحكت وحاولت دفعه بعيدًا، لكنّه سحبني إليه أكثر.

قلت: «لا، لم تفعل». همس: «نعم»، وراحت شفتاه تمسحان على خدي.

«أتذكر أنني فكرت «أحسنت، أيّها الأحمق. لقد أضفت فتاة أخرى إلى قائمة الأشخاص الذين يكرهونك»».

«أنا لا أكرهك. لم أكرهك قط».

قال: «الآن، هذا مطمئن». لكن كان بإمكاني سماع الابتسامة في صوته. ثمّ استنشق على طول عظام وجنتي، وأحسست بالشرر يتقد في بطني «يجب أن يوظفوك لتكتبي بطاقات هالمارك للمعايدة».

«ستبدأ جميع رسائلي الغرامية المستقبلية بعبارة «إلى من يهمه الأمر»».

«هل سترسلين لي رسائل غرامية في المستقبل؟»

احمرّ وجهي خجلًا، وكنت على يقين أنه استطاع أن يرى ذلك ويشعر به.

لكن صوته فقد الابتسامة بعد ذلك. «كنتِ أول شخص رآني بكاملي، جولييت. أول شخص جعلني أشعر بأنّني أستحق أكثر من سمعة سيئة وسجل إجرامي. هذا هو الجزء الأصعب من خسارة فتاة المقبرة. لا أدري إن كان أي شخص سينظر إليّ بالطريقة

ذاتها مرة أخرى».

تراجعت ووضعت كلتا يدي على صدره، ثم حركتهما لأعلى حتى لمست فكه.

نظر بعيدًا.

قلت: «أراك بكاملك. وأنا أنظر إليك بهذه الطريقة الآن».

أخذ يدي ووضعها على قلبه وأبقى عليها هناك.

ثمّ أغمض عينيه، وقال: «أنت تقتلينني يا جولييت».

قلت: «انظر إليّ».

فنظر إليّ.

«لا يمكنك أن تشق طريقك وعيناك مغمضتان»، قلت ممازحة.

«راقبيني». ثم انحنى باتجاهي والتقت شفاهنا.

شكر وتقدير

بصراحة تامة: أكتب هذا الجزء وأنا طريحة الفراش، يغشو عيني الضباب، وأنا في تلك المرحلة من المرض التي تطغى فيها المشاعر والأحاسيس، حيث يدفعنا التفكير في الناس وطيبتهم إلى البكاء. لذلك، إن بدوت كأنّني أنتحب على الورق، ألقوا باللوم على الإنفلونزا.

أولًا وقبل كل شيء، أشكر زوجي. فهو صديقي الحميم وأمين أسراري وسندي (حسنًا، لقد شرعت فعلًا في البكاء ولم أتجاوز بعد الفقرة الثانية. هذا رائع) لقد كان داعمًا دون كلل لمسيرتي الكتابية منذ أول يوم، وما كنت لأمضي قدمًا في هذا دونه.

شكرٌ موصولٌ لوكيلتي ماندي هابارد المرأة الخارقة بلا شك. (أعلم يا ماندي أنكِ تملكيني الأساور الذهبية للمرأة الخارقة، أقرّ بذلك). ويومًا ما سنلتقي وجهًا لوجه وسأعانقها حتى أسقطها أرضًا. وأتخيّل أن يحدث هذا في حقل من زهور الأقحوان، مع أنّي لا أعلم حتّى كيف سأعثر على حقل كهذا. شكرًا ماندي على كل شيء.

أشكر أيضًا ناشرتي ماري كايت كاستيلليني، التي كانت إرشاداتها ورؤاها في صياغة هذا الكتاب لا تقدر بثمن. يمكنكِ الانضمام إلينا أنا وماندي في حقل الأقحوان حيث يمكننا أن نعانق بعضنا حتى نقع أرضًا. أو ربما نتصافح بالأيدي فقط، إن كنت تفضلين ذلك. لكن حقًا أنا محظوظة جدا بالعمل معك. شكرًا على كل شيء.

أشكر كذلك كل من عمل بالنيابة عني في *بلومسبيري*. وددتُ لو أعرف أسماءكم جميعًا حتى أشكركم فردًا فردًا، واعلموا أنّني واعية بأنّ تأليف كتاب يتطلب جهد فريق، وأنّكم جميعًا شاركتم في عملي هذا. فلكم منّي كل التقدير والامتنان. أتمنى أن ألتقي بكم جميعًا يومًا ما.

أقدم امتناني الكبير وحبي لأصدقائي المقربين وشركائي في النقد بوبي غوتلر وأليسون كامبر وسارا فاين. جميعكم تعنون ليَ الكثير، وأنا محظوظة جدًا بوجودكم حولي.

قد تطلب هذا الكتاب الكثير من البحث، بدءًا من المسائل القانونية إلى الصور الفوتوغرافية إلى إصلاح السيارات. شارلز «تشاك» آلن، أنا مدينة لك بغذاء (أو عشاء، أو مطعم برمته لك) لأجل كل الرسائل الإلكترونية التي أجبت عنها بخصوص الصور الفوتوغرافية والتصوير الصحفي.

الشكر أيضًا للضابط جيمس كالينوسكي من قسم الشرطة بمقاطعة بالتيمور، الذي كان مصدرًا دائمًا لكل ما يتعلق بتنفيذ القانون. أمّا معلوماتي حول صناعة السيارات فقد استقيت معظمها من جو كليبستون وراين آلبرز وستيفاني مارتن وسكوت بروسيك. لقد قدّم لي كل هؤلاء الأشخاص مساعدة عظيمة. وكل خطأ في الطباعة فهو منّي أنا.

اطلع العديد من الأشخاص على المقاطع الأولى والمسودات وزودوني بتقييماتهم التي جعلت من النسخة النهائية نسخة أفضل. شكر كبير لجيم هيلدربراندت، نيكول تشوانيير- كرويكر،

ترايسي هوغتون، جوي هنسلي جورج، شانا بينيدكت، نيكول موناي، آيمي كليبستون وميشيل ماك وايرتر.

وامتناني الخالص لكل قرائي، سواء كان هذا أول كتاب تقرؤونه، أم أنّكم شاركتموني الرحلة منذ لقائكم ببيكا وكريس في *العاصفة*. ولولاكم لما كنت قادرة على القيام بما أَحب، فشكرًا لكم.

وكالعادة، لا بدّ من شكر أمي لحكمتها الدائمة وتوجيهها ومساندتها لي حتى عندما كنت في السنة الثانية في المدرسة وكتبت كتابًا حول كلب. (الذي ما زالت تحتفظ به وتخرجه لتُريه للناس. حقًا)

في الأخير وكالعادة شكر كبير لصبيان عائلة كيمرر الأربعة: جوناثان، نيك، سام والصغير زاك. شكرًا لكم لأنّكم سمحتم لأمّي بتحقيق أحلامها ممتنة كل يوم لحظها السعيد بوجودكم في حياتها.

مكتبة
t.me/soramnqraa

BRIGID KEMMERER

رسائل إلى الضائعين

"رسائل إلى الضائعين"؛ رواية عن الفقد، عن الحزن الآسر، عن اليأس المكبِّل، عن الشعور المثقل بالذنب، عن الأحكام المسبقة. رواية تتصارع فيها المشاعر الإنسانية، ويتقاسم الحب والغضب فصولها. حين تعود أحداث الماضي لتطفو مجدّدًا على السطح، نكتشف أنّ خلف هذه الواجهات البشرية الصلبة قلوبًا هشة ترقد وتتوق إلى الحب والاهتمام.

telegram @soramnqraa

ISBN 978-9921-730-88-3
kalemat
www.kalemat.com

جميع كتبنا متوفرة على تطبيق مكتبة كلمات
Google play
App Store